

لِلْخَصَاءِ نَصْرُ الْعَبَّاسِيَّةِ

لِمَوْلَانَا

آيَةَ اللَّهِ عَلَى الْخَلَائِفِ مُحَمَّدٍ عَبْدَ اللَّهِ هَيْوَةَ الْبُرْجَانِيِّ زَيْدِ بْنِ

١٣٠١ - ١٣٦٢ هجرى

منشورات المكتبة الحيدرية



مكتبة مؤمن قريش

لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق
في الكفة الأخرى لرجح إيمانه.
(الإمام الصادق (ع))

moamenquraish.blogspot.com

الخصائص العباسية

لمؤلفه

الحاج محمد إبراهيم الكلباسي النجفي

انتشارات المكتبة الحيدرية



الشابك : ٢ - ٤١ - ٦٣٩٠ - ٩٦٤

ISBN : 964 - 6390 - 41 - 2

الكتاب : الخصائص العباسية

المؤلف : الحاج محمد إبراهيم الكلباسي
النجفي

الناشر : انتشارات المكتبة الحيدرية

عدد المطبوع : ١٠٠٠ جلد

سنة الطبع : ١٣٧٨ - ١٤٢٠ هـ

الطبعة : الأولى

عدد الصفحات : (٣٦٨) وزيري

المطبعة : امير - قم

السعر : ١٢٠٠٠ ريال

الإهداء

إليك يا معلّم البرّ والخير، والكرم والتقوى.
إليك يا مدرّس الوفاء والصفاء، والشهامة والإباء.
إليك يا ملهم المكارم والمحاسن، والأخلاق والآداب.
إليك يا ملقّن العزم واليقين، والصبر والثبات.
إليك يا من علّمتنا كيف نكون في ديننا بُصراء، وفي شريعتنا علماء حكماء،
ولا نكون من الهمج الرعاع، يميلون مع كلّ ريح؟
إليك يا من عرّفتنا كيف نعلو على التهديد والتنديد، ونفوق الهوى والمغريات،
ونزهده في المناصب ومباهج الحياة؟
إليك يا من ألهمتنا كيف ندافع عن الحق والصدق، ونضحّي من أجل الله ودينه،
وكتاب الله وأحكامه، ورسول الله وأهل بيته؟
إليك يا من لقّنتنا كيف نكون مع الصادقين، مع الذين اصطفاهم الله واختارهم،
وزادهم بسطة في العلم والجسم، ولا نكون رؤوساً متناقرين متنافرين، وكباشاً
متناطحين متشاجرين، وأئمة متناحرين متباغضين، كلٌّ يجرّ النار إلى قرصه،
ويدعو الناس إلى نفسه، وقد قال الله تعالى في محكم كتابه، ومُبرم خطابه: ﴿يَا
أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ وقال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ
جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ وقال تعالى: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ وقال
تعالى: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾؟
إليك يا قمر بني هاشم، ويا قمر العشيرة.

إليك يا حامل اللواء، ويا بطل العلقمي، ويا كبش الكتبية.
إليك يا حامي الطعينة، ويا ساقى عطاشا كربلاء، ويا قائد الجيش، ويا ظهر
الولاية والإمامة.

إليك يا باب الحوائج، ويا باب الإمام الحسين عليه السلام، ويا أيها العبد الصالح.
إليك أيها الشهيد، الصديق، المؤثر، المواسي، الفادي، الواقى، المستجار،
الساعي.
إليك يا أبا الفضل العباس، يابن أمير المؤمنين، وابن سيد الوصيين، ألف تحية
وسلام.

إليك يا سيدي وابن سيدي أهدي ترجمة هذا الكتاب «الخصائص العباسية»
وأملى بك قبلك إياه، على ما فيه من نقص أو ضياع، فإنها بضاعة مزجاة، وأنت
ممن يقبل اليسير، ويوفي الكيل، ويجزل العطاء، فأوف لنا الكيل، وتصدق
علينا، إن الله يجزي المتصدقين.

المرجم

اول ربيع الميلاد / ١٤٢٠ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[إجازة حديث ، وشهادة اجتهاد]

لقد حصل مؤلف هذا الكتاب : «الخصائص العباسية» شيخ العلماء العاملين ، وسند الفقهاء الراشدين ، حاوي دقايق المعقول والمنقول ، وجامع الفروع والأصول ، حجة الإسلام ، ومرجع الخاص والعام ، آية الله في الأنام ، وحيد العصر ، ومجتهد الزمان : الحاج محمد إبراهيم الشهير بالكلباسي النجفي ، نزيل الري ، على إجازات متعددة في الفقه والحديث ، نقل باقتراح بعض المؤمنين وثلة من رجال الدين ، صورة منها تخص إجازة رواية الحديث ، وتعمّ شهادة الاجتهاد في الفقه ، وذلك دعماً لما جاء في هذا الكتاب من مطالب ، وسنداً لما رواه فيه من روايات أهل البيت عليهم السلام وأحاديثهم الشريفة التي نقلها المؤلف الكريم في شئون مختلفة ، وزوايا متفرقة من هذا الكتاب ، والصورة هي ما أجازها بها شيخ العلماء الأفاخم ، وسند الفقهاء الأعظم ، سلمان زمانه ، ولقمان عصره ، حجة الإسلام : آية الله الشيخ محمد حسين النجفي الأصفهاني الفشاركي أعلى الله مقامه ، وأمضاها المولى الهمام ، فقيه الزمان ، شمس فلك التحقيق ، وقر سماء التدقيق : آية الله الحاج الشيخ عبد الكريم الحائري أعلى الله مقامه ، ووقع عليها أستاذ الفقهاء والمجتهدين ، وسيد العلماء العاملين ، مصدر الصلاح ، ومنبع الفلاح ، محيي السنن ، وعلامة الزمن ، آية الحقّ المبين ، وحجة الإسلام والمسلمين ، السيد أبو الحسن الأصفهاني أعلى الله مقامه ، وإليك صورة الإجازة :

«بسم الله الرحمن الرحيم»

الحمد لله الذي رفع قدر العلماء، وفضل مدادهم على دماء الشهداء، وأوطأهم أجنحة ملائكة السماء، وجعلهم ورثة الأنبياء، وأمناء على عباده بعد الحجج الأطهار، وصلى الله على خازن علم الله، ومعدن حكمة الله، وحامل سرّ الله، صاحب الشرع القويم، وهادي الناس إلى صراط الله المستقيم، المبعوث على كافة الخلائق أجمعين، خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ المصطفى الأمين، وعلى آله الغرّ الميامين، سيّما بقية الله في الأرضين، إلى يوم ينصب فيه الموازين، وبعد:

فلا يخفى على أولي الرشاد والسداد من العباد، إنّ من أعظم مواهب الله سبحانه على الأنام، في زمن غيبة الإمام ﷺ وجود العلماء الأعلام، والفقهاء البررة الكرام، ولولاهم لاختلّ النظام، واضمحلت الأحكام، فإنّ بيدهم أزمة الأمور، ومن ميامن أنفاسهم يسهل كلّ معسور، وهم المرجع في الأحكام، ويقولهم يعرف الحلال من الحرام، فكم لهم من كتب تصنيف، وجمع وتأليف، لإحقاق الحق، وإبطال الباطل، وترويج الدين، وإطفاء نار الغوائل، ولذا اشتاقت نفوس إلى تحصيل العلم وطلبه، على ما فيه من تبعه وكربه، فنفروا عن جمعهم، وأوطانهم، وتغرّبوا عن مسكنهم وبلدانهم، وجدّوا واجتهدوا في طلبه واكتسابه، وانتقاء درره من أصداف أربابه، حتّى تفقّهوا في الدّين، وتروّوا من عيون الفقاهة واليقين، فشكر الله سعيهم الجميل بثوابه الجزيل، وممن قد جدّ وأجدّ، وكذّ وأكذّ في تحصيل المطلب، وتكميل الطلب، حتّى فاز من مراتب العلم أعلاها، وحاز في درجات العمل أرفعها وأزكاها، نتيجة العلماء الأعلام، والفقهاء الكرام، والجهابذة العظام، والحجج بين الأعلام، ودرّ يتيمة الفقهاء الفخام، العامل

الفاضل، الباذل الكامل، الناهج مناهج الفضل والرشاد، والدارج مدارج الرشد والسداد، والسالك مسالك التحصيل عند أرباب التحقيق، والتعميق والتدقيق، المذهب الصفي، والمولى الوفي، ذوالفهم العالي، والفكر الكافي، البالغ بجده الأكيد، وسعيه البليغ، إلى منتهى الرشاد، ودرجة الاجتهاد، الموفق بتوفيق خالق الخلق والعباد، ذوالمجد العلي، ذاك أخانا الوفي، الشيخ محمد إبراهيم سلمه الله تعالى، ابن العالم الفاضل، الكامل الناسك السالك، فخر العلماء العظام، وشيخ المشايخ الكرام، أبوالمكارم، وحاوي المفاخر، مولانا الجليل، الآقا ميرزا عبدالرحيم، دام ظلّه العالي، فإنه زيد فضله العالي، بالغ فيما هو المراد من العلم والاجتهاد، وفائز بأسمى مراتب الرشاد والإرشاد، وأعلى منازل الصلاح والسداد، وقد وهبه الله تعالى القدرة على الاستنباط، وقوة الاجتهاد، واستفادة الأحكام، من الأخبار المروية المعتمدة، المبنية عليها عمل العلماء الأعلام، في المؤلفات والمصنفات، ف شكر الله سعيه الجميل، وأعطاه الله التوفيق لصرف عمره الشريف في هذا المقام الرفيع، والعز المنيع، ولا زال مؤيداً مسدداً، موقفاً للجمع والتدوين، وكتابة رسائل مبنية على التحقيق والتدقيق، فأعطاه الله مزيد التوفيق، وأعانته على ما وجب عليه من الشكر لله جلّ جلاله بما منحه وأولاه، وخصّه وأبلاه، فإنّ ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

ثم إنّه زيد فضله استجاز منّي لحسن ظنّه بي، فأجزته تبرّكاً للإنتظام في سلك الرواة الأعلام، ومبلغني الأحكام، أن يروي عني كلّما صحّت لي روايته، ووضحت لي درايته من كتب الأخبار، التي عليها المدار في الأعصار والأمصا، كالكافي والتهذيب والفتاوى والاستبصار، وما أرويه عن مشايخي الكرام، وأساتيدي العظام، عليهم رضوان الله الملك العلام، ومنهم: الشيخ الجليل، والعامل الكامل، والمحقّق المدقّق، والفتية الوحيد، والنبية السديد، شيخ العلماء

والفقهاء، مرجع الأنام في الأقطار والأمصار، ومن عليه الإعتقاد في الإجازات والتصديقات، البحر القمقام، وعلم الأعلام، والعايد الناسك في بقعة خامس أصحاب الكساء، شيخنا وشيخ العلماء والمتعلمين، مولانا الشيخ زين العابدين، المازندراني الأصل، الحائري المسكن، والمعبّد والمدرس، والمسجّد والمرجّع، طيّب الله رسمه، عن شيخه الأجل صاحب جواهر الكلام، الشيخ محمّد حسن، عن أستاذه العماد، السيّد جواد، عن بحر العلوم، عن أستاذه ذي الفضل الباهر الآقا محمّد باقر، عن والده الأكمل الأفضل محمّد أكمل، عن المجلسي، عن والده التقي النقي، مولانا محمّد تقي، عن بهاء الملة والدين، باسناده المزبورة في الأربعين، المتصلة بالآئمة الطاهرين، وأوصيته بملاحظة التقوى، ونهي النفس عن الهوى، ومراقبة الوقوف على الإحتياط في العمل والفتوى، وبيان الحلال والحرام عند الشبهات، فإنّه المنجي لسالكه عن ورطة الهلكات، وأن لا ينساني من صالح الدعوات، في حياتي ومماتي عند مظانّ الإجابات، وعقيب الصلوات، كما لا أنساه إنشاء الله تعالى، وكتبت هذه الورقة مستخيراً من الله تعالى وليّ كلّ حسنة، وذلك في الليلة الحادية عشرة من ربيع الثاني من سنة / ١٣٣٥ هجرية وأنا العبد الجاني محمّد حسين بن محمّد جعفر الفشاركي غفر الله له ولآبائه ولأمّهاته، ولجميع المؤمنين والمؤمنات، بمحمّد وآله الطاهرين».

«بسم الله الرحمن الرحيم

قد صدر من أهله في محلّه، الأحقر: أبو الحسن الموسوي الأصفهاني.

محل الخاتم الشريف

قد صدر من أهله في محلّه، الأحقر: عبد الكريم الجائري.

محل الخاتم الشريف

[المدخل]

الحمد لله الذي خصّ بالبلاء عباده الأصفياء، وشرح صدورنا بمعرفة الأولياء، ونور قلوبنا بمحبة الأزكياء، وزكّى نفوسنا بالرقّة والرّجاء، وهذب أماننا بالدموع والبكاء، والصّلاة والسّلام على محمّد أشرف الأنبياء، وآله النجباء النقباء، سيّما خامس أصحاب الكساء، وأنصاره المجاهدين النبلاء، الذين لم يرضوا دونه إلّا ببذل الأرواح والدماء، خصوصاً مولانا أبي الفضل العباس عليه السلام المعروف بالايثار والوفاء، وحامل لواء الإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء، وصاحب الشجاعة والغيرة والجود والسخاء، ولعنة الله على أعدائهم بدوام الأرض والسماء.

[الخصائص العباسية لماذا ؟]

يقول غريق بحر المعاصي «محمّد إبراهيم الكلّباسي»: لمّا رأيت آثار الشيخوخة قد ظهرت عليّ، وعلامات الضعف والنقاهاة قد بدت فيّ، فقوأي الجسميّة نحو الإنحطاط، وشمس عمري تقرب من الأفول والغروب، ولم أرفي ديوان عملي عملاً صالحاً مقبولاً، ولا فيما سلف منّي أثراً خالصاً مفيداً، فكدت آيس لولا أن تداركتني رحمة ربّي، وإذا بي أتذكّر ما روي متواتراً عن الرّسول عليه السلام: «مثل أهل بيتي كسفينة نوح، من ركبها نجا...»، ولكن كيف لي الركوب في سفينتهم؟ وأنّى لي الكون معهم صلوات الله عليهم أجمعين؟ بلا وجهة ولا لياقة منّي، ولا وسيلة ولا وساطة من ذي وجهة وكفاءة، هذا وهم نور الله في الأرض، وحجج الله على الخلق، وأصحاب البسط والقبض، ووديعة

رسول الله ﷺ وخلفاؤه من بعده فينا، فخطر على بالي قوله تعالى: ﴿فَاتُوا
البيوت من أبوابها﴾ ورأيت أن أبا الفضل العباس عليه السلام هو باب الإمام الحسين عليه السلام،
ومن استطاع بوسيلته التمسك بحجزة خامس أهل الكساء، وريحانة رسول
الله ﷺ وألج عبده إلى سفينة نجاة أهل البيت عليه السلام. فكما أن الإمام علياً
أمير المؤمنين عليه السلام باب مدينة علم الرسول ﷺ فكذلك أبو الفضل عليه السلام باب عناية
أخيه الإمام الحسين عليه السلام، ولذلك قرّرت مع قلّة بضاعتي وضعف بياني أن أطرق
باب الإمام الحسين عليه السلام بيراعي النحيف، وجهدي الضعيف، فأكتب في فضائل أبي
الفضل العباس عليه السلام ومناقبه، ما تيسّر لي انتقاؤه من كتب شتّى، وما سمح لي
التوفيق بجمع ما تفرق من خصائصه الكبرى، وأنا أعتز بقصوري وعجزني عن
درك ساحل يمه الوارف، ونيل قليل ممّا يحويه بحر وجوده الجارف، وبلوغ
وصف شيء ممّا يحمله من فضائل ومكارم، ولكن ما لا يدرك كلّ لا يترك كلّ،
والميسور لا يترك بالمعسور، فرتبته على مقدمة، وخصائص، وخاتمة، وسمّيته:
«الخصائص العباسية» وأهديته على وضاعته إلى كبير سماحته، راجياً من جنابه
القبول، والعفو عن التقصير والقصور، والوساطة لي عند أخيه الإمام الحسين عليه السلام
بالدخول إلى سفينتهم - علماً بأنّ سفينة الإمام الحسين عليه السلام أوسع وأسرع - والنجاة
في زمرتهم، فإنّه لا نجاة إلّا بهم، ولا خلاص إلّا عن طريقهم، ولا سعادة إلّا
باتّباع مسيرتهم وأخلاقهم، وانتهاج نهجهم وتعاليمهم، ورجائي منه القبول
والوساطة، فإنّه خير مرجوٍّ ومأمول للوساطة والشفاعة.

المقدمة

[حب أهل البيت ومودتهم]

إنَّ محبة أهل بيت رسول الله ﷺ ومودتهم، التي فرضها الله تعالى على عباده في كتابه ومحكم آياته، وجعلها أجراً لنبوة سيد رسله وخاتم أنبيائه، كما تشمل الأئمة المعصومين عليهم السلام تشمل ذراريهم الذين ساروا في طريقهم واتبعوا نهجهم، وخاصة مثل أبي الفضل العباس عليه السلام الذي أطاع إمامه، وضحى بنفسه من أجله، وقدم دمه وقاءاً لدمه، ففي مجمع البيان عن ابن عباس قال: «إنَّه لما نزلت هذه الآية: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ قالوا: يا رسول الله! من هؤلاء القربى الذين أمر الله بموالاتهم؟ قال ﷺ: علي، وفاطمة، وولدهما».

وفي الخصال عن علي عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ: من لم يحب عترتي، فهو لإحدى ثلاث: إما منافق، وإما لئيم، وإما حملت به أمه في غير طهر».

وقال الفخر الرازي صاحب التفسير المعروف في ذيل تفسير الآية المباركة: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ أقول: «آل محمد ﷺ هم الذين يؤول أمرهم إليه، فكل من كان أمرهم إليه أشد وأكمل كانوا هم الآل، ولا شك أن فاطمة وعلياً والحسن والحسين عليهم السلام كان التعلق بينهم وبين رسول الله ﷺ أشد التعلقات، وهذا كالمعلوم بالنقل المتواتر».

[حديث الحب والبغض]

وأُتبرك بنقل هذا الحديث الشريف الذي نقله صاحب تفسير الكشاف، والفخر، وغيرهما عن النبي ﷺ أنه قال: «ألا ومن مات على حب آل محمد مات شهيداً، ألا ومن مات على حب آل محمد مات مغفوراً، ألا ومن مات على حب آل محمد مات تائباً، ألا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمناً مستكمل الإيمان، ألا ومن مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة، ثم منكر ونكير، ألا ومن مات على حب آل محمد يُزف إلى الجنة كما تُزف العروس إلى بيت زوجها، ألا ومن مات على حب آل محمد فتح له في قبره بابان إلى الجنة، ألا ومن مات على حب آل محمد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة، ألا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة.

ألا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه آيس من رحمة الله، ألا ومن مات على بغض آل محمد مات كافراً، ألا ومن مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة».

وجاء في تفسير البيضاوي نقلاً عن الرسول ﷺ أنه قال: «حرمت الجنة على من ظلم أهل بيتي، وآذاني في عترتي، ومن اصطنع صنعة إلى أحد من ولد عبد المطلب ولم يجازه فأنا أجازيه».

[الذرية الطاهرة]

هذا وقد ذكرت في كتابي: «التذكرة العظيمة» ستين حديثاً ورد عن النبي ﷺ وآله  في فضائل الذرية، ومناقب السادة من بني الزهراء

وعلي عليه السلام، وفي فرض محبتهم وولايتهم على الناس، وقد طبع هذا الكتاب وانتشر عام «١٣٤٦» هجرية قمرية، وهنا أذكر بعض الأحاديث الأخرى تبرّكاً وتيمناً، مكتفياً ومعتبراً بها.

منها: ما جاء في كتاب: «مودة القربى» لشهاب الدين العلوي أحد أعظم علماء العامة نقلاً عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أحبّوا الله لما أرفدكم من نعمه، وأحبّوني لحبّ الله، وأحبّوا أهل بيتي لحبّي».

ومنها: أنه قال ﷺ: «أنا أول الناس شأناً، ثمّ علي، ثمّ ذريّتي، ثمّ محبّونا، يدخلون الجنّة بغير حساب، لا يسألنّ عن ذنبهم بعد المعرفة والمحبة». ومنها: ما رواه ابن مسعود عن رسول الله ﷺ أنه قال: «حبّ آل محمّد يوم واحد، خير من عبادة سنة، ومن مات على حبّهم دخل الجنّة».

ومنها: ما رواه أبو محمّد القميّ نزيل الري في كتابه: «المسلسلات» عن النبي ﷺ أنه قال: «من آذى شعرة منّي فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله فعليه لعنة الله ملأ السماء والأرض» ويعني ﷺ بالشعرة: من له قرابة إليه ﷺ تجعله من رسول الله ﷺ ولو بمنزلة شعرة من جسمه ﷺ.

ومنها: ما جاء في كتاب: «الصواعق المحرقة» عن الطبراني نقلاً عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إنّ لله حرّات ثلاث، فمن حفظها حفظ الله له دينه ودنياه، ألا وهي: حرمة الإسلام، وحرمتي، وحرمة رحمي وقرباي».

[خلاصة الكلام]

وحاصل الكلام: أنّ هذه الأحاديث الشريفة والتي ذكرناها وغيرها ممّا لم نذكرها وما أكثرها تفيد وجوب محبة عترة رسول الله ﷺ ومودة ذريّته، وهو يشمل ذراريهم الذين انتهجوا نهجهم، وساروا بسسيرتهم، وخاصة أولئك الذين

أظهر الرسول ﷺ، أو وصيه الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام، أو كريمته فاطمة الزهراء عليها السلام، أو واحداً من الأئمة الطاهرين عليهم السلام، علاقته به، ومحبة له، مثل أبي الفضل العباس عليه السلام.

فإن أبا الفضل العباس عليه السلام هو الذي كان أبوه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يجلسه في حضنه وينثر على وجناته وخذه، وهامته ويده، قبلاته الحارة من الحب والرحمة، ولثماته المستعره من الحزن والأسى، ممزوجة بدموعه الساخنة، وعبراته السائلة، وكأنه عليه السلام ينبيء ببيكاته ذلك عما سيجري على ولده هذا في نصرة إمامه، من أعداء الإنسانية، ويرى ما سيصيه في سبيل الله من بني أمية الغاشمة الظالمة، التي عزمت - لولا إرادة الله - على إيادة أهل البيت ودفن التوحيد والنبوة.

وهو الذي كانت فاطمة الزهراء عليها السلام - على ما روي - تقول في حق أبي الفضل العباس عليه السلام ما تقوله من المدح والثناء، وتعتبره ولدها وتدعوه إيناً لها، وترى في يديه المقطوعتين في سبيل الله ونصرة ولدها الإمام الحسين عليه السلام كفاية لشافة أمة أبيها رسول الله ﷺ في يوم القيامة.

وهو الذي كان أخوه الإمام الحسين عليه السلام يخاطبه بقوله في غير مرة: «بنفسى أنت يا أخي» مما يدل على عظيم مقام أبي الفضل العباس عليه السلام عند أخيه وإمامه الإمام الحسين عليه السلام.

ومن المعلوم: أن من قد حاز على ما حازه أبو الفضل العباس عليه السلام من محبة المعصومين عليهم السلام له، والزلفة عندهم، والحظوة لديهم، حتى أحبه الرسول ﷺ، وأحبه أبوه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وأحبه حبيبة الرسول فاطمة الزهراء عليها السلام، وأحبه ابنتها الكبرى السيدة زينب عليها السلام، وأحبه الإمام الحسن المجتبي عليه السلام والإمام الحسين الشهيد عليه السلام وباقي الأئمة الطاهرين عليهم السلام، فكيف لا يكون في مقامه

يستدعي وجوب محبته على سائر الناس أجمعين؟؟.

وها نحن بدورنا المتواضع، وبضاعتنا المزجاة، نقدّم وبإخلاص، ما تكتّنه قلوبنا لأبي الفضل العباس عليه السلام من حبّ وولاء، ومودّة وعُلقَة، مظهرين ذلك بذكر ما يتسنى لنا من فضائل أبي الفضل العباس عليه السلام ومناقبه، وسرد بعض ما امتاز به عليه السلام من مميّزات، وانفرد به من خصائص، راجين عفوه عنّا وقبوله منّا، فإنّه من أهل بيتٍ لا يخيب آملهم، ولا يُحرّم راجيهم، إنشاء الله تعالى، وإليك تلکم الخصائص:

الخصيصة الأولى :

« النسب الناصح »

لا شك في أنّ الإنتماء إلى رسول الله ﷺ بالنسب يعدّ فخراً للإنسان وشرفاً، كيف لا ورسول الله ﷺ هو فخر البشرية وشرفها، وعزّ الإنسانية وسوددها، فكيف بمن انتمى إليه عن قرب، ومثّ إليه بصلة غير بعيدة؟ وذلك مثل العباس بن علي عليه السلام، الذي ولد مباشرة وبلا فصل لنفس رسول الله ﷺ ووصيه الأمين الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام الذي قال في حقّه القرآن الحكيم: ﴿وأنفسنا وأنفسكم﴾ وقال في شأنه الرسول ﷺ: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه» أي: من كنت سيّده وأولى به من نفسه - بنصّ القرآن الحكيم -، فهذا عليّ سيّده من بعدي وأولى به من نفسه بنصّ القرآن الحكيم، وقال ﷺ: «ما اجتبيته ولكن الله اجتباه».

[الرجل الذي لا يعرفه أحد]

وعن رسول الله ﷺ - على ما رواه الفريقان - أنّه قال: «إنّ لأخي عليّ بن أبي طالب عليه السلام فضائل لا تحصى كثرة، وإنّ الجنّ والإنس لا يقدرّون على إحصائها».

وعن كتاب: «مشارك الأنوار»: «إنَّ أباذر خرج يوماً من عند رسول الله ﷺ فمرَّ به في بعض الطريق عمر بن الخطَّاب وكان عمر في طريقه إلى رسول الله ﷺ فسأل أباذر عمَّن كان عند رسول الله ﷺ؟ فقال له أبوذر: كان عنده ﷺ رجل لم أعرفه.

فلما جاء عمر ودخل على رسول الله ﷺ رأى عنده علي بن أبيطالب رضي الله عنه، فتتَّمر في قلبه من أبي ذر ونقم عليه، ثم التفت إلى رسول الله ﷺ وقال وهو يشكو أباذر: يا رسول الله! ألسنَّ القاتل في حقَّ أبي ذر: ما أظلتَّ الخضراء، ولا أقلتَّ الغبراء، على ذي لهجة اصدق من أبي ذر؟ فقال رسول الله ﷺ: نعم لقد قلت ذلك في حقِّه، وإنَّه كذلك.

فقال عمر: لقد سمعت اليوم منه كذبة، وذلك أنَّي التقيت به وكان قد خرج لتوَّه من عندك، فسألته عمَّن كان من الرجال لديكم؟ فأجابني: بأنَّه كان عند رسول الله ﷺ رجل لم أعرفه، مع أنَّه يعرف علي بن أبيطالب جيِّداً، فيكيف يقول: لم أعرفه؟

فقال رسول الله ﷺ في جواب عمر: لقد صدق أبوذر، إنَّ علياً رضي الله عنه لم يعرفه أحد إلاَّ الله وأنا» وقد ذكر هذه الرواية الفريقان أيضاً.

[ليلة القربة]

وعن كتاب: «ينابيع المودة» للشيخ سليمان البلخي الحنفي عن سعيد بن جبير أنَّه قال: «قلت لابن عباس رضي الله عنهما: أسألك عن اختلاف الناس في علي رضي الله عنه؟ قال: يا بن جبير! تسألني عمَّن كان له ثلاثة آلاف منقبة في ليلة واحدة وهي: «ليلة القربة في قليب بدر» فلقد سلَّم عليه في تلك الليلة وحدها ثلاثة

آلاف من الملائكة من عند ربهم؟

ثم أضاف قائلاً: تسألني عن وصي رسول الله ﷺ، وصاحب حوضه، وصاحب لوائه في المحشر؟ والذي نفس عبدالله بن العباس بيده لو كانت بحار الدنيا مداداً، وأشجارها أقلاماً، وأهلها كتاباً، فكتبوا مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام وفضائله ما أحصوها».

وعن أبي ذر: «إنّ عليّاً عليه السلام قال في احتجاجه على أصحاب الشورى: هل فيكم من سلم عليه في ساعة واحدة ثلاثة آلاف من الملائكة وفيهم جبرئيل وميكائيل وإسرافيل ليلة قلب بدر، لما جئت بالماء إلى رسول الله ﷺ، غيري؟ قالوا: لا».

[سقاء بدر]

هذا وقد ذكر المحدث الجليل، والثقة النبيل، صاحب التاليفات القيّمة، والتصانيف المفيدة، الشيخ عباس القمي عليه السلام في كتابه الثمين: «مفاتيح الجنان» هذه القصة قائلاً: «جاء في روايات عديدة: إنّ النبي ﷺ قال لأصحابه ليلة بدر: منكم يمضي في هذه الليلة إلى البئر فيستقي لنا؟ فصمتوا ولم يقدم منهم أحد على ذلك، فأخذ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قربة وانطلق يبغي الماء، وكانت ليلة ظلماء باردة ذات رياح، حتّى ورد البئر وكان عميقاً مظلماً، فلم يجد دلوّاً يستقي به، فنزل في البئر وملاً القربة وارتقى وأخذ في الرجوع، فعصفت عليه عاصفة جلس على الأرض لشدّتها حتّى سكنت، فنهض واستأنف المسير، وإذا بعاصفة كالأولى تعترض طريقه فتجلسه على الأرض، فلما هدأت العاصفة قام يواصل مسيره، وإذا بعاصفة ثالثة تعصف عليه، فجلس على الأرض للمرّة الثالثة،

فلما زالت عنه قام وسلك طريقه ، حتّى إذا بلغ النبي ﷺ سألَه قائلاً : يا أبا الحسن لماذا أبطأت ؟

فأجاب عليّ عليه السلام : يا رسول الله ! عصفت عليّ عواصف ثلاث زعزعتني ، فمكنت لكي تزول .

فقال ﷺ : وهل علمت ما هي تلك العواصف يا عليّ ؟

فقال عليّ عليه السلام : وما كانت تلك يا رسول الله ؟

فقال ﷺ : كانت العاصفة الأولى جبرئيل ومعه ألف ملك سلّم عليك وسلّموا ، والثانية كانت ميكائيل ومعه ألف ملك سلّم عليك وسلّموا ، والثالثة كانت إسرافيل ومعه ألف ملك سلّم عليك وسلّموا ، وكلّهم قد هبطوا مدداً لنا . وإلى هذا المعنى أشار السيّد الحميري في قصيدته قائلاً :

أقسم بالله وآلانه والمرء عما قال مسنول
إن عليّ بن أبيطالب على التّقى والبرّ مجبول
إلى أن قال :

ذاك انّذي سلّم في ليلة عليه ميكال وجبريل
ميكال في ألف وجبريل في ألف ويتلوهم سرافيل
ليلة بدرٍ مدداً أنزلوا كأنهم طيّر أبابيل

[سقاء كربلاء]

نعم : كما أنّ الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السلام استقى للرسول ﷺ يوم بدر ، فكذلك ابنه العباس بن عليّ عليه السلام استقى لأخيه الإمام الحسين عليه السلام يوم كربلاء ، لكن بقارق كبير وهو : أنّ الإمام عليّ بن أبيطالب عليه السلام

سَلَّمَ عليه جبرئيل وميكائيل وإسرافيل وآلاف من الملائكة المقرَّبين، وحيَّوه بتحيَّات طيِّبة مباركة من عند الله تبارك وتعالى، بينما ولده العباس بن علي عليه السلام أحاط به آلاف النِّبالة الموكِّلين بالمشرعة يرشقونه بالسهم والنبال، ويمنعونهم من الماء، ويحولون بينه وبين إيصال القربة إلى الخيام، وهم يسمعون صراخ الأطفال العطاشى، وعويل النساء الظمأى، هذا والفصل صيف قاتظ، والطقس حارٌّ شديد الحرارة، والشمس وهَّاجة تصهرهم بأشعتها المحرقة، وترشقهم بشررها القاتل، ومع ذلك لم يرحموا أهل بيت نبيِّهم، ولم يدعوا الماء يصل إلى خيامهم، فقد كمنوا وراء النخيل وغدروا بالسَّقاء، واستهدفوا القربة وأراقوا الماء، وملائكة الرحمان تلعنهم وتلعن طاغيتهم يزيد، وتقْدَس روح السَّقاء وتحيِّيه بتحيَّة الرحمان: ﴿سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار﴾.

[إذعان وإعتراف]

وجاء في كتاب: «الأنوار البهية» ما نصّه: حكى عن الشافعي أنّه قيل له: «ما تقول في علي عليه السلام؟ قال: ما نقول في حقّ من أخفت أولياؤه فضائله خوفاً، وأخفت أعداؤه فضائله حسداً، وشاع من بين ذين ما ملأ الخافقين؟».

وقال مثل ذلك ابن أبي الحديد المعتزلي في مقدمة شرحه على النهج عند القول في نسب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وذكر لمع يسيرة من فضائله، قال: «فأمّا فضائله عليه السلام فإنّها قد بلغت من العظم والجلالة، والانتشار والإشتهار، مبلغاً يسمح معه التعرّض لذكرها، والتصدي لتفصيلها، إلى أن قال: وما أقول في رجل أقرّ له أعداؤه وخصومه بالفضل، ولم يمكنهم جحد مناقبه، ولا كتمان فضائله، فقد علمت أنّه استولى بنو أمية على سلطان الإسلام في شرق

الأرض وغربها، واجتهدوا بكلّ حيلة في إطفاء نوره، والتحريض عليه، ووضع المعاييب والمثالب له، ولعنوه على جميع المنابر، وتوعدّوا مادحيه، بل حبسوهم وقتلوه، ومنعوا من رواية حديث يتضمّن له فضيلة، أو يرفع له ذكراً، حتّى حظروا أن يستمّى أحد باسمه، فما زاده ذلك إلّا رفعة وسموّاً، وكان كالمسك كلّما ستر انتشر عرّفه، وكلّما كنتم تضيّع نشره، وكالشمس لا تستر بالراح، وكضوء النهار إن حجبت عنه عين واحدة، أدركته عيون كثيرة».

ثمّ أضاف: «وما أقول في رجل تُعزى إليه كلّ فضيلة، وتنتهي إليه كلّ فرقة، وتتجاذبه كلّ طائفة، فهو رئيس الفضائل وينبوعها، وأبو عُذرّها، وسابق مضمارها، ومجلّي حَلبَتها، كلّ من بزغ فيها بعده، فمنه أخذ، وله اقتفى، وعلى مثاله احتذى...».

نعم، من كان هذا والده وأبوه، فحقّ له أن يرث منه الشرف والسموّ، والرفعة والعلوّ، وأن يستلهم منه الأخلاق والآداب، والمحاسن والمكارم. والفضائل والمناقب، فهنيئاً لأبي الفضل العباس عليه السلام حسبه الوضّاء، ونسبه الناصع المبارك.

الخصيصة الثانية :

« الرَّحْم الطاهر »

قال رسول الله ﷺ: «الجنة تحت أقدام الأمهات». وقال ﷺ: «تزوجوا في الحجز الصالح، فإنَّ العرق دَسَّاس». وقال ﷺ: «اختاروا لنطفكم». وعن أبي عبدالله الصادق عليه السلام أنه قال: «إنَّما المرأة قلادة فانظر ما تتقلد» ومن ثمَّ قال الإمام أميرالمؤمنين علي عليه السلام لأخيه عقیل وكان نَسابة، عالماً بأنساب العرب وأخبارهم: «أنظر لي امرأة قد ولدتها الفحولة من العرب، لأتزوجها، فتلد لي غلاماً فارساً، وفي خبر: لكي أصيب منها ولداً يكون شجاعاً وعضداً ينصر ولدي الحسين، ويواسيه في طفَّ كربلاء».

فقال له عقیل: تزوج يا أميرالمؤمنين أمَّ البنين الوحيدة الكلالية، فإنَّه ليس في العرب أشجع من آبائها، فتزوجها علي عليه السلام....».

وكان اسم أمَّ البنين فاطمة الوحيدة الكلالية، وأمَّها ثمامة بنت سهيل بن عامر، وكانت ثمامة هذه أديبة أريية، وعاقلة لبيبة، فأدَّبت ابنتها أمَّ البنين بآداب العرب، وعلمتها ما ينبغي للبنات الرشيدة تعلمها من الأخلاق والآداب الحميدة. وأبوها أبوالمحل واسمه حرام وفي بعض النسخ: حزام بن خالد بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن، من شجعان العرب وفرسانهم. ودُعيت أمَّ البنين بالوحيدة والكلالية، نسبة إلى الوحيد بن كعب، وكلاب بن ربيعة، وكان أهلها من سادات العرب وأشرفهم، وزعمائهم وأبطالهم المشهورين.

[لماذا التشاور مع عقيل ؟]

وهنا سؤال يفرض نفسه ليقول: أليس الإمام أمير المؤمنين عليه السلام باب مدينة علم الرسول ﷺ والعارف بأهل زمانه، بل والأعرف بهم من كل أحد؟ فكيف يسأل في أمر الزواج من مثل أخيه عقيل؟
والجواب: صحيح أنه عليه السلام أعلم الناس بعد رسول الله ﷺ بالأمور، وأعرف الناس بأنساب الناس، ولكنه عليه السلام فعل ذلك لأمر لا تخلو عن حكمة ولعل من أهمها ما يلي:

١ - أنه عليه السلام أراد أن يعلمنا بذلك كيف نبني أمورنا - صغيرها وكبيرها، إجتماعيها وشخصيها، إقتصاديها وسياسيها - على التحاور والتشاور، ونسير فيها على علم ومعرفة، ونشارك الناس في عقولهم وتجاربهم، فنتجنب بذلك مفاصد الأنانية والاستبداد بالرأي، وما يتبعها من مساوئ ومهالك، وخاصة في مثل أمر الزواج، الذي هو أهم لبنة في تكوين الأسرة، وإنجاب الذرية والأولاد، وبناء المجتمع الصالح.

٢ - لعله عليه السلام أراد بذلك التجاهر والإعلان عن هذه السنة المباركة التي سنّها رسول الله ﷺ وهي سنة الزواج، حيث ورد الأمر بإعلانها والإشهاد عليها.

٣ - لعله كان المرسوم في ذلك الزمان، والمعتاد في تلك الأيام، وهو: استنابة الآخرين في أمر الزواج، وعدم الإقدام من الزوج شخصياً عليه.

٤ - لعله عليه السلام أراد بذلك تعليم الأمة إرجاع الأمور إلى الخبراء من أهل الفن، وبيان أهمية التخصص ومكانة المتخصصين في المجتمع الإسلامي، ففي كل أمر يرى الإسلام الرجوع فيه إلى أهل فنه وخبرته، ففي أمر الزواج إلى العارف

بالأنساب، وفي العمران إلى المهندس العالم بالعمارة، وفي التجارة إلى الخبير في أمرها، وفي الدين إلى المرجع الديني، وفي الحكومة والقيادة إلى من اختاره الله حاكماً وقائداً من الأئمة الطاهرين عليهم السلام زمن حضورهم، وشورى المراجع الفقهاء زمن غيبتهم عليهم السلام وهكذا.

٥ - لعله أراد عليه السلام بذلك إظهار شخصية عقيل، وإثبات تخصصه في مجال الأنساب، حتى يكون من يمدحه عقيل في نسبه - من أمثال حزام وأم البنين - مرفوع الرأس بين الناس ومعتمداً، ومن يذمه عقيل في نسبه - من أمثال معاوية وهند - سنداً لخزيهم في الناس ومستنداً.

٦ - لعله عليه السلام أراد بذلك الإخبار عن قضية كربلاء، والإشارة إلى فاجعة عاشوراء: من شهادة الإمام الحسين عليه السلام ومظلومية أبي الفضل العباس عليه السلام، وجناية بني أمية في حق أهل بيت نبيهم، وقتل ذريته، وسبي حريمه، حتى لا يدع مجالاً لأحد أن يدعي بعد ذلك عدم علم الإمام الحسين عليه السلام بشهادته من نهضته الإصلاحية، وأنه خرج يطلب الحكومة والسلطان - والعياذ بالله - وليؤكد للناس أنه عليه السلام إنما يخرج ليحيي بشهادته الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وينقذ بذلك الإسلام، والأمة الإسلامية.

[الام المباركة]

نعم كانت أم البنين كما أرادها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام - وبشهادة عقيل - من أصل كريم، وفرع قويم، ومن خيرة النساء الفاضلات، المعتقدات بحق أهل البيت عليهم السلام، وكانت مخلصة في ولائها لهم، ممحضة في مودتهم ومحبتهم، حتى حضت عندهم بالجاه الوجيه، والمحل الرفيع، والمقام المنيع.

ولقد زارتها السيِّدة زينب الكبرى عليها السلام - على ما نقل من مجموعة الشهيد الأوَّل - بعد وصولها إلى المدينة، أي: عند عودتها من سفره كربلاء المفجعة، وذلك لتعزيها بأولادها الأربعة الذين استشهدوا بين يدي إمامهم الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء، كما كانت تزورها أيَّام العيد أيضاً، وهذا ممَّا يدلُّ على علوِّ مقام هذه الأم المباركة أمَّ البنين، وسموِّ منزلتها عند أهل البيت عليهم السلام.

كيف لا وقد كانت أمَّ البنين بمنزلة الأمِّ للسيِّدة زينب عليها السلام وأختها أمَّ كلثوم، وشقيقها الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام، فإنَّها حين جاءت إلى بيت الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عاملت أبناء الزهراء عليهن السلام معاملة الأمِّ الحنون، وكانت لهم كما تكون الأمُّ العظوفة لأولادها، بل وأكثر، فإنَّها كانت ترى نفسها فخورة بخدمتهم عليهم السلام، ولذا كانت تقدِّمهم على أولادها، وتعني بهم أكثر ممَّا تعني بأبنائها، وترى القيام بشأنهم واجباً عليها، وفريضة كتبها الله في ذمتها، فإنَّهم قريبي الرسول ﷺ الذين أوجب الله تعالى على العباد مودَّتهم ومحبتهم، وتبجيلهم وإكرامهم.

حتَّى روي أنَّها لما زفَّت إلى بيت الإمام أمير المؤمنين عليه السلام صادفت الإمامين: الحسن والحسين عليهما السلام مريضين، فأخذت تمرّضهما، وتقوم برعايتهما، وتلاطفهما في القول، وتطيّب لهما في الكلام، حتَّى عوفيا من مرضهما، وبرئا من علَّتتهما.

ثمَّ إنَّها - على ما قيل - طلبت من الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أن يعهد إلى أهل بيته بأن لا يدعوها أحد بعد ذلك باسمها: «فاطمة» مخافة أن يتذكَّر أبناء الزهراء عليهن السلام أمَّهم، فيتجدَّد لهم حزنهم، ويعود عليهم مصابهم، ويتذكَّروا غصصهم وأشجانهم، وإنَّما أرادت منه عليها السلام أن يدعوها بكينيتها «أمَّ البنين» وكذلك فعل عليها السلام.

[مقام أم البنين عند الله]

ثم إنه على أثر إخلاص السيِّدة أم البنين في ودها ومحبتها بالنسبة إلى رسول الله ﷺ وذريته الطيبين، وما قدَّمته من عناية ورعاية لأبناء الزهراء عليهن السلام، وما عرفته لهم من الحقوق التي فرضها الله تعالى لهم على عباده من السمع والطاعة، والتبجيل والتكريم، خصَّها الله تعالى بمقام شامخ وجعلها باباً من أبواب الحوائج، كما خصَّ ولدها العباس عليه السلام بذلك أيضاً، حيث جعله عليه السلام باباً للحوائج، وملجأ في المهمَّات والمصاعب، فما رجاها طالب حاجة، أو قصدها صاحب همٍّ وغمٍّ، ونذر الله تعالى أن يهدي لروحها شيئاً من الدعاء والصلاة، والبرِّ والخيرات، إلَّا وقضى الله تعالى له حاجته، وفرَّج عنه همّه وغمّه، كلَّ ذلك إكراماً من الله تعالى للسيِّدة أم البنين سلام الله عليها مقابل إخلاصها ووفائها.

[أم البنين وإرهاصات الولادة]

قيل: إنَّ والد أم البنين حزام بن خالد بن ربيعة كان في سفر له مع جماعة من قومه، فرأى ذات ليلة في منامه كأنه جالس في أرض خصبة، وقد انعزل ناحية ويده دُرَّة يقبُّبها وهو متعجب من صفاتها وتلائمها، وإذا بفارس قد أقبل إليه من صدر البرية وقال له بعد السلام والتحية، وهو يشير إلى الدُرَّة: بكم تبيع هذه؟ فقال له حزام: إنِّي لم أعرف قيمتها ولكن أنت بكم تشتريها؟ فقال الفارس: إنِّي أيضاً لم أعرف قيمتها ولكن أقترح عليك أن تهديها إلى من هو جدير بأن يُهدى إليه، وحقيق بأن يُتحف بها، وأنا أضمن لك عنده شيئاً هو أغلى من الدراهم والدنانير.

فقال له حزام: وما هو ذلك الشيء الأغلى من الدراهم والدنانير؟
قال الفارس: أضمن لك الخطوة عنده، والزلفى لديه، والشرف والسودد
أبد الأبدين.

فقال حزام: أو تضمن لي ذلك؟
قال الفارس وبكلّ صلابة: نعم أضمن لك ذلك.
فقال حزام: وتكون أنت الواسطة والكفيل أيضاً في ذلك؟
قال الفارس وبكلّ قوة: نعم وأكون أنا الواسطة والكفيل لو فوّضتني أمرها
وخوّلتني فيها، فأعطاء حزام إياها وفوّضه في أمرها.
فلما انتبه حزام من نومه قصّ رؤياه على من كان معه من قومه، فقال له
أحدهم: إن صدقت رؤياك فإنّك ترزق بنتاً، ويخطبها منك أحد العظماء، وتنال
عنده بسببها الشرف والسودد.

فلما رجع حزام من سفره وكانت زوجته ثمامة حاملاً بفاطمة أم البنين
رآها قد وضعت بها، فبشّروه بذلك فتهلّل وجهه فرحاً، وسرّ سروراً كبيراً، وقال
في نفسه: قد صدقت الرؤيا.

فلما قيل له: ما نسيتها؟ أجاب: سمّوها فاطمة، وكنّوها أم البنين.
ثم نشأت الوليدة نشأة صالحة في أحضان أمّها ثمامة، وعلى يدي أبيها
حزام، وتادّبت في بيت الوالدين بآداب العرب، وأخلاق الصالحين الأبرار،
وشيم النبلاء الأحرار، حتّى بلغت مبلغاً لاثقاً تأهّلت به للزواج، وتمكّنت من
إدارة الشؤون البيّتيّة والعائليّة، وذلك بعد أن ارتفعت إلى مستوى عال من الأدب
والكمال، بحيث استطاعت عبره لأن تكون زوجة لأشرف خلق الله تعالى بعد
الرسول ﷺ وأماً لذريّة رسول الله ﷺ.

[عقيل يخطب للإمام أمير المؤمنين عليه السلام]

نعم لما طرح الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على أخيه عقيل أمر الزواج وطلب مشورته فيه، إقترح عليه عقيل أن يتزوج بفاطمة الوحيدة الكلالية، ذات الأسرة العريقة، والمنزلة الرفيعة، والأصالة والنجابة، والشجاعة والشهامة، وما أن وافق الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على اقتراح أخيه، وقبل منه مشورته، إلّا وأخذ عقيل يهتئ مقدّمات هذا الزواج المبارك، ويعدّ له مستلزماته، فقام بخطبة فاطمة الكلالية من أبيها حزام.

كان مسكن حزام حينئذ خارج المدينة، فقصده عقيل بكلّ رجاء وأمل، ونزل بكلّ عزّ وشرف على حزام في مضيفه هناك، فرحّب به حزام، ونحر له واستضافه بكلّ حفاوة، وأكرمه غاية الإكرام، وكانت العادة حينئذ جارية على أنّهم كانوا لا يسألون الضيف عن حاجته إلّا بعد ثلاثة أيّام من استضافته، فلما صار اليوم الرابع أقبل حزام وجلس إلى جانب عقيل وقال له بكلّ إحترام وتبجيل: هل لك يا أخي من حاجة فتقضى، أو ملة فتمضى، من مال أو رجال وعدد أو عُدّة، فإنّا نحن رهن إشارتكم، ومن المؤتمرين بأوامركم؟ فأجابه عقيل شاكرًا عواطفه وشعوره الطيّب قائلاً: جئتك بالشرف الشامخ، والمجد الباذخ.

فقال حزام مستفسراً: وما هو ذلك يا بن عمّ الرسول ﷺ؟
قال عقيل: جئتك خاطباً.

فقال حزام وبكلّ حرارة: مَنْ ولمن؟

فأجابه عقيل وبكامل الصدق والصراحة: جئتك لأخطب ابنتك الحرّة

فاطمة أمّ البنين، إلى يعسوب الدين، وقائد الغر المحجلين، وإمام المتقين، وسيد الوصيّن، الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن عبد مناف صلوات الله عليهم أجمعين.

عندها هتّ حزام وبشّ والتفت إلى عقيل وهو لا يتمالك نفسه فرحاً وسروراً وقال: على الرّحب والسّعة، والإقبال والدعة، فلقد جئنا بخير الدّنيا والآخرة، وجلبت لنا الشّرف الرّفيع، والمجد المنيع، ونحن نتشرف بهذه المصاهرة، ونفتخر بهذه الوصلة، فمن مثل علي بن أبي طالب أمير المؤمنين، ووصي رسول ربّ العالمين، وحجّة الله على الخلق أجمعين، إمام الإنس والجنّة، قسيم النّار والجنّة؟ ولكن يا ابن عمّ رسول الله! أين نحن منه؟ وأين ابتنا من جنابه؟ فبالإضافة إلى أنّنا أناس عاديّون، نحن أناس قرويّون، وإنّ ابتنا من أهل

القرى والبادية، وهل تصلح قرويّة ريفيّة، لإمام مكّي مدني؟ وما أن أتمّ حزام كلامه حتّى ابتدره عقيل قائلاً: أعلم يا أبا المحل! - وأبو المحل كنية حزام - بأنّ أخي الإمام أمير المؤمنين ﷺ يعلم كلّ ما قلّته، ولا يخفى عليه شيء ممّا بيّنته، وإنّه مع ذلك يرغب في مصاهرتك، ويحبّ أن يتزوّج منكم، وقد رضي بأن تكون ابنتكم زوجة له، وربّة بيته، وأماً حنوناً لأولاده.

عندها قال حزام: إذن يا ابن عمّ رسول الله ﷺ أمهلني حتّى أستشير أمّها في ذلك، وأسألها عن صلاحية ابنتها وأهليّتها للزّواج، فإنّ الأم أعلم بحال ابنتها من الأب، وأعرف منه بأخلاق ابنتها وآدابها، حتّى إذا أشارت عليّ بالقبول، عرضت على ابنتي فاطمة، أمر زواجها لأعرف موافقتها ورضاها بذلك.

[حزام يستشير ثمامة]

فقال له عقيل: لك ذلك يا أخا بني هوازن.

لمّا أذن عقيل لحزام في الإستشارة قام حزام وأقبل إلى البيت، وعندما دخله إذا به يرى ابنته فاطمة جالسة بين يدي أمّها ثمامة لترجيل شعرها، فالأمّ تشمط رأس ابنتها، وتسرح شعرها، والبنت تحدّث أمّها، وتستأذنها في أن تقصّ عليها رؤياً كانت قد رأتها وهي تقول: أمّاه لقد رأيت في منامي البارحة رؤياً عجيبة، أحبّ أن أقصّها عليك يا أمّاه.

فقالت الأمّ لابنتها بحرارة وبكل عطف وحنان: خيراً رأيت يا بنية، نعم قصّها عليّ.

وهنا وقف حزام في مكان لا يراه أحد منهما وأخذ يستمع رؤياً ابنته، فسمعها تقول: يا أمّاه رأيت في منامي البارحة كأنّي جالسة في روضة غناء، ذات أشجار مثمرة، وأنهار جارية، وكان الوقت ليلاً لكن ليلة مقمرة، حيث السماء صاحية، والنجوم ساطعة، والقمر تامّاً، وقد أرسل القمر أضواءه الفضية على الروضة، وأكسبها جمالاً فائضاً، وبهجة رائعة، وكنت أنا في تلك اللحظات أفكر في عظمة الله، خالق السماء والأرض، ومبدع الشمس والقمر، فبينما أنا كذلك وإذا بالقمر قد انقضّ من كبد السماء، وهوى نحو الأرض، ووقع في حجري، وهو يتلألاً نوراً يغشي الأبصار، ويبهير العيون، فتعجّبت من ذلك كثيراً، ولكن زاد تعجّبي عندما رأيت ثلاثة نجوم زواهر تنقضّ من السماء نحو الأرض وتسقط في حجري أيضاً، وهي تتلألاً نوراً، وتشعّ سناً وضوءاً، وإذا بها تف يهتف بي حينئذ ويقول:

بشراك فاطمة بالسادة الغرر ثلاثة أنجم والزاهر القمر
أبوهم سيّد في الخلق قاطبة بعد الرّسول كذا قد جاء في الخبر
ثمّ أضافت قائلة : فما أن سمعتُ ذلك حتّى انتبهت من نومي وأنا فزعة ، ثمّ
قالت : هذه يا أمّاه كانت رؤياي الّتي رأيته البارحة في منامي ، فما هو تأويلها
وتفسيرها ؟

فقال لها أمّها وهي تفسّر لها رؤياها : خيراً يا بنيّة رؤياك ، فإنّها تنبئ عني
أنّك ستصبحين زوجة لرجل له عند الله جاه عظيم ، وشأن رفيع ، وقدر كبير ، سيّد
في قومه ، مطاع في عشيرته ، عظيم عند النّاس ، كبير عند الله ، وترزقين منه أربعة
أولاد ، أولهم أكبرهم قدراً ، وأعظمهم منزلة ، يكون كالقمر ، ويكون الثلاثة الباقيون
بالنسبة إليه كالنجوم الزواهر .

والى هذا المعنى أشار الشاعر بقوله :

صدقت به رؤيا رأته فاطم قبل القران بمن به عرف التّقى
قمرأ رأّت ينقض من كبد السّما يهوي بأحضان الحصانة مشرقا
تقفوه من أبهى النجوم ثلاثة يفدو الزمان لحسنهم متشوقا

[الرؤيا الصادقة]

وهنا عندما تمّ حديث الأمّ وبنّتها ، ظهر عليهما حزام وحيّاهما بالسّلام ،
وقال مبتسم النفر ، مبتهج القلب : لقد تحقّقت رؤياك يا بنيّة ، فهذا ابن عمّ رسول
الله ﷺ عقيل بن أبيطالب عليه السلام جاء يخطبك منّا .

فوجئت الأمّ وابنتها بهذا النّبأ السارّ الذي جاء مفسّراً للرؤيا ومطابقاً لها ،
فطأطأت البنت رأسها حياءاً ، وغضّت طرفها خجلاً ، بينما رفعت الأمّ رأسها

والتفتت إلى حزام وهي تقول: لمن يخطبها؟

قال حزام: لفلال الكتائب، ومظهر العجائب، فارس المشارق والمغرب، أسد الله الغالب، علي بن أبيطالب عليه السلام.

فقالت الأمُّ بلهفة واشتياق: وما الذي أجبت به عقيلاً يا حزام؟

قال حزام: إستمهلتته حتى استشيرك في الأمر، وأرى رأيك في ذلك، ثم أضاف: فما ترين يا ثمامة؟ هل ترين ابنتنا مؤهلة للزواج، وكفوءة لأن تكون زوجة لوصي رسول الله ﷺ، والحجة على خلق الله، الإمام أمير المؤمنين، وإمام المتقين، علي بن أبيطالب عليه السلام؟

فأجابت الأمُّ وبكل بهجة وإعجاب: نعم يا حزام، إنَّ ابنتنا وبحمد الله عاقلة نبهة، وأدبية أريية، لقد رأيت فيها الكفائة منذ صغرها، وأحسست منها التفوق والنبوغ من أيامها الأولى، فأدبته بآداب العرب، وربيتها تربية الصالحين، وأعددتها إعداداً تأهلت عبره لأن تكون زوجة صالحة، وأماً عطوفاً، وربة بيت مديرة ومدبرة، فأرجو الله أن تكون عند حسن ظننا، وأن تبيض بسيرتها الحسنة عند الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وجوهنا.

عندها تهلل وجه حزام، وأقبل على ابنته يسألها عن رأيها، ويستعلم موافقتها ورضاها بالزواج من الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، ثم بقي بعد أن عرض عليها أمر الزواج يترقب رأيها، وينتظر جوابها، لكن ما كان جواب البنت اللبية عن رضاها بهذا الزواج المبارك إلا سكوتها، فإنَّ السكوت علامة الرضا، عندها طار الأب فرحاً، وغادر البيت مسرعاً، واتَّجه إلى المضيف ليلتقي بعقيل الذي تركه هناك ينتظره، ويترقب جوابه حتى يبشّره بالموافقة والقبول.

[مَهْر السَنَةِ]

فلما دخل حزام المضيف تلقاه عقيل متسائلاً وهو يقول : ما ورائك يا أبا المحل ؟

فأجابه حزام : يا ابن عمّ رسول الله ﷺ ! كلّ الخير إنشاء الله تعالى ، لقد رضينا بأن تكون ابنتنا خادمة متواضعة في بيت النبوة والإمامة ، إن قبلها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بذلك ؟

فقال له عقيل : يا أبا المحل لا تقل خادمة متواضعة ولكن قل : زوجة وقيّة ، وقرينة كريمة ، ثمّ واصل عقيل كلامه وقال : لا بدّ للمرأة من صداق فهل لكم اقتراح فيه ؟

قال حزام : لا ، وإنما نفوّض ذلك يا ابن عمّ الرسول ﷺ إليك .
فقال عقيل وهو يشكره على ذلك : أعلم يا أبا المحل ! إنّ أهل بيت رسول الله ﷺ لا يتجاوزون في صداق بناتهم ونسائهم ما سنّه رسول الله ﷺ من الصداق لبناته ونسائه وهو : خمسمائة درهم .

فقال له حزام : ونحن أيضاً لا ينبغي لنا أن نتجاوز ما سنّه رسول الله ﷺ من المهر والصداق ، رضينا وسلّمنا .

ثمّ نهض حزام لإبلاغ الأمر إلى عياله ، وذلك بعد أن استأذن من عقيل واسترخصه ، فتوجّه نحو البيت ، فلما دخله إلّفت إلى زوجته ثمامة وابنته فاطمة وقال لهما بكلّ بهجة وسرور : البشارة البشارة ، لقد رضي عقيل بن أبيطالب ابنتنا فاطمة لأخيه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على مهر السنّة ، وهو خمسمائة درهم ، فإنّه الصداق الذي سنّه رسول الله ﷺ لأزواجه وبناته .

فسجدت ثمامة شكراً لله تعالى وهي تقول: الحمد لله الذي شرفنا بهذه المصاهرة، وكرمنا بوصلة وصي رسول الله ﷺ، ثم أقبلت على ابنتها فاطمة تقبلها، كما وأخذت تهنئها بهذه الكرامة التي أكرمها الله بها، والشرف الذي تشرفت به، وتوصيها بحسن الأخلاق والسيرة، وتحثها على خدمة زوجها، وخدمة أولاده ذرية رسول الله ﷺ، وذلك بكل إخلاص، وكامل الجد والجهد.

[إعلان الخطبة]

ثم إن حزام خرج بعد ذلك ودعى عشيرته وقومه من بني كلاب وبني عامر، ليحضروا مجلس الخطبة، فلما حضروا قام فيهم عقيل خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسول الله ﷺ وأهل بيته الطاهرين ﷺ ثم قال: أما بعد: فاعلموا يا بني كلاب! ويا بني عامر بن صعصعة! إن الله قد منّ علينا إذ بعث فينا رسولاً من أنفسنا محمداً ﷺ فجائنا بدين الله القويم، الذي ارتضاه الله لنا، إذ يقول تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ ويقول تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ وأمرنا بنبذ البغضاء والشحناء، وأوجب علينا التعارف وصلة الأرحام، إذ يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ وحرّم علينا الزنا والسفاح، وأحلّ لنا الزّواج والنكاح، إذ يقول تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا، وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾. وقال رسول الله ﷺ: «تناكحوا تناسلوا، فإنّي مباهٍ بكم الأمم» وهذا وصي رسول الله ﷺ وابن عمّ نبيكم، الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بن عبدالمطلب بن هاشم ﷺ، قد أحبّ مصاهركم، وخطب

إليكم كريمتكم فاطمة أمّ البنين بنت حزام بن خالد بن ربيعة، على كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ وقد قال الله تعالى: ﴿فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُوكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ثمّ جلس.

عندها قام حزام بن خالد وقال بعد الحمد والثناء على الله تعالى، والصلاة والسلام على رسوله محمد ﷺ وآله الطاهرين: أمّا بعد: فيا قوم قد سمعتم ما قاله ابن عمّ رسول الله ﷺ عقيل بن أبطالب: من ذكر نبيّنا محمد ﷺ ودين الإسلام القويم، وإنّي أشهدكم، وأشهد الله أنّي أدّين بدين هذا النبيّ الكريم، وأطيعه فيما نهى عنه وأمر به، وقد ارتضيت وصيّّه أمير المؤمنين علي بن أبطالب عليه السلام لابنتي فاطمة بعلاً، وارتضيتها له سكناً، وأنتم عشيرتي وقومي فما تقولون في هذا الأمر؟

فقالوا في جوابه: ما تريد أن تقول في وصيّ رسول الله ﷺ وابن عمّ نبيّكم؟ إنّّه أكرم الناس نسباً وحسباً، وأعظمهم شرفاً وسؤدداً، ولنا الفخر والشرف بالانتمساب إليه، والوصلة معه، فنعم ما صنعت، وخير ما فعلت.

[في بيت الإمام أمير المؤمنين عليه السلام]

ثمّ إنّّه بعد إتمام الخطبة، وإجراء صيغة العقد، وإرسال الصداق والهدايا، وتجهيز الجهاز واللوازم، زوّجت فاطمة أمّ البنين إلى زوجها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وكان ذلك طبعاً بعد شهادة الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام، فإنّ السيدة أمّ البنين - على ما يراه بعض المؤرّخين - كانت هي أوّل من تزوّجها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بعد فاطمة الزهراء عليها السلام، أو إنّها كانت الثانية بعد تزوّجه عليه السلام أولاً.

بأمامة بنت زينب بنت رسول الله ﷺ على ما يراه بعض آخر من المؤرخين .
وكيف كان : فإنَّ أمَّ البنين لما جاءت في بيت الإمام أمير المؤمنين عليه السلام كانت
له ولأولاده عليه السلام كما رجاها أبوها حزام ، وأمها ثمامة ، وكما وصفها عقيل بن
أبي طالب عليه السلام ، فإنَّها عاشت معه عليه السلام زوجة وفية ، وقرينة كريمة ، وربّة بيت مدبرة ،
وأماً حنوناً لأولاده عليه السلام : ذريّة رسول الله ﷺ .

ثم إنّها أنجبت له عليه السلام نبيناً أربعة ، أولهم وأفضلهم : قمر العشيرة أبو الفضل
العباس عليه السلام ، وثانيهم : عبد الله ، وثالثهم : جعفر ، ورابعهم : عثمان ، وتحقّق صدق
كنيتها : أمَّ البنين ، بهؤلاء الأشبال الأربعة ، بل الأسود البواسل ، حيث أنّهم وخاصّة
أبو الفضل العباس عليه السلام ، قد ورثوا الشجاعة من أبيهم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، ومن
أمّهم فاطمة الوحيدة الكلاية ، التي كانت قد ورثت الشجاعة من آبائها وأسلافها
الفرسان الشجعان .

كما أنّهم ورثوا منهما المحاسن والمكارم ، والفضائل والمناقب ، والصدق
والوفاء ، والمحبة والولاء ، فقد كانوا لأخيهم الإمام الحسين عليه السلام مطيعين مواليين ،
وفي حبّهم له من المخلصين الصادقين ، وبإمامته من المعترفين المقرّين ، ولم
يرضوا بأقلّ من أن يضخّوا بأنفسهم من أجله ، وبأرواحهم دون روحه .

وبالفعل فإنّهم رغم المغريات والتطميع بإمارة جيش بني أميّة ، وموائيق
الأمان التي عرضت عليهم من قبل ابن زياد ، لم يتركوا أخاهم الإمام
الحسين عليه السلام ، ولم ينصرفوا عنه ، بل قاتلوا دونه حتّى قتلوا فداءً له ، وتضّرّجوا
بدمائهم وقاءاً لدمه ، وذلك كلّ بفضل وفاء أمّهم أمَّ البنين ، وإخلاصها لرسول
الله ﷺ وذريّته ، حيث كانت تعلّمهم كيف يضخّوا من أجل إمامهم الحسين عليه السلام ،
وكيف يقوه بأنفسهم ، ويفدوه بأرواحهم ، ويُرخصوا دمائهم الغالية وقاءاً لدمه
الطاهر ، وذلك من حين طفولتهم ، ونعومة أظفارهم ، فقد دوّبت في تعليمهم
وتربيتهم على ذلك وتنشئتهم عليه .

[الزواج الأمثل]

لقد كان في طريقة زواج الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وكيفية إنتخابه لأمّ البنين واختياره إتيانها زوجة له، وأماً لأولاده، درس للمسلمين، وعبرة لهم، حتّى يكونوا في أمر الزّواج على بصيرة، ويقدموا على ذلك عن تحقيق ومشورة، فإنّ الزّواج هو اللبنة الأولى في بنيان الأسرة، والحجر الأساس لتشييد أركانها، وبصلاح الأسرة يصلح المجتمع، والعكس بالعكس، ولذلك اعتنى الإسلام بالزواج وبالزوجين وخاصّة المرأة ما لم يعتن بها وبشؤونها دين من الأديان السماويّة، ولا مبدأ من المبادئ الأرضيّة، والإمام أمير المؤمنين عليه السلام إنّما جسّد بزواجه هذا ما جاء في القرآن الحكيم، والسنة الكريمة، والأحاديث الشريفة، من الحثّ على التحقيق والتدقيق في أمر الزّواج، وانتخاب ذوي البيوتات والشرف، والإيمان والتقوى، واجتناب ما خبث ولؤم، فقد روي أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قام خطيباً وقال: «أيّها النّاس! إيّاكم وخضراء الدّمن، قيل: يا رسول الله! وما خضراء الدّمن؟ قال صلى الله عليه وآله: المرأة الحسناء في منبت السّوء».

وقال صلى الله عليه وآله: «أغلب الأعداء للمؤمن زوجة السوء».

وقال صلى الله عليه وآله: «ذروا الحسناء العاقر، وعليكم بالسوداء الولود، فإنّي مكاثر بكم الأمم حتّى بالسقط».

وقال صلى الله عليه وآله: «إعلموا أنّ المرأة السّوداء إذا كانت ولوداً، أحبّ إليّ من الحسناء العاقر».

وكان النّبيّ صلى الله عليه وآله يقول في دعائه: «اللهمّ إني أعوذ بك من ولد يكون عليّ ربّاً، ومن مال يكون عليّ ضياعاً، ومن زوجة تشيبيني قبل أوان مشيبي».

[الزوجة الصالحة]

قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بخير نسائكم؟ قالوا: بلى. قال: إن خير نسائكم: الولود، الودود، الستيرة، العفيفة، العزيزة في أهلها، الذليلة مع بعليها، المتبرجة مع زوجها، الحصان عن غيره، التي تسمع قوله، وتطيع أمره، وإذا خلا بها بذلت له ما أراد منها، ولم تتبذل له تبذل الرجل (أي: لم تترك الزينة له)». وقال ﷺ أيضاً: «تزوجوا للرزق، فإنَّ لهنَّ البركة».

وقال ﷺ أيضاً: «ألا أخبركم بشرَّ نسائكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله أخبرنا. قال: إنَّ شرَّ نسائكم: الذليلة في أهلها، العزيزة مع بعليها، العقيم، الحقود، التي لا تتورع عن قبيح، المتبرجة إذا غاب عنها زوجها، الحصان معه إذا حضر، التي لا تسمع قوله، ولا تطيع أمره، فإذا خلا بها تمنعت تمنع الصعبة عند ركوبها، ولا تقبل له عذراً، ولا تغفر له ذنباً».

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «تزوج عيئاً، سمراء، عجزاء، مربوعة، فإن كرهتها فعليَّ الصداق».

وعنه عليه السلام أيضاً قال: «من أراد الباءة فليتزوج بامرأة قريبة من الأرض، بعيدة ما بين المنكبين، سمراء اللون، فإن لم يحظ بها فعليَّ مهرها».

وعنه عليه السلام أيضاً قال: «عقول النساء في جمالهنَّ، وجمال الرجال في عقولهم، وكان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يتزوج امرأة بعث إليها من ينظر إليها، وقال: سمَّ ليته، فإن طاب ليته طاب عرفها، وإن درم كعبها عظم كعبها».

وعنه عليه السلام أيضاً قال: «يظهر في آخر الزمان واقتراب القيامة، وهو شرُّ الأزمنة، نسوة متبرجات، كاشفات، عاريات من الدين، داخلات في الفتن،

مائلات إلى الشهوات، مسرعات إلى اللذات، مستحلات للمحرّمات، في جهنّم خالدات».

وقال عليّ بن الحسين عليه السلام: «إذا أراد أحدكم أن يتزوّج فليسأل عن شعرها كما يسأل عن وجهها، فإنّ الشعر أحد الجمالين».

وقال عليه السلام أيضاً: «خير نسائكُم: الطيّبة الريح، الطيّبة الطعام، التي إن أنفقت، أنفقت بمعروف، وإن أمسكت، أمسكت بمعروف، فتلك من عمّال الله، وعامل الله لا يخيب ولا يندم».

وقال أبو عبدالله الصادق عليه السلام: «خير نسائكُم: التي إن غضبت، أو أغضبت، قالت لزوجها: يدي في يدك، لا أكتحل بغمض حتّى ترضى عني».

وقال عليه السلام أيضاً: «من بركة المرأة قلة مؤونتها، وتيسير ولادتها، ومن شؤمها شدة مؤنتها، وتعسير ولادتها».

وقال عليه السلام أيضاً: «الخيرات الحسان من نساء أهل الدّنيا، هنّ أجمل من الحور العين».

وعنه عليه السلام أيضاً قال: «قال رسول الله ﷺ: أفضل نساء أمّتي: أصبحهنّ وجهاً، وأقْلهنّ مهراً».

وعنه عليه السلام أيضاً قال: «الحياء عشرة أجزاء، تسعة في النّساء، وواحد في الرّجال، فإذا خفضت المرأة ذهب جزء من حياتها، وإذا تزوّجت ذهب جزء، وإذا افتترعت ذهب جزء، وإذا ولدت ذهب جزء، وبقي لها خمسة أجزاء، فإنّ فجرت ذهب حياتها كلّها، وإعقت بقي لها خمسة أجزاء».

وعن داود الكرخي قال: «قلت لأبي عبدالله عليه السلام: إنّ صاحبتني هلكت وكانت لي موافقة، وقد هممت أن أتزوّج، فقال: أنظر أين تضع نفسك، ومن تشركه في مالك، وتطلعه على دينك وسرّك وأمانتك، فإن كنت لابداً فاعلاً،

فبكراً تنسب إلى الخير، وإلى حسن الخلق».

ولقد أوصت بنت الحارث ابنتها حين زوّت إلى زوجها قائلة: يا بنية!
احملي عني - إلى بيت زوجك - عشر خصال تكن لك ذخراً وذكراً:

١ - الصّحبة بالقناعة.

٢ - والمعاشرة بحسن السمع والطاعة.

٣ - والتعهد لموقع عينه والتفقد لموضع أنفه، فلا تقع عينه منك على قبيح،
ولا يشمّ منك إلاّ أطيب ريح.

٤ - والتعهد لوقت طعامه.

٥ - والهدوء عنه عند منامه.

٦ - والإحفاظ ببيت ماله والإرعاء على نفسه وحشمه وعياله.

٧ - ولا تفشي له سرّاً.

٨ - ولا تعصي له أمراً.

٩ - ثمّ اتقي الفرح أمامه إن كان ترحاً، والإكتئاب عنده إن كان فرحاً.

١٠ - وكوني أشدّ ما تكونين له إعظماً يكن أشدّ ما يكون لك إكراماً، وأشدّ
ما تكونين له موافقة يكن أطول ما يكون لك مرافقة.

[الزوج الصّالح]

عن النبي ﷺ أنّه قال: «إنّ أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً،
وخياركم خياركم لنسائهم».

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «حبّ النساء من أخلاق الأنبياء».

وقال عليه السلام أيضاً: «ما أظن رجلاً يزدد في هذا الأمر (أي: التشيع) وأتباع

طريقة أهل البيت (عليه السلام) خيراً، إلا إزداد حباً للنساء».

وعنه (عليه السلام) أيضاً: «العبد كلما إزداد في النساء حباً، إزداد في الإيمان فضلاً».

وقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): «من زوّج كريمته من فاسق، فقد قطع رحمه».

وقال (عليه السلام): «مَنْ شرب الخمر بعد ما حرّمها الله فليس بأهل أن يزوّج إذا خطب».

وعن الإمام الرضا (عليه السلام) انه قال: «إياك أن تزوّج شارب الخمر، فإن زوّجته فكأنما قد إلى الزنا».

وقال أبو عبدالله (عليه السلام): «لا تتزوّجوا المرأة المستعلنة بالزّنا، ولا تزوّجوا الرّجل المستعلن بالزّنا، إلا أن تعرفوا منهم التوبة».

وعن الحسين بن بشار قال: «كتبت إلى أبي الحسن (عليه السلام): أن لي ذا قرابة قد خطب إليّ وفي خلقه سوء؟ قال: لا تزوّجه إن كان سيّء الخلق».

وعن الحسين بن بشار أيضاً قال: «كتبت إلى أبي جعفر (عليه السلام) في رجل خطب إليّ؟ فكتب (عليه السلام): من خطب إليكم فرضيتم دينه وأمانته، كائناً من كان فزوّجوه، ﴿إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير﴾».

«وكتب علي بن أسباط إلى أبي جعفر في أمر بناته: أنّه لا يجد أحداً مثله؟ فكتب إليه أبو جعفر (عليه السلام): فهمت ما ذكرت من أمر بناتك وأنت لا تجد أحداً مثلك، فلا تنظر في ذلك يرحمك الله، فإنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: إذا جاءكم من ترضون خلقه فزوّجوه ﴿إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير﴾».

وروي أنّه جاء رجل إلى الإمام الحسن (عليه السلام) يستشيريه في تزويج ابنته؟ فقال (عليه السلام): زوّجها من رجل تقى، فإنّه إن أحبّها أكرمها، وإن أبغضها لم يظلمها.

[المؤمن كفو المؤمن]

قال رسول الله ﷺ: «إنما أنا بشر مثلكم، أتزوج فيكم وأزوجهكم، إلا فاطمة ؓ فإن تزويجها نزل من السماء».

وروي: أنه نظر رسول الله ﷺ إلى أولاد علي وجعفر فقال: بناتنا لبنينا، وبنونا لبناتنا».

وقال أبو عبد الله الصادق ؓ: المؤمنون بعضهم أكفاء بعض».

وقال ؓ أيضاً: «الكفو: أن يكون عفيفاً وعنده يسار».

وقال رسول الله ﷺ: أنكحت زيد بن حارثة زينب بنت جحش، وأنكحت المقداد ضباعة بنت الزبير بن عبدالمطلب، ليعلموا أن أشرف الشرف الإسلام».

وعن أبي عبد الله الصادق ؓ قال: «إذا تزوج الرجل المرأة لمالها أو جمالها، لم يرزق ذلك، فإن تزوجها لدينها رزقه الله عز وجل مالها وجمالها».

وقال علي بن الحسين ؓ: «من تزوج لله عز وجل، ولصلة الرحم، توجه الله تاج الملك».

وعن أبي عبد الله الصادق ؓ قال: «قال أمير المؤمنين ؓ: أفضل الشفاعات أن تشفع بين اثنين في نكاح حتى يجمع الله بينهما».

وعن أبي جعفر ؓ قال: «قال رسول الله ﷺ: ما يمنع المؤمن أن يتخذ أهلاً، لعل الله أن يرزقه نسمة تثقل الأرض بلائله إلا الله».

وعن أبي الحسن ؓ قال: «جاء رجل إلى أبي جعفر ؓ فقال ؓ له: هل لك من زوجة؟ قال: لا، فقال أبو جعفر ؓ: لا أحب أن لي الدنيا وما فيها، وأن

أبيت ليلة وليس لي زوجة، ثم قال: إن ركعتين يصلّيهما متزوّج أفضل من رجل عزب يقوم ليلة، ويصوم نهاره».

وعن الإمام الرضا عليه السلام: «إن امرأة سألت أبا جعفر الباقر عليه السلام فقالت: إني متبتلة. فقال لها: وما التبتل عندك؟ قالت: لا أريد التزويج أبداً. قال: ولم؟ قالت: ألتمس في ذلك الفضل، فقال: انصرفي، فلو كان في ذلك فضل لكانت فاطمة عليها السلام أحقّ به منك، إنه ليس أحد يسبقها إلى الفضل».

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «من زوّج أخاه المؤمن امرأة يأنس بها، وتشدّ من عضده، ويستريح إليها، زوّجه الله من الحور العين».

وقال صلى الله عليه وآله: «ما بني بناء في الإسلام أحبّ إلى الله من التزويج».

وقال صلى الله عليه وآله: «من سرّ أن يلقى الله طاهراً مطهراً، فليلقه بزوجة صالحة».

وقال صلى الله عليه وآله: «تزوّجوا النساء فإنهنّ يأتين بالمال».

وقال صلى الله عليه وآله: «من كان له ما يتزوّج به فلم يتزوّج فليس منّا».

وقال صلى الله عليه وآله: «التمسوا الرزق بالنكاح».

وقال صلى الله عليه وآله: «أراذل موتاكم العزّاب».

وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال: «أكثرُوا الخير بالنساء».

وعنه عليه السلام أيضاً قال: «تزوّجوا، ولا تطلقوا فإنّ الطلاق يهتزّ منه العرش».

[الزوجان الكفوّان]

عن كتاب الوافي عن أبي حمزة الثمالي ما مضمونه قال: كنت عند الإمام الباقر عليه السلام إذ دخل عليه رجل، فرحبّ به الإمام عليه السلام وأقبل عليه يتفقّد عن حاله: فقال له الرّجل: يا بن رسول الله! لقد خطبت من فلان وهو أحد مواليكم ابنته،

فردّني، وأعرض عني، واستحققني، نظراً لدمامتي وغرأتي، فدخلني من ذلك ما ضقت به ذراعاً، حتّى أني تمنّيت موتي على أثره.

فقال ﷺ له: لا بأس عليك، أنت رسولي إلى منجح بن رماح لتقول له: إنّ محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبيطالب يقول لك: زوّجني ابنتك ولا تردّني.

فقام ذلك الرّجل مسرعاً، وتوجّه إلى بيت منجح بن رماح ليبلّغه رسالة الإمام الباقر ﷺ في أمر زواجه.

قال أبو حمزة: عندها التفت الإمام الباقر ﷺ إلينا وقال: «جاء رجل من اليمامة واسمه: جوير إلى رسول الله ﷺ يريد الإسلام، فأسلم وحسن إسلامه، وكان رجلاً قصيراً ذميماً، محتاجاً عارياً، وكان من قباح السودان، فتكفّله رسول الله ﷺ وقام برعايته وهو ملازم للمسجد، حتّى إذا كثر عدد المسلمين الملازمين للمسجد نزل الوحي بإخراجهم عن المسجد، وبسدّ الأبواب المفتوحة على المسجد، إلّا باب بيت علي وفاطمة ﷺ، ففعل رسول الله ﷺ ما أمره الوحي، من سدّ الأبواب وإخراج من كان يلازم المسجد وبنام فيه، وبنى لهم خارج المسجد صفةً يلجأون إليها، وكان ﷺ يقوم بنفسه برعايتهم وكفالتهم، ويفتقد أحوالهم كلّ صباح ومساءً. والمسلمون يقتدون به ﷺ في العطف عليهم.

وذات مرّة التفت رسول الله ﷺ إلى جوير وقال له: ألا تحبّ أن تتزوّج امرأة تحصن بها فرجك، وتكون عوناً لك على دنياك وآخرتك؟

فقال جوير بلهفة مشوبة بياس: بأبي أنت وأمي يا رسول الله! ومن ترغب فيّ؟ فوالله مالي من حسب ولا نسب، ولا مال ولا جمال، فأية امرأة ترغب في الزّواج مني؟

فقال ﷺ بعطف وحزم: يا جوير! إنَّ الله قد وضع بالإسلام من كان في الجاهليَّة شريفاً، ورفع بالإسلام من كان في الجاهليَّة وضيعاً، وأباد نخوة الجاهليَّة وغرورها، وأزال بالإسلام التفاخر بالآباء والعشائر، قال الله تعالى: ﴿إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَاكُمْ﴾.

ثمَّ قال ﷺ: فَإِنَّ النَّاسَ الْيَوْمَ كُلَّهُم: أبيضهم وأسودهم، قرشيهم ونبطيهم، عربيهم وعجميهم، من آدم، وإنَّ آدم خلقه الله عزَّ وجلَّ من طين، وإنَّ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ عزَّ وجلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَطْوَعُهُمْ لَهُ وَأَتْقَاهُمْ، وإني يا جوير لم أعرف أحداً من المسلمين يكون أفضل منك إلَّا من كان هو أكثر منك تقوى وطاعة لله تعالى. ثمَّ قال ﷺ: إنطلق يا جوير إلى زياد بن لبيد، فإنَّه من أشرف بني بياضة حسباً فيهم وقل له: إني رسول من رسول الله إليك لأبلغك قوله إليك بتزويجي ابنتك الدلفاء.

فأقبل جوير مسرعاً واستأذن من زياد في الدخول عليه، وكان عنده جماعة من قومه، فدخل وقال بعد السَّلام والتحيَّة: إني رسول من رسول الله ﷺ إليك في حاجة، فهل أبوح لك بها علانية، أم أسرَّ بها إليك خفية؟ فقال زياد: بل قلها علانية، فإنَّها شرف لي وفخر.

فقال جوير: إنَّ رسول الله ﷺ قال لي أن أقول لك: زوّجني ابنتك الدلفاء.

وهنا فوجيء زياد من وقع الرسالة ومضمونها، وذلك لأنَّها كانت على خلاف عاداتهم في الجاهليَّة، فالتفت إليه وقال له متلکناً ومتعجباً: أحقَّ أن رسول الله ﷺ بعثك إليَّ بهذه الرسالة؟

فقال جوير بلا تردّد ولا تأمّل: نعم، فإنني لا أكذب على رسول الله ﷺ. فقال زياد: إنَّا لا نزوّج بناتنا إلَّا من الأكفّاء من بين الأنصار، فارجع حتّى

أتشرف عند رسول الله ﷺ وأعتذر منه على ذلك.
فرجع جوير وهو يقول: والله ليس هذا حكم القرآن ولا سيرة رسول الله ﷺ.

فسمعت كلامه الدلفاء وهي في مخدعها: فأرسلت إلى أبيها تدعوه، فلما جاء قالت له: يا أبه ما خبر جوير؟
فقصّ عليها أبوها قصته وما كان من جوابه له.
فقالت له: والله ما كان جوير ليكذب على رسول الله ﷺ فأرسل إليه من يردّه إلينا.

فأرسل زياد إلى جوير من يردّه، فلما جاء قال له: مرحباً بك اطمئن حتّى أعود إليك.

ثم أتى زياد إلى رسول الله ﷺ وقال بعد التحية والسلام: بأبي أنت وأمي يا رسول الله! لقد جاءني جوير برسالة لم أطمئن بها منه، فاستمهلته حتّى أتشرف بخدمتكم وأقول: بأنّا لا نزوج إلا الأكفاء من بين الأنصار.
فقال له رسول الله ﷺ: يا زياد! إنّ جوير مؤمن، والمؤمن كفو المؤمن، والمسلم كفو المسلم، فزوجه يا زياد ولا ترغب عنه.

فرجع زياد وقصّ على ابنته الدلفاء ما سمعه من رسول الله ﷺ في حقّ جوير ورسالته في الزّواج منها.

عندها التفتت الدلفاء إلى أبيها وقالت له: يا أبه إياك وأن تخالف أمر رسول الله ﷺ فنقلب كافراً.

فلما رأى زياد موقف ابنته المشرف من أمر رسول الله ﷺ خرج من عندها وأخذ بيد جوير وأدخله على من كان عنده من قومه، وزوجه ابنته على دين الله وسنة رسوله ﷺ وضمن له المهر، ثم هيأ لها جهاز العرس وأثائه،

ووهب لجوير بيتاً مؤثناً، وملابس فاخرة، وزفوا العروس إلى بيته، فلما وقع نظر جوير على ما أنعم الله عليه من زوجة وبيت وأثاث، إعتزلها يعبد الله إلى الصباح ثلاث ليالٍ سوياً ولم يمسسها.

فاطلعت النسوة باعتراله فأخبرن أبوها، فشكاه إلى رسول الله ﷺ. فقال جوير: أردت أن اشكر الله تعالى على ما أنعم به عليّ، غير إني سأرضيها وأرضيهم الليلة إنشاء الله تعالى، وهكذا فعل، ثم استشهد جوير في إحدى حروب رسول الله ﷺ.

[من حق الزوجين]

قال النبي ﷺ: «خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي». وقال ﷺ: «الكاذب على عياله كالمجاهد في سبيل الله». وفي تفسير أبي الفتوح نقلاً عن ميمونة زوجة النبي ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «خيار الرجال من أمتي خيارهم لنسائهم، وخير النساء من أمتي خيرهن لأزواجهن».

وروي أنه جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: «إن لي زوجة إذا دخلتُ تلقّيتي، وإذا خرجتُ شيعتني، وإذا رأيتني مهموماً قالت: ما يهّمك؟ إن كنت تهتمّ لرزقك فقد تكفل به غيرك، وإن كنت تهتمّ بأمر آخرتك فزادك الله همّاً. فقال رسول الله ﷺ: بشّرها بالجنة وقل لها: إنك عاملة من عمّال الله، ولك في كلّ يوم أجر سبعين شهيداً».

وعن جابر قال: «قال رسول الله ﷺ: إذا صلّت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وأحصنت فرجها، وأطاعت بعلها، فلتدخل من أيّ أبواب الجنة شاءت».

وقال ﷺ: «أيما امرأة أعانت زوجها في على الحج، والجهاد، أو طلب العلم، أعطاه الله من الثواب ما يعطي امرأة أيوب ﷺ».

وقال ﷺ: «أيما امرأة أدخلت على زوجها أمر النفقة وكلفتها ما لا يطيق، لا يقبل الله منها صرفاً ولا عدلاً، إلا أن تتوب وترجع، وتطلب منه طاقته».

وقال ﷺ: «لو أن جميع ما في الأرض من ذهب وفضة، حملته المرأة إلى بيت زوجها، ثم ضربت على رأس زوجها يوماً من الأيام تقول: من أنت؟ إنما المال مالي، حبط عملها ولو كانت من أعبد الناس، إلا أن تتوب وترجع وتعتذر إلى زوجها».

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: أيما امرأة هجرت زوجها وهي ظالمة، حشرت يوم القيامة مع فرعون وهامان وقارون في الدرك الأسفل من النار، إلا أن تتوب وترجع».

وقال سلمان: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: أيما امرأة منّت على زوجها بما لها فتقول: إنما تأكل أنت من مالي، لو أنها تصدّقت بذلك المال في سبيل الله لا يقبل الله منها إلا أن يرضى عنها زوجها».

وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال: «من تزوّج امرأة ولم ينو أن يوفّيها صداقها، فهو عند الله زان».

[تعاليم أسرية]

قال النبي ﷺ: من صبر على سوء خلق امرأته، أعطاه الله من الأجر ما أعطى أيوب عليه السلام على بلاته، ومن صبرت على سوء خلق زوجها أعطاه الله مثل ثواب آسية بنت مزاحم».

وقال النبي ﷺ: «أَيُّمَا امْرَأَةٍ آذَتْ زَوْجَهَا بَلْسَانَهَا لَمْ يَقْبَلِ اللَّهُ مِنْهَا صَرْفًا وَلَا عَدْلًا، وَلَا حَسَنَةً مِنْ عَمَلِهَا، حَتَّى تَرْضِيَهُ، وَإِنْ صَامَتْ نَهَارَهَا، وَقَامَتْ لَيْلَهَا، وَأَعْتَقَتْ الرِّقَابَ، وَحَمَلَتْ عَلَى جِيَادِ الْخَيْلِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَكَانَتْ أَوَّلَ مَنْ يَرِدُ النَّارَ، وَكَذَلِكَ الرَّجُلُ إِذَا كَانَ لَهَا ظَالِمًا».

وقال النبي ﷺ: «أَيُّمَا امْرَأَةٍ لَمْ تَرْفُقْ بِزَوْجِهَا، وَحَمَلَتْهُ عَلَى مَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ، وَمَا لَا يَطِيقُ، لَمْ يَقْبَلِ مِنْهَا حَسَنَةً، وَتَلْقَى اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهَا غَضَبَان».

وعن النبي ﷺ قال: «حَقُّ الرَّجُلِ عَلَى الْمَرْأَةِ: إِنْارَةُ السَّرَاجِ، وَإِصْلَاحُ الطَّعَامِ، وَأَنْ تَسْتَقْبِلَهُ عِنْدَ بَابِ بَيْتِهَا فترَحِّبَ بِهِ، وَأَنْ تَقْدِّمَ إِلَيْهِ الطَّشْتِ وَالْمَنْدِيلَ، وَأَنْ تَرْضِيَهُ، وَأَنْ لَا تَمْنَعَهُ نَفْسَهَا إِلَّا مِنْ عِلَّةٍ».

وقال ﷺ: «لَوْ أَنَّ امْرَأَةً وَضَعَتْ إِحْدَى ثَدْيَيْهَا طَبِيخَةً، وَالْأُخْرَى مَشْوِيَّةً، مَا آذَتْ حَقَّ زَوْجِهَا، وَلَوْ أَنَّهَا عَصَتْ مَعَ ذَلِكَ زَوْجَهَا طَرْفَةَ عَيْنٍ أُلْقِيَتْ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلَ مِنَ النَّارِ، إِلَّا أَنْ تَتُوبَ وَتَرْجِعَ».

وقال ﷺ: «لَا تُؤْذِي الْمَرْأَةُ حَقَّ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، حَتَّى تُؤْذِيَ حَقَّ زَوْجِهَا».

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «أَيُّمَا امْرَأَةٍ بَاتَتْ وَزَوْجَهَا عَلَيْهَا سَاخِطٌ فِي حَقِّهِ، لَمْ يَقْبَلِ مِنْهَا صَلَاةٌ حَتَّى يَرْضَى عَنْهَا».

وقال عليه السلام أيضاً: «أَيُّمَا امْرَأَةٍ قَالَتْ لَزَوْجِهَا: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ. فَقَدْ حَبَطَ عَمَلُهَا».

وقال الإمام أبو جعفر عليه السلام: «مَنْ أَحْتَمَلَ مِنْ امْرَأَتِهِ وَلَوْ كَلِمَةً وَاحِدَةً، أَعْتَقَ اللَّهُ رَقَبَتَهُ مِنَ النَّارِ، وَأَوْجِبَ لَهُ الْجَنَّةَ، وَكُتِبَ لَهُ مِائَتِي أَلْفِ حَسَنَةٍ، وَمُحِيَ عَنْهُ مِائَتِي أَلْفُ سَيِّئَةٍ، وَرَفَعَ لَهُ مِائَتِي أَلْفَ دَرَجَةٍ، وَكُتِبَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ لَهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ عَلَى بَدَنِهِ عِبَادَةٌ سَنَةً».

وقال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَكْسِبُ ثُمَّ يَنْفِقُ عَلَى عِيَالِهِ، إِلَّا أَعْطَاهُ

الله بكلّ درهم ينفقه على عياله سبعمائة ضعف». وقال ﷺ: «خير الرجال من أمتي: الذين لا يتطاولون على أهلهم، ويحنون عليهم، ولا يظلمونهم، ثم قرأ: ﴿الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض...﴾».

[حقوق زوجية متقابلة]

لقد عدّ بعض علماء الأخلاق في بعض كتبهم التي كتبوها في حقوق الزوجين: إنّ للزوج على زوجته سبعة عشر حقاً، وللزوجة على زوجها ثلاثين حقاً، وذلك استناداً إلى الروايات الواردة عن المعصومين عليه السلام في بيان اجتماعيات الإسلام والحقوق الاجتماعية المتقابلة، بما فيها حق الزوجين، فلقد قال النبي ﷺ: «عيال الرجل أسراؤه، وأحبّ العباد إلى الله عزّ وجلّ أحسنهم صنيعاً إلى أسرائه».

وقال ﷺ: «المرأة لعبة، فمن اتّخذها فليصنها».

وقال ﷺ: «ويل لأمراة أغضبت زوجها، وطوبى لأمراة رضي عنها زوجها».

وقال ﷺ: «قول الرجل للمرأة: إنّني أحبك، لا يذهب من قلبها أبداً».

وقال ﷺ: «ألا وإنّ الله ورسوله بريثان ممّن أضرّ بامرأة حتّى تختلع

منه».

وقال ﷺ: «إنّني لأتعبّ ممّن يضرب امرأته، وهو بالضرب أولى منها».

وقال ﷺ: «لا يخدم العيال إلّا صديق، أو شهيد، أو رجل يريد الله به خير

الدنيا والآخرة».

وقال ﷺ: «جلوس المرء عند عياله أحبّ إلى الله من اعتكافٍ في مسجدي هذا».

وقال ﷺ: «إنَّ الرَّجُلَ لِيُوجِرَ فِي رَفْعِ اللَّقْمَةِ إِلَى فَمِ امْرَأَتِهِ».

وقال ﷺ: «من دخل السوق فاشتري تحفة فحملها إلى عياله كان كحامل صدقة إلى قوم محابيح، وليبدأ بالأنثى قبل الذكور».

وقال ﷺ: «يا علي! خدمة العيال كفارة للكبائر، وتطفىء غضب الرب، ومهور الحور العين، وتزيد في الحسنات والدرجات».

[أجر النساء أكثر]

وقال ﷺ - كما في تفسير أبو الفتوح الرازي -: «... فإذا حملت المرأة، كان لها في كلِّ يوم وليلة أجر ألف شهيد قد قتل في سبيل الحق، صابراً محتسباً، وفضلها الله في الجنة على الحور العين فضلاً كبيراً، كفضلي على أدناكم».

وخير نساء أمتي من ابتغت رضى زوجها واستجابت له إلى ما أراد منها ما لم يكن فيه معصية الله تبارك وتعالى.

وخير رجال أمتي من رفق بزوجته ولطف بها، وعاش معها بعطف وحنان كما تعطف الأم على ولدها وتحنّ إليه، فإنَّ لكلَّ رجل منهم بذلك أجر مائة شهيد قد قتل في سبيل الله والحق صابراً محتسباً.

فقال عمر بن الخطاب: كيف يكون يا رسول الله للرجل أجر مائة شهيد، وللمرأة أجر ألف شهيد؟

فقال ﷺ: إنَّ أجر النساء أكثر من أجر الرجال، وثوابهنَّ عند الله أكبر وأتمّ، وإنَّ الله تبارك وتعالى ليرفع برضا المرأة عن زوجها وبدعائها له درجات

الرَّجُل فِي الْجَنَّةِ.

ثُمَّ قَالَ ﷺ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ بَعْدَ الشَّرْكَ بِاللَّهِ ذَنْبٌ أَكْبَرُ وَبِالْأَعْلَى الْإِنْسَانِ مِنْ عَصْيَانِ الْمَرْأَةِ زَوْجَهَا وَمُخَالَفَتِهِ لَهُ؟
ثُمَّ قَالَ: اتَّقُوا اللَّهَ فِي الضَّعِيفِينَ: الْمَرْأَةَ، وَالْيَتِيمَ، فَإِنَّكُمْ مَسْئُولُونَ عَنْهُمَا، وَأَنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ سَائِلُكُمْ عَنْهُمَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَمَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهِمَا نَالَ مِنَ اللَّهِ الرَّحْمَةَ وَالرِّضْوَانَ، وَمَنْ أَسَاءَ إِلَيْهِمَا اسْتَجَبَ سَخَطُ اللَّهِ تَعَالَى.
أَلَا وَإِنَّ حَقَّ الرَّجُلِ عَلَى الْمَرْأَةِ مِثْلَ حَقِّي عَلَيْكُمْ، وَمَنْ ضَيَّعَ حَقِّي كَانَ كَمَنْ ضَيَّعَ حَقَّ اللَّهِ، وَمَنْ ضَيَّعَ حَقَّ اللَّهِ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبَشَّ الْمَصِيرَ».

[الْمَرْأَةُ إِذَا تَزَيَّنَتْ وَتَعَطَّرَتْ]

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي كَلَامٍ لَهُ: «وَالْمَرْأَةُ إِذَا خَرَجَتْ مِنْ بَابِ دَارِهَا مُتَزَيَّنَةً مُتَعَطَّرَةً، وَالزَّوْجُ بِذَلِكَ رَاضٍ، بَنِي لَزَوْجَهَا بِكُلِّ قَدَمٍ بَيْتٍ فِي النَّارِ».
وَرَوَى عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ «نَهَى أَنْ تَتَزَيَّنَ لغيرِ زَوْجِهَا، فَإِنْ فَعَلَتْ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يَحْرِقَهَا بِالنَّارِ».
وَقَالَ ﷺ: «أَيُّ امْرَأَةٍ تَطَيَّبَتْ وَخَرَجَتْ مِنْ بَيْتِهَا، فَهِيَ تَلْعَنُ حَتَّى تَرْجِعَ إِلَى بَيْتِهَا مَتَى مَا رَجَعَتْ».
وَقَالَ ﷺ: «أَشَدُّ غَضَبِ اللَّهِ عَلَى امْرَأَةٍ ذَاتِ بَعْلٍ مَلَأَتْ عَيْنَهَا مِنْ غَيْرِ زَوْجِهَا، أَوْ غَيْرِ ذِي مُحَرَّمٍ مِنْهَا، فَإِنَّهَا إِنْ فَعَلَتْ ذَلِكَ أَحْبَطَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ كُلَّ عَمَلٍ عَمِلَتْهُ».
وَقَالَ الْإِمَامُ الصَّادِقُ عليه السلام فِي كَلَامٍ لَهُ: «وَأَيُّ امْرَأَةٍ تَطَيَّبَتْ لغيرِ زَوْجِهَا، لَمْ يَقْبَلِ اللَّهُ مِنْهَا صَلَاةً حَتَّى تَغْتَسِلَ مِنْ طَيِّبِهَا».

[الزوجة نعمة من الله تعالى]

عن الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام أنّه قال: «أما حقّ الزوجة: فأَنْ تعلم أنّ الله جعلها لك سكناً وأنساً، فتعلم أنّ ذلك نعمة من الله عليك، فتكرمها وترفق بها، وإن كان حقّ عليها أوجب فإنّ عليك أن ترحمها».

وعن الإمام الباقر عليه السلام قال: «رحم الله عبداً أحسن فيما بينه وبين زوجته». وعن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «من حسن برّه بأهله، زاد الله في عمره». وعنه عليه السلام أيضاً قال: «ملعونة ملعونة امرأة تؤذي زوجها وتغمّه، وسعيدة سعيدة امرأة تكرم زوجها ولا تؤذيه، وتطيعه في جميع أحواله».

وعنه عليه السلام أيضاً قال: «سألت أمّ سلمة رسول الله ﷺ عن فضل النساء في خدمة أزواجهنّ؟ فقال: أيّما امرأة رفعت من بيت زوجها شيئاً من موضع إلى موضع تريد به صلاحاً إلّا نظر الله إليها، ومن نظر الله إليه لم يعذبّه».

وعنه عليه السلام أيضاً قال: «أيّما امرأة خدمت زوجها سبعة أيّام، إلّا أغلق الله عنها سبعة أبواب النّار، وفتح لها ثمانية أبواب الجنّة تدخل من أيّها شاءت».

وعنه عليه السلام أيضاً قال: «ما من امرأة تسقي زوجها شربة ماء إلّا كان خيراً لها من عبادة سنة».

وعنه عليه السلام أيضاً قال: «لا غنى بالزوج عن ثلاثة أشياء فيما بينه وبين زوجته، وهي: الموافقة ليجتلب بها موافقتها ومحبتّها وهواها، وحسن خلقه معها واستعماله استماله قلبها بالهيئة الحسنة في عينها، وتوسّعه عليها».

وعن الإمام الكاظم عليه السلام: «جهاد المرأة حسن التبعّل».

وعن الحسن بن الجهم قال: «رأيت أبا الحسن الكاظم عليه السلام اختضب،

فقلت: جعلت فداك اختضبت؟ فقال: نعم، إنَّ التهيئة ممَّا يزيد في عفة النساء، ولقد ترك النساء العفة بترك أزواجهنَّ التهيئة، ثمَّ قال: أيسرَّك أن تراها على ما تراك عليه إذا كنت على غير تهيئة؟ قلت: لا، قال: فهو ذاك».

[من آداب الزواج]

للزواج في الإسلام آداب كثيرة، وسنن جمة، وقد جاءت في روايات المعصومين عليهم السلام لتضمن نجاح هذا الجانب المهم من الحياة الإنسانية المتكفل للسعادة الفردية والاجتماعية، بنجاحه واستمراره، ولتحصين هذا الأمر العظيم من الفشل والإنهيار المتضمن شقاء الفرد والمجتمع، بفشله وانهاره، وقد جمعت تلك الآداب والسنن في كتاب طبع عام / ١٣٤٨ أُشير إلى بعضها:

عن الراوندي في نوادره، عن الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «من أراد منكم التزويج فليصل ركعتين بفاتحة الكتاب ويسّ، فإذا فرغ من الصلاة فليحمد الله تعالى وليثن عليه وليقل: اللهم ارزقني زوجة سالحة، ودوداً، ولوداً، شكوراً، قنوعاً، غيوراً، إن أحسنتُ شكرتُ، وإن أسأتُ غفرتُ، وإن ذكرتُ الله تعالى أعانتُ، وإن نسيتُ ذكرتُ، وإن خرجتُ من عندها حفظتُ، وإن دخلتُ عليها سرّنتني، وإن أمرتها أطاعتني، وإن أقسمتُ عليها أبرتُ قسماً، وإن غضبتُ عليها أرضتني، يا ذا الجلال والإكرام، هب لي ذلك، فإنما أسألكه، ولا أجد إلا ما مننت وأعطيت، ثمَّ قال عليه السلام: من فعل ذلك أعطاه الله ما سأل».

وروي عن أبي جعفر عليه السلام أنه سأل أبا بصير قائلاً: «إذا تزوّج أحدكم كيف يصنع؟ فقال: ما أدري. قال: إذا همَّ بذلك فليصل ركعتين، وليحمد الله عزّ وجلّ، وليقل: اللهمَّ إني أريد أن أتزوّج، اللهمَّ فقدّر لي من النساء أحسنهنَّ خلقاً وخلقاً،

وأعفهنّ فرجاً، وأحفظهنّ لي في نفسها ومالي، وأوسعهنّ رزقاً، وأعظمهنّ بركة، واقض لي منها ولداً طيباً تجعله لي خلفاً صالحاً في حياتي وبعد موتي».

وروي عن أبي سعيد الخدري أنه قال: «أوصى رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: يا علي إذا أدخلت العروس بيتك فاخلع خُفّها حين تجلس، واغسل رجليها، وصبّ الماء من باب دارك إلى أقصى دارك، فإنّك إذا فعلت ذلك أخرج الله من دارك سبعين ألف لون من الفقر، وأدخل فيها سبعين ألف لون من الغنى، وسبعين لوناً من البركة، وأنزل عليك سبعين رحمة ترفرف على رأس العروس، حتّى تنال بركتها كلّ زاوية في بيتك، وتأمّن العروس من الجنون والجذام والبرص أن يصيبها ما دامت في تلك الدّار، وامنع العروس في أسبوعها من الألبان والخلّ والكزبرة والتّفّاح الحامض، من هذه الأربعة...» إلى آخر الرواية الشريفة، ومضامينها المنيفة، وإنها جديرة بالمطالعة والتدقيق، والمتابعة والتطبيق، فلتراجع في مظانّها.

[الزّفاف وآدابه]

عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «زفّوا عرائسكم ليلاً، وأطعموا ضحىً».

وعن النبي ﷺ أنّه أوصى عليّاً عليه السلام بقوله: «يا علي! لا وليمة إلّا في خمس: في عرس، أو خُرس، أو إعذار، أو وكار، أو ركاز.

فالعرس: التزويج، والخُرس: النفاس بالولد، والإعذار: الختان، والوكار: في شراء الدّار، والركاز: الرّجل يقدم من مكة».

وعن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال لبعض أصحابه: «إذا أدخلت عليك أهلك، فخذ بناصيتها، واستقبل بها القبلة وقل: اللهمّ على كتابك تزوّجتها، وبأمانتك

أخذتها، وبكلماتك استحللت فرجها، فإن قضيت لي منها ولداً فاجعله مباركاً
سويّاً، ولا تجعل للشيطان فيه شركاً ولا نصيباً».

ومن كتاب النجاة المروي عن الأئمة عليهم السلام: «إذا قرب الزفاف يستحب أن
تأمرها أن تصلي ركعتين استجباً، وتكون على وضوء إذا أدخلت عليك، وتصلي
أنت أيضاً مثل ذلك، وتحمد الله وتصلي على النبي وآله وتقول: اللهم ارزقني
إفها، ووُدّها، ورضاها بي، وارزني بها، واجمع بيننا بأحسن اجتماع، وأيسر
اتلاف، فإنك تحبّ الحلال وتكره الحرام».

وعن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «فقل إذا أردت المباشرة: اللهم ارزقني
ولداً، واجعله تقيّاً زكياً، ليس في خلقه زيادة ولا نقصان، واجعل عاقبته إلى
الخير، وتسمي الله عزّ وجلّ عند الجماع».

وهناك للمباشرة - من حيث الوقت والمكان والحالات النفسية - أثر كبير
في سعادة الجنين وشقائه، وبركة النسل وشؤمه، وقد دلّتنا الأحاديث الشريفة
عليها وقاية من حزازتها، وتجنباً عن مكارهاها، فقد ورد مثلاً: أن النطفة لو
انعقدت في الشمس على أثر المباشرة تحت أشعتها عاش ذلك الإنسان ما عاش
فقيراً معدماً، وأنه لو باشر زوجته الحامل بلا وضوء أصبح ذلك الطفل بخيلاً أعمى
القلب، وهكذا فإنه يجدر بالإنسان مطالعتها، وتطبيقها في حياته الزوجية، حتّى
يسعد بحياة زوجية سعيدة، ويحظى بنسل طيب، وخلف صالح، يخلف للإنسان
الذكر الحسن، ويعقب له الثناء الجميل، كما سعد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في
زواجه، وحظى بأولاد صالحين، مثل أبي الفضل العباس عليه السلام.

الخصيصة الثالثة :

« الأسرة المباركة »

امتاز أبو الفضل العباس عليه السلام على غيره بانتمائه إلى أسرة كريمة وبيت مبارك، فلقد تولّد في أسرة رفيعة، وترعرع في بيت منيع، حتّى أنّه باعتراف التاريخ قد فاقت أسرته كلّ أسرة طهارة وشرفاً، وعلا بيته كلّ بيت مجدداً وعزّاً، كيف لا وهو من الأسرة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء، ومن البيت الذي وصفه الله تعالى بقوله : ﴿ في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال ﴾ رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله... ﴿ .

نعم، لقد كان أبو الفضل العباس عليه السلام من أسرة كريمة، وبيت شامخ، يتكوّن أعضاؤه الأولون ممّا يقرب من أربعين إلى خمسين عضواً، كلّهم صالح مبارك، وطيب حميد، لقد كان يضمّ هذا البيت بين جوانحه أشرف أهل الأرض بعد رسول الله ﷺ، وأكرم خلق الله على الله عزّ وجلّ بعد النبيّ الكريم ﷺ، نفس رسول الله ﷺ بنصّ القرآن الكريم، وأخاه وابن عمّه وصهره، أعني : الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ويضمّ أيضاً ريحانتي رسول الله ﷺ، وسيدي شباب أهل الجنة، الإمامين الهامين : الحسن والحسين عليه السلام، فهل يا ترى هناك أسرة أطيب وأطهر من هذه الأسرة، وبيت أكرم من هذا البيت المنيف؟؟

لقد كان سيّد هذه الأسرة المباركة، وقمة هذا البيت الكريم، الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ما دام كان حياً، حيث كان هو الأب العطوف والوالد الحنون لكل الأسرة، وكانت إلى جنبه أولاً وقبل كل أحد السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام بنت رسول الله ﷺ التي سرعان ما قضت نحبا على أيدي المبتزّين لنحلّتها وبلغه ابنها فدكاً، ومضت شهيدة مظلومة في الدفاع عن حقّ بعلمها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بعد ارتحال أبيها رسول الله ﷺ وذلك بعد أن أسقطوها جينها الذي سمّاه رسول الله ﷺ محسناً.

ثمّ كان سيّد هذه الأسرة بعد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام هو سبط رسول الله ﷺ الأكبر الإمام الحسن المجتبي عليه السلام، ثمّ من بعده الإمام الحسين عليه السلام. وكان قاعدة هذه الأسرة المباركة، وبقية أعضاء هذا البيت الكريم، يتجسّد في العباس ابن علي عليه السلام وأشقائه وإخوته الميامين، ويتمثّل في السيدة زينب بنت علي عليها السلام، وأخواتها وشقيقاتها الطاهرات.

[أولاد أمير المؤمنين عليه السلام]

نعم، لقد ذكر المؤرّخون لأمر المؤمنين عليه السلام من الأولاد - ومن نساء متعدّدات - ما يتراوح عددهم بين سبعة وعشرين إلى ستّة وثلاثين ولداً، بين ذكر وأنثى، لمع من بينهم من البنين بعد الإمامين الهمامين سبطي رسول الله ﷺ وريحانتيه، وسيدي شباب أهل الجنّة: الإمام الحسن المجتبي، والإمام الحسين الشهيد عليه السلام، اسم قمر العشيرة، وبطل العلقمي، أبو الفضل العباس عليه السلام لما كان يحمله من أهليّة وكفاءة، ونبل وكرم، ومن البنات، عقيلة بني هاشم، التي ورثت أمّها الزهراء عليها السلام، عصمة وطهارة، ونبلاً وشرافة، وبطولة وشهامة، وفصاحة

وبلاغة، ومصائب وآلاماً، أعني: السيِّدة زينب الكبرى عليها السلام، التي نزل جبرئيل حين ولادتها عليها السلام على رسول الله ﷺ من عند الله تعالى باسمها «زينب» وبخبر ما يجري عليها من سبي وأسر، ومن رزايا ومصائب، والتي كانت من صغر سنّها تسكن إلى أخيها الإمام الحسين عليه السلام وتظمّن إليه، ولا تفارقه ولا تنفصل عنه، وإنّما كانت معه دائماً وأبداً حتّى شاركته في نهضته الإصلاحية، وشاطرته بنفسها وأولادها.

كما وقد ذكر المؤرّخون لأبي الفضل العباس عليه السلام من الأولاد ما لا يقلّ عن ولد واحد، ولا يزداد على ستّة أولاد ذكور، استشهد بعضهم معه في كربلاء، وبقي بعضهم وكان عقبه من الباقيين منهم.

[فضل الأولاد في الإسلام]

ولا يخفى: أنّ الإسلام قد حبّذ على التوالد والتناسل، ودعى إلى كثرة الأولاد والأحفاد، وحثّ الناس وحرّضهم عليه، حتّى قال رسول الله ﷺ في جملة ما قال: «الولد الصّالح ريحانة من رياحين الجنّة».

وقال ﷺ: «نعم الولد: البنات المخدّرات».

وقال ﷺ: «خير أولادكم البنات».

وقال ﷺ: «إنّ الله على الأنثاء أرفّ منه على الذّكور».

وقال ﷺ: «البنات حسنات، والبنون نعمة، فالحسنات يثاب عليها،

والنعمة يُسأل عنها».

وقال ﷺ: «نعم الولد البنات المخدّرات، من كانت عنده واحدة جعلها

الله سترأله من النّار، ومن كانت عنده اثنتان أدخله الله بهما الجنّة، وإن كنّ ثلاثاً أو

مثلهنّ من الأخوات وضع الله عنه الجهاد والصدقة».

وقال عليه السلام: «من سعادة الرّجل: الولد الصّالح».

وقال عليه السلام: «من سعادة الرّجل: أن يكون له وُلد يستعين بهم».

وقال عليه السلام: «أكثرُوا الولد، أكاثُر بكم الأمم غداً».

وقال عليه السلام: «أطلبوا الولد فإنّ الله عزّ وجلّ يرزقهم».

وقال الإمام الصّادق عليه السلام: «أولاد المسلمين موسومون عند الله شافع مشفع، فإذا بلغوا اثنتي عشرة سنة كانت لهم الحسنات، وإذا بلغوا الحُلُم كتبت عليهم السيّئات».

وقال عليه السلام: «إنّ الله عزّ وجلّ ليرحم الرّجل لشدة حبّه لولده».

وقال الإمام الرّضا عليه السلام: «إنّ الله تبارك وتعالى إذا أراد بعبد خيراً لم يمتّه حتّى يريه الخلف».

وروي: «من مات بلا خلف فكأنّ لم يكن في النّاس، ومن مات وله خلف، فكأنّ لم يمت».

وقال عليه السلام: «قبّلوا أولادكم، وفي نسخة أخرى: أكثرُوا من قبلة أولادكم، فإنّ لكم بكلّ قبلة درجة في الجنّة، ما بين كلّ درجة خمسمائة عام».

وقال عليه السلام: «يلزم الوالدين من عقوق الولد ما يلزم الولد لهما من العقوق».

وقال الإمام الصّادق عليه السلام: «برّ الرّجل بولده برّة بوالديه».

وقال عليه السلام أيضاً: «دع ابنك يلعب سبع سنين، ويؤدّب سبعاً، وألزمه نفسه سبع سنين، فإنّ فلح وإلّا فلا خير فيه».

وقال عليه السلام أيضاً: «أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم، يُعْفِرَ لكم».

الخصيصة الرابعة :

« مميزات ولادته ﷺ »

لقد امتاز أبو الفضل العباس ﷺ في ولادته على سائر الناس بما يمتاز به العظماء من أولياء الله في ولادتهم، حيث كانت ولادته ﷺ محفوفة بالإرهاصات، ومشحونة بالقرائن والمقدمات، الدالة على عظم منزلة المولود عند الله تعالى، ومقامه الشامخ لديه، فهذا الإمام أمير المؤمنين ﷺ قبل أن يولد له العباس، بل وقبل أن يتزوج بأمّه أمّ البنين، يُنبىء عن ولادته، ويخبر عن مواصفاته، ويشير إلى ما يتحلّى به: من قوّة الإيمان، وطهارة النّفس، وشجاعة القلب، ورحابة الصّدر، ومكارم الأخلاق، وأنّه سوف يعضد أخاه الإمام الحسين ﷺ في مهمّته، ويفديه بنفسه، ويضحّي بما لديه من أجله، ويستشهد في كربلاء بين يديه، وقد صرّح ﷺ بذلك كلّّه عندما أفضى بأمره إلى أخيه عقيل بن أيطالب ﷺ وهو يستشيريه في قضية زواجه بعد استشهاد سيّدة نساء العالمين فاطمة بنت رسول الله ﷺ حيث قال له: «أنظر لي امرأة قد ولدتها الفحولة من العرب، لأتزوجها، فتلد لي ولداً يكون شجاعاً وعضداً ينصر ولدي الحسين ﷺ ويواسيه في طفّ كربلاء».

هذا مضافاً إلى أنّ أبناء ما سوف يأتي ويتحقّق في المستقبل: من واقعة عاشوراء، وأخبار طفّ كربلاء، والتي من أظهرها وأبرزها: وفاء العباس ﷺ

ومواساته لأخيه الإمام الحسين عليه السلام، وحراسته لخيام النساء ومن فيها من بنات الرسالة وودائع النبوة، وسقايته لأطفال أخيه، وتقديم يديه من أجل إيصال الماء إليهم، وتعويض الله تعالى له عنهما بجناحين يطير بهما في الجنة، كل ذلك ممّا نزل به جبرئيل عن الله تبارك وتعالى على قلب رسول الله ﷺ. وأخبر بها عليّاً عليه السلام وبقية أهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وذلك قبل أن يولد أبو الفضل العباس عليه السلام.

وعليه: فهذه نبذة من مميّزات ولادة العباس عليه السلام والمقدّمات التي احتفّت بولادته من جهة أبيه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

وأما المميّزات التي امتازت بها ولادة أبي الفضل العباس عليه السلام من جهة أمّه أمّ البنين عليها السلام، فقد مرّ سابقاً الإشارة إلى شيء منها، حيث أنّه قبل ولادة أمّه أمّ البنين يرى أبوها حزام وهو جدّ أبي الفضل عليه السلام لأُمّه، تلك الرؤيا التي تبشّره بولادة أمّ البنين، بعد ولادة أمّ البنين وترعرعها، وبلوغها سنّ الرشد ومرحلة الزّواج، ترى هي بنفسها تلك الرؤيا المباركة المبشّرة بزواجها من رجل عظيم، والمنبئة عن حصولها على أنجال أربعة: أولهم كالقمر المنير، والثلاثة الباقون كالأنجم الزّهر، وذلك كلّ قبل زواجها، بل وحتى قبل أن يخطبها عقيل من أبيها حزام للإمام أمير المؤمنين عليه السلام. كلّ ذلك وغيره ممّا يدلّ على امتياز أبي الفضل العباس عليه السلام في ولادته، المنبئ عن عظمته، ورفيع مقامه ومنزلته عند الله تبارك وتعالى، كامتياز عليه السلام في كلّ شأنه بما امتاز به الأولياء المقربون عند الله تعالى، والشّهداء السّعداء، وعباد الله الصّالحون لديه عزّ وجلّ.

[بشرى الولادة]

هذا وقد روي : أن قنبراً مولى الإمام أمير المؤمنين ﷺ قال ما مضمونه : بينما كنّا ذات يوم من الأيام مع الإمام أمير المؤمنين ﷺ في مسجد النبي ﷺ بالمدينة ، وهو يعظنا ويرشدنا ، ويحذّرنا من النار ، ويرغبنا في الجنة ، إذا بأعرابي قد أقبل نحو المسجد ، فأناخ راحلته على باب المسجد ودخل متّجهاً نحونا ، حتّى إذا وصل إلينا سلّم علينا وخصّ أمير المؤمنين ﷺ بالتحية والسلام وقبّل يده الكريمة ووقف بين يديه وكأنّه يطلب إليه حاجة ، فقال له الإمام أمير المؤمنين ﷺ برأفة وحنان : يا أخا العرب كأنك جئتنا في حاجة ، فما هي حاجتك فإنّها مقضية إن شاء الله تعالى ؟

فقال الأعرابي : يا أمير المؤمنين أنت أعلم بها منّي .

قال قنبر : عندها إلتفت إليّ الإمام أمير المؤمنين ﷺ وقال : يا قنبر ! امض إلى المنزل وقل لمولاتك السيّدة زينب ابنة فاطمة بنت رسول الله ﷺ تناولك السفت الفلاني في موضع كذا وكذا .

فقلت : سمعاً وطاعة ، وحبّاً وكرامة لله تعالى ولسيّدي ومولاي الإمام أمير المؤمنين ﷺ .

قال قنبر : فقمّت مسرعاً ، ومضيت إلى منزل أمير المؤمنين ﷺ ، وطرقت الباب مرّتين ، وفي الثالثة جاءت فتّحة وراء الباب وقالت : من الطّارق ؟

أجبتها قائلاً : أنا قنبر مولى الإمام أمير المؤمنين ﷺ وخادم أهل البيت ﷺ .

فقال فتّحة : أهلاً ومرحباً بك ، وما حاجتك يا قنبر ؟

فأخبرتها بما قال لي سيّدي ومولاي وما يريد .

فقال فضة: مكانك حتى آتيك به، فوقفت بالباب أنتظر مجيئها، وإذا بي أسمع جلبة الفرح وصخب السرور يعلو من داخل المنزل، فتعجبت وانتظرت حتى إذا رجعت إليّ فضة وأتتني بالسفط، سألتها عن سبب ذلك.

فقال فضة: لقد ولد الساعة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام غلام أزهر كأنه فلقة قمر.

فقلت لها وقد امتلأت أنا الآخر فرحاً وسروراً: وممن هذا المولود الأغزر؟

قالت فضة: إنه من أمّ البنين فاطمة بنت حزام الوحيدة الكلالية، ثمّ أضافت قائلة: وقد أوصتني سيّدتي وسيّدتك: السيّدّة زينب ابنة فاطمة بنت رسول الله ﷺ أن أقول لك: إذا رجعت إلى مولاي ومولايك الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فبشّره بولادة هذا المولود الأغزر، واسأله عن اسمه وكنيته ولقبه.

فقلت وأنا لا أملك نفسي بهجة وفرحاً: حبّاً وكرامة، وسمعاً وطاعة، ثمّ هنّأتها وودّعتها، وأقبلت بالسفط مع البشارة بالمولود الجديد، مسرعاً إلى سيّدي ومولاي الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، فلما سلّمته السفط وقفت بين يديه لأبشّره بما عندي من خبر الولادة، غير أنّي بقيت أترصد الفرصة المناسبة لإعلان هذا الخبر، وتقديم هذه البشارة السارة، حتى إذا فرغ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من حاجة الأعرابي وأعطاه ذلك السفط إلتفت إليّ وقال مبادراً: ما وراءك يا قنبر، فإني أرى أثر البهجة والسرور طافحاً على أساري وجهك؟

فقلت وقد رأيت الفرصة مناسبة: نعم يا سيّدي ومولاي لقد جئتكم ببشارة.

فقال عليه السلام: وما هي تلك البشارة يا قنبر بشّرك الله بالجنة؟

قلت: لقد وُلد لك يا سيّدي ومولاي غلام أغزر.

فقال عليه السلام: وممن هذا المولود الجديد؟

قلت: لقد سألت عن ذلك فضّة عندما أخرجت إليّ السّفط، فقالت: إنّهُ من أمّ البنين فاطمة بنت حزام الوحيدة الكلاية، كما وأنّها قالت لي: بأنّ سيّدتي السيّدة زينب ؓ أوصتني أن أبشّرك بهذا المولود - عندما أرجع إليك - وأن أسألك عن اسمه وكنيته ولقبه.

فلما سمع الإمام أميرالمؤمنين ؓ ذلك تهلّل وجهه فرحاً وسروراً، وشكرني على هذه البشارة، وقال: يا قنبر! إنّ لهذا المولود شأنًا كبيراً عند الله، ومنزلة عظيمة لديه، وأسماءه وكناه وألقابه كثيرة، وسأمضي أنا بنفسي إلى المنزل لإنجاز ما سنّه لنا رسول الله ﷺ للمولود عند الولادة وبعدها من سنن الإسلام، فهيتا بنا إلى ذلك يا قنبر.

[الولادة وسُنَّها]

ثمّ إنّ الإمام أميرالمؤمنين ؓ قام من مجلسه ذلك، وودّع أصحابه ومن كان معه، ثمّ خرج من مسجد رسول الله ﷺ متّجهاً نحو البيت، فلما دخل المنزل سلّم على عادته ولاستحبابه على من كان في المنزل من أهله وأسرته، الذين كانوا بانتظار قدومه، وحيّاهم بتحيّة الإسلام ثمّ قال: إيتوني بولدي.

فقبل ﷺ بالتحيّة والبشارة، ثمّ جيء بولده إليه ملفوفاً في خرقة بيضاء، ومقمّطاً بها، فأخذه وضّمّه إلى صدره، ونثر قبلاته الحارّة على وجهه وخديّه، ثمّ أذن في أذنه اليمنى، وأقام في أذنه اليسرى، وبعدها أخذ الإمام أميرالمؤمنين ؓ يطيل النّظر إليه.

وهنا تمطّى المولود الجديد لأُمّ البنين في قماطه حتّى قطعه، وأخرج كلنا يديه من القماط، ممّا أثار بذلك ذكريات الإمام أميرالمؤمنين ؓ التي كانت في

ذاكرته ممّا نزل بها جبرئيل في حقّ هذا الوليد الجديد من عند الله تبارك وتعالى على رسول الله ﷺ، وأخبره بها رسول الله ﷺ من كيفية شهادته في نصره إمامه الإمام الحسين عليه السلام في طفّ كربلاء.

عندها اغرورقت عينا الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بالدموع، وتناثرت قطرات الدمع على خديّه كالدرر، ورطبّت كريمته الشريفة، فنظرت إليه إحدى النسوة وقالت: ما يبكيك يا أبا الحسن ونحن في هذه الساعة في فرح وسرور، وابتهاج وحبور؟

فالتفت إليها أمير المؤمنين عليه السلام وهو يكفكف دموعه يديه الكريمتين وقال لها ما مضمونه: لا تلوميني، فإنّي لما نظرت إلى هاتين اليدين وتمطّيه في القماط، تذكّرت تمطّيه على جواده في كربلاء، وانفصال يديه عن جسمه يوم عاشوراء، ثمّ أخذ يبكي ويكثر من قوله عليه السلام: ما لي وليزيد؟

[تاريخ ولادة أبي الفضل عليه السلام]

هذا ولا يخفى أنّ ولادة أبي الفضل العباس عليه السلام - على المشهور، وذلك حسب بعض الكتب التاريخية - كانت في المدينة المنورة، وبتاريخ اليوم الرابع من شهر شعبان المعظم سنة ست وعشرين هجرية على هاجرها آلاف التحية والسلام، وعلى هذا فإنّ أبا الفضل العباس عليه السلام قمر بني هاشم، تلا في ولادته ولادة أخيه شمس الكونين: الإمام أبي عبدالله الحسين عليه السلام من حيث اليوم والشهر، بيوم واحد وفي نفس الشهر، ومن حيث السنين والاعوام بثلاث وعشرين سنة، وكان - على ذلك - له من العمر حين استشهد أربعة وثلاثون عاماً.

الخصيصة الخامسة :

« في تسميته ﷺ »

لقد سنَّ رسول الله ﷺ في الولادة سنناً ندب إليها الإسلام وحبَّذا، وذلك لما فيها من زكاة ورشد للطفل، وطهارة وبركة لروحه وجسمه، وفائدة ومنفعة لدنياه وآخرته.

ففي حديث شريف عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال: «سبع خصال في الصَّبي إذا ولد من السَّنة:

أولاهنَّ: يسمَّى.

والثانية: يحلق رأسه.

والثالثة: يتصدَّق بوزن شعره ورقاً، أو ذهباً إن قدر عليه.

والرابعة: يعقَّ عنه.

والخامسة: يلطِّخ رأسه بالزَّعفران.

والسادسة: يطهَّر بانختان.

والسَّابعة: يطعم الجيران من عقيقته».

وفي أحاديث مباركة أخرى تؤكد إجراء بعض هذه السنن الإسلاميَّة المباركة في اليوم السَّابع من الولادة، كالتَّسمية، والحلق، والختان، والعقيقة، والوليمة.

كما أن هناك روايات كريمة أخرى تؤكد - في خصوص التسمية من بين بقيّة السنن - على تقديم الإسم على الولادة، وتحبذ أن يسمّى الجنين وهو حمل في بطن أمّه، بل ولم تكتف تلك الروايات بالتسمية في أيّام الحمل فحسب، وإنّما حبّذت أن يوضع للحمل حتّى الكنية واللقب أيضاً، وذلك - على ما في الرواية - كي لا يسمّى الطفل فيما بعد ولا يكتنى وكذلك لا يلقّب بما يكرهه وما هو شين عليه، وحتّى أنّه - لا سمح الله - لو سقط ذلك الحمل قبل تمامه وكماله كان له اسم يُدعى به يوم القيامة، ولهذا كان أهل البيت عليهم السلام يسمّون أولادهم في أيّام الحمل ويكتّونهم ويلقّبونهم، كما فعل رسول الله ﷺ ذلك، حيث سمّى حمل ابنته فاطمة الزّهراء عليها السلام الذي أسقطه الفاصيون للخلافة: محسنًا عليه السلام.

هذا، ولا يخفى: أنّه لا منافاة بين هذه الطوائف الثلاث من الأحاديث الشريفة، إذ يوضع الإسم على الجنين وهو حمل في بطن أمّه، وكذلك الكنية واللقب، ثمّ يجدّد ذلك الإسم والكنية واللقب في اليوم الأوّل من ولادة ذلك الطّفل، أو في اليوم السابع من ولادته، كما أنّ للأبوين إذا رأيا تغيير الإسم، أو الكنية، أو اللقب، من الحسن إلى الأحسن كان لهما ذلك، وغيرا في اليوم الأوّل أو في اليوم السابع من ولادة طفلهما.

إذن: فالتسمية وأخويها: اللقب والكنية، تكون جميعاً على الحمل في أيّام حملة، ثمّ تُجدّد نفسها للطّفل، أو تُبدّل إلى غيرها في اليوم الأوّل أو اليوم السابع من ولادته، وذلك حسب إرادة الوالدين التثيت أو التغيير.

[تسمية الوليد الجديد]

وكيف كان: فإنَّ الإمام أمير المؤمنين ﷺ كما كان هو أوَّل من آمن برسول الله ﷺ، فكذلك كان هو أوَّل من سار بسيرته واتَّبَعَ طريقته، ولذلك لم يكن ليتعدَّ عن نهج رسول الله ﷺ في سنن الولادة ومستحباتها، فإنَّه ﷺ لما أجرى المستحبات المأثورة على مولوده الجديد، إلَّفت إليه - على ما قيل - ابنته عقيلة بني هاشم وريبة الوحي والعصمة، السيِّدة زينب الكبرى ﷺ وقالت له: يا أبة! هل اخترت لهذا المولود إسمًا، وانتخبت له كنية ولقبًا؟ فأجابها أبوها الإمام أمير المؤمنين ﷺ بعطف وإقبال: نعم يا بنية! لقد اخترت له كلَّ ذلك.

فقلت ﷺ بلهفة وتعطش: وما هي؟

فقال ﷺ: أمَّا الإسم، فاسمه: «العباس» وأمَّا الكنية، فكنيته: «أبو الفضل» وأمَّا اللقب، فلقبه: «قمر بني هاشم، وقمر العشيرة، والسَّقاء».

فأعجب السيِّدة زينب ﷺ ذلك وقالت متفائلة: يا أبة! أمَّا إنَّ اسمه «عباس» فهو علامة الشَّجاعة والبسالة، وأمَّا إنَّ كنيته «أبو الفضل» ففيها علامة الشهامة والثَّبات، وأمَّا أنَّ لقبه: «قمر بني هاشم، وقمر العشيرة» فهو علامة الجمال والكمال، والهيبة والجلال، ولكن يا أبة! ما معنى أنَّه «السَّقاء»؟

فألَّفت إليها الإمام أمير المؤمنين ﷺ وبعد أن توسَّم في الوليد الجديد شريط المستقبل، وتصفَّح في ملامح وجهه سجلَّ الواقع القريب، وقال وهو ﷺ يستعرض على ابنته بعض ما في ذلك السجلِّ من أنباء وأخبار، ويحدِّثها عن بعض ما فيه من حوادث وملاحم، وذلك بزفرات متواصلة، ونبرات متقطَّعة

وخافته : يا بنيّة ! إنّهُ ساقى عطاشا كربلاء .

وما أن سمعت السيّدة زينب عليها السلام من أبيها هذا الجواب ، ورأته مختنقاً بعبرته ، إلّا وانخطف لونها ، وانصدع قلبها ، وأجهشت بالبكاء ، فلقد ذكرّها أبوها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بما حدّثته به أمّ أيمن عن جدّها رسول الله ﷺ من قصّة كربلاء وفاجعتها الأليمة ، فلم تتمالك نفسها .

عندها رقّ لها أبوها أمير المؤمنين عليه السلام فعطف عليها ، وأخذ يسليها ويخفّف عنها وطأة الخبر المفجع ، ووقعة النّبأ العظيم ، نبأ كربلاء ، وسقاية العطاشا ، قائلاً : بنيّة زينب ! تجلّدي واصبري ، وكفكفي دموعك ، وخذي أخاك إلى أمّه ، فإنّ له معك لموقف مشرّف ، وشأن عظيم .

وهنا سكنت السيّدة زينب عليها السلام من بكائها ، وهذأت من فورتها ، وكفكفت دموعها ، ثمّ تناولت أخاها الوليد من يدي أبيها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وأخذت تنثر على وجهه لثماتها الحارّة ، وقبلاتها الساخنة ، وأقبلت به إلى أمّه أمّ البنين التي بقيت بانتظارها .

نعم كانت أمّ البنين تنتظر السيّدة زينب عليها السلام بفارغ الصبر لتطلّع عبرها على اسم وليدها الجديد وكنيته ولقبه ، لذلك لمّا رأتها مقبلة به ، استقبلتها بنظراتها الحانية وقالت متسائلة : وهل انتخب مولاي الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لولدنا إسماءً ، واختار له كنية ولقباً ؟

فأجابتها السيّدة زينب عليها السلام بانطلاق وحبور : نعم يا أمّاه ! لقد انتخب له أحسنها وأجملها .

عندها قالت أمّ البنين بلهفة واشتياق : تفضّلي يا سيّدي عليّ ببيانها .
فقالت السيّدة زينب عليها السلام : أمّا اسمه فهو : «عباس» وأمّا كنيته فهو : «أبو الفضل» وأمّا لقبه فهو : «قمر بني هاشم» .

وما أن سمعت أمّ البنين بلقب وليدها الجديد: «قمر بني هاشم» الذي لقّبه به أبوه الإمام أمير المؤمنين ﷺ إلا وتذكرت رؤياها التي رأتها قبل زواجها، فتهلّل وجهها، وانشرح صدرها، وانطلق لسانها بالحمد والشكر على الله سبحانه وتعالى وأخذت تقول: الحمد لله الذي صدّقني الرؤيا، وحقّق لي وعده.

عندها سألتها السيّدة زينب ﷺ عن منامها وعن قصّة رؤياها. فقصّت عليها أمّ البنين رؤياها التي كانت قد رأتها قبيل زواجها من الإمام أمير المؤمنين ﷺ، وكيف انقضّ القمر من كبد السماء في حجرها. فقالت السيّدة زينب ﷺ وهي تلثم أخاها الرضيع وتقبّله: نعم لقد صدقت رؤياك، إنّ وليدك هذا قمر بني هاشم، وهو أجلّ من القمر وأفضل، إنّهُ قمر العشيرة أبو الفضل العباس ﷺ.

[التسمية برواية أخرى]

وجاء في بعض الكتب المعتبرة: إنّ أمّ البنين يوم وضعت حملها، وولدت أوّل أشبالها، قمّطته بقمّاط أبيض، وقدمته إلى أبيه الإمام أمير المؤمنين ﷺ، ليجري عليه سنن الولادة من التسمية وغير ذلك، فلمّا أخذه أمير المؤمنين ﷺ قرّبه إلى فمه ومسح على عينيه وأذنيه وفمه بلسانه الشريف - ولعلّه حتّى يكون ممّن يرى الحق، ويسمع الحق، وينطق بالحق - ثمّ أدّن في أذنه اليمنى، وأقام في اليسرى، ثمّ التفت إلى زوجته الوفية أمّ البنين ومن حولها وقال: ما سمّيتموه؟ فأجابته أمّ البنين بتأدّب واحترام قائلة: وما كنّا لنسبقك في شيء يا أمير المؤمنين. فشكر الإمام أمير المؤمنين ﷺ شعورها الطيّب، ووفاءها الجميل ثمّ قال: إنّني سمّيته باسم عمّي العباس عباساً، ثمّ ضمّه إلى صدره وأخذ بيديه الصّغيرتين

ورفعهما إلى فمه ولثمهما بقبلاته الساخنة واستعبر باكياً وهو يقول: كَأَنِّي بِيَدَيْهِ هَاتَيْنِ تَقْطَعَانِ يَوْمَ الطَّفِّ عِنْدَ مَشْرِعَةِ الْفَرَاتِ فِي نَصْرَةِ أَخِيهِ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، فاستعبرت أمّه ومن كان معها وفوّضت أمره وأمرها إلى الله تعالى.

[استنباط واستنتاج]

لا يخفى: إنّ من قصّة تقبيل الإمام أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يَدَيِ وَلَدِهِ الرّضِيعِ أَبِي الْفَضْلِ الْعَبَّاسِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يُعْلَمُ - بِالْإِضَافَةِ إِلَى مَا فِيهِ مِنْ بَيَانِ عِظَمَةِ مَقَامِ الْوَلِيدِ، وَشَرَفِ مَنْزِلَتِهِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى - أَنَّ تَقْبِيلَ الْإِنْسَانِ يَدَيِ أَوْلَادِهِ مِنْ بَابِ الْمَحَبَّةِ لَهُمْ، وَالشَّفَقَةِ عَلَيْهِمْ جَائِزٌ، كَمَا كَانَ يَفْعَلُ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ بَابِ الْمَحَبَّةِ، وَمِنْ بَابِ التَّعْظِيمِ وَالتَّشْرِيفِ، وَبَيَانِ الْمَقَامِ وَالْمَنْزِلَةِ، مَعَ ابْنَتِهِ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ سَيِّدَةِ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (عَلَيْهَا السَّلَامُ)، حَيْثُ كَانَ يَقْبَلُ يَدَيْهَا، وَيَقُومُ لَهَا مِنْ مَقَامِهِ، وَيَجْلِسُ فِي مَجْلِسِهِ. كَمَا أَنَّهُ يُعْلَمُ مِنْ تَقْبِيلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يَدَيِ ابْنِهِ الْعَبَّاسِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وَمِنْ تَسْمِيَتِهِ بِاسْمِ عَمِّهِ الْعَبَّاسِ، شِدَّةَ مَحَبَّتِهِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) لِابْنِهِ هَذَا، وَكَبِيرِ احْتِرَامِهِ، وَعُلُقَتِهِ بِعَمِّهِ ذَاكَ، كَيْفَ لَا وَقَدْ أَوْصَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِعَمِّهِ الْعَبَّاسِ خَيْراً وَقَالَ عَلَى مَا رَوَى: «لَا تُؤْذُونِي فِي عَمِّي الْعَبَّاسِ».

[سؤال وجواب]

قيل: إِنَّهُ لَمَّا مَضَتْ أَيَّامُ عَلَى وَلَادَةِ أَبِي الْفَضْلِ الْعَبَّاسِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، جَاءَتْ السَّيِّدَةُ زَيْنَبُ (عَلَيْهَا السَّلَامُ) إِلَى أَبِيهَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يَوْمَاً وَهِيَ تَحْمِلُ أَخَاهَا الْعَبَّاسَ وَقَدْ ضَمَّتْهُ إِلَى صَدْرِهَا وَقَالَتْ لَهُ: أُبَّةُ يَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ! مَا لِي أَرَى قَلْبِي مُتَعَلِّقاً بِهَذَا الْوَلِيدِ أَشَدَّ التَّعَلُّقِ، وَنَفْسِي مُنْشَدَّةٌ إِلَيْهِ أَكْبَرَ الْإِنْشَادِ؟

فأجابها أبوها الإمام أمير المؤمنين ﷺ بلطف وحنان قائلاً: وكيف لا تكونين يا أبة كذلك، وهو كفيلك وحاميك؟

فقالت السيِّدة زينب ﷺ بتعجُّب: إنَّه كفيلي وحاميني؟

فأجابها ﷺ بحطف وشفقة: نعم يا بنية، ولكن ستفارقينه ويفاركك.

فقالت السيِّدة زينب ﷺ باستغراب: يا أبتاه! أيتركني هو أم أتركه أنا؟

فقال الإمام أمير المؤمنين ﷺ وهو يجيبها بلهفة ولوعة: بل تتركينه يا بنية وهو صريع على رمضاء كربلاء، مقطوع اليدين من الزندين، مفضوخ الهامة بعمد الحديد، ضام إلى جنب الفرات. فلم تتمالك السيِّدة زينب ﷺ لمَّا سمعت ذلك حتَّى اعولت وصاحت: وأخاه وأعباساه. وإلى هذا أشار الشاعر حيث يقول:

جاءت به الحوراء تحمله وقد	شغفت به، وبه الفؤاد تعلَّقَا
تحنو عليه وتنثني لأبيهما	من كان كالأمِّ الرؤوم وأشفقَا
حلو الشَّمالك مذ رآه وفيه من	معنى البسالة والجمال مع النُّقا
سمَّاه عباساً وقال ملقَّباً	قمرأ فقل: أسمى وأجمل رونقا

الخصيصة السادسة :

« في بغض خصائص اسمه عليه السلام »

واسمه العباس وهو اسم الأسد بل هو الأشجع إن في الحرب شدّ

[العباس في اللغة]

جاء في لسان العرب: «العباس: الأسد الذي تهرب منه الأسود، وبه سمي الرجل عباساً».

وفي كتاب آخر: «العباس والعبوس، كثير العبس، وهما من أسماء الأسد».

وفي منتهى الإرب: «العباس بصيغة المبالغة يقال للشجاع المقدام، والشديد البأس، وعظيم الكرّ، وهو بمعنى الأسد أيضاً، ولهذا عبّر عنه الأكثر - وهو يصف العباس في ساحة الحرب - بالأسد الغضبان».

وقيل أيضاً: «العباس: بفتح العين وتشديد الباء يعني: الأسد، وهو اسم عمّ النبي ﷺ واسم نجل أمير المؤمنين عليه السلام من زوجته الوحيدة الكلالية التي تزوّجها بعد فاطمة الزّهراء عليها السلام، وحيث كان العباس هذا شجاعاً، مقداماً، يكرّ على الأعداء في الحروب كالأسد الغضبان سمي بالعباس».

وعن منتخب الطريحي: «كان العباس بن علي عليه السلام كالجبل العظيم، وقلبه

كالطُّود الجسيم، لأنّه كان فارساً هماماً، وبطلاً ضرغاماً، وكان جسوراً على الطّعن والضّرب، في ميدان الكفاح والحرب».

وفي مصدر آخر: «وسمّاه أمير المؤمنين ﷺ بالعباس، لعلمه بشجاعته وشهامته، وسطوته وصولته، فلقد كانت الأعداء ترتجف أبدانهم، وترتعد فرائصهم، وتعبس وجوههم خوفاً من العباس ﷺ إذا برز، وكان في الحروب والغزوات يحارب الشّجعان وينازلهم كالأسد الضاري حتّى يجدلّهم صريعاً».

وفي مقاتل الطالبيين: «كان العباس رجلاً وسيماً جميلاً، يركب الفرس المطهّم، ورجلاه تخطّان في الأرض خطّاً».

وفي كتاب آخر: «الذين قتلوا مع الإمام الحسين ﷺ كانوا جميعاً في أعلى درجات الشّجاعة، وأرفع مراتب الشّهامة، إلّا أنّ العباس بن علي ﷺ كان له من قداحها المعلى، ورتبته أنبل وأعلى، يقتبس أنوارها، ويقتطف ثمرها ونورها، وناهيك بمن كان ضلعاً من أضلاع أشجع البريّة، ودوحة من الروضة العلوية، وغصناً من أغصان الشجرة المباركة، الزيتونة النورانية، أبوه الإمام أمير المؤمنين سيّد البريّة، وأخوه الإمام الحسن والإمام الحسين ﷺ سيّدا أهل الإباء والحميّة، ولا يقاس بشجاعته إلّا شجاعة أبيه وأخويه، وقد ادّخره أبوه لينصر ولده الإمام الحسين ﷺ بمهجته، ويواسيه بنفسه».

[من بركات اسم أبي الفضل ﷺ]

جاء في كتاب منتخب التواريخ ما مضمونه: أنّ اسم «العباس» من حيث حساب الأبجد، يساوي عدد حروف اسمه بالجُمْل ما عدا الألف واللام: (١٣٣) كما أنّ عدد حروف لقبه: «باب الحسين ﷺ» بالجُمْل ما عدا الألف واللام أيضاً

يساوي (١٣٣) ومن الختومات المجربة لتسهيل الحوائج وقضائها، وإنجاحها وإمضائها هو: مخاطبة العباس عليه السلام بعدد حروف اسمه (١٣٣) بما يلي:

«يا كاشف الكرب عن وجه أخيه الحسين عليه السلام إكشف كربى بحق أخيك الحسين عليه السلام». ولعلّه إلى هذا المعنى أشار الشاعر حيث يقول:

يوم أبو الفضل استجار به الهدى والشمس من كدر العجاج لثامها

[العباس عليه السلام يجير من استجار به]

وجاء في كتاب «الكبريت الأحمر» للعلامة النحرير، الشيخ البيرجندی أنّه قال وهو يتحدّث عن نفسه، ويقصّ بعض خواطره: إنّ كان قد توّسل بأبي الفضل العباس عليه السلام إلى الله تعالى في إنجاز بعض مهمّاته، ووسطه في حلّ شيء من مشكلاته، ولكنّه لم ير أثراً من الإجابة، فرأى ذات ليلة رؤيا صادقة في منامه، أنّه رأى شخصاً يقول له: كلّ من كانت له حاجة إلى الله تعالى فليقرأ هذه العبارة متوسّلاً بأبي الفضل العباس عليه السلام إلى الله سبحانه فإنّ الله تعالى يقضي له حاجته بوجهة أبي الفضل عليه السلام عنده، والعبارة هي كالتّالي:

«عبدالله! أبا الفضل! دخيلك».

قال الشيخ البيرجندی: فما توّسلت إلى الله تعالى بعد ذلك بأبي الفضل عليه السلام وقرأت هذه العبارة إلّا وقضى الله تعالى حاجتي، وكشف عني همّي وغمي، وبلغني مناي وأملي.

[إغاثة العباس عليه السلام المستغيثين به]

ونقل عن أحد المراجع العظام نقلاً عن بعض العلماء المقيمين في قم المقدسة أنه قال : عرضت لي مشكلة فتوسّلت بإمام العصر الحجة بن الحسن العسكري عليه السلام إلى الله تعالى في حلّها، وكنت أذهب لذلك إلى مسجد جمكران المعروف في قم المقدسة، مضت على ذلك مدّة من الزّمان ولم أر أثراً من الإجابة، فانكسر قلبي ذات مرّة وأنا في الصّلاة المستحبّة التي تصلّي في مسجد جمكران وأخذت أخاطب سيّدي ومولاي الإمام الحجة عليه السلام وأقول: سيّدي ومولاي! لقد توسّلت بك إلى الله تعالى في حلّ مشكلتي وقضاء حاجتي، فلم أر أثراً للإجابة، فهل يسوغ لي أن أتوسّل بغيرك وأنت إمامي، ومن له حقّ الطاعة عليّ في عنقي؟ ثمّ قلت: فإنّي لا أسمح لنفسني أن أتوسّل إلى الله سبحانه وتعالى بأحد سواك، حتّى ولو كان وجيهاً عند الله مثل باب الحوائج أبا الفضل العباس عليه السلام. ثمّ قال: وهنا غلبني الحزن والبكاء، وانكسار القلب والخاطر، وبينما أنا كذلك إذ سمعت من يقول لي: لا بأس عليك بالتوسّل إلى الله تعالى بعمّن أبي الفضل العباس عليه السلام، ونحن ندلك على ما تقوله عند التوسّل إلى الله تعالى به، فإذا كانت لك حاجة فتوسّل به إلى الله تعالى بهذه العبارة وقل:

«يا أبا الغوث أدركني».

[التوسّل إلى الله بالعباس عليه السلام]

ونقل عن العلامة المازندراني صاحب كتاب معالي السّبطين أنّه قال: من كانت له حاجة، أو يشكو مشكلة، فليتوسّل إلى الله تعالى بأبي الفضل

العباس عليه السلام وليكرّر هذا التوسّل أيّاماً حتّى تقضى حاجته، وترتفع مشكلته، وذلك بأن يصليّ على محمّد وآل محمّد (١٣٣) مرّة، ثمّ يقول: يا عباس (١٣٣) مرّة، ثمّ يعود فيصلّي على النبيّ وآله (١٣٣) مرّة، فإنّ الله تعالى يقضي له حاجته، ويفرّج عنه مشكلته.

وجاء في كتاب معالي السّبطين أيضاً: إنّ من كان في الصّحراء، أو في مكان قفر لا ماء فيه، وأضرّ به العطش، وخاف الهلاك، فليتوسّل إلى الله تعالى بالعباس عليه السلام ولينادي: «يا أبا القربة» فإنّه يروى من العطش، ويرفع عنه الظّمأ، بإذن الله تعالى.

الخصيصة السابعة :

« في نشأته ﷺ »

إرتضع أبو الفضل العباس ﷺ من أمّ وفتية، ووالدة كريمة، منتمية إلى بيت كريم، وأسرة نجبية، وذات عراقية وأصالة، ومجد وسؤدد، ألا وهي - كما عرفت - فاطمة بنت حزام الوحيدة الكلاية، المكتاة بأمّ البنين ﷺ، وتربّئ في أحضانها، وتروى من إيمانها وولائها، وعلمها ومعرفتها، حيث أنّها كانت من الفاضلات العالمات.

كما وترعرع في حجر والدٍ كريم، وسيدٍ عظيم، نفس رسول الله ﷺ ووصيّهِ، وخليفته من بعده، وارث علم النبيّين، وسيد الوصيّين، وقائد الغرّ المحجلّين إلى جنّات النعيم، الإمام عليّ بن أبي طالب أمير المؤمنين ﷺ.

لقد كان أبو الفضل العباس ﷺ ملازماً لأبيه الإمام أمير المؤمنين ﷺ أيام إقامته في المدينة المنورة، ثمّ هاجر معه ﷺ إلى العراق وأقام معه في الكوفة، وهو في كلّ ذلك تحت عنايته الشّفيقة، ورعايته التربوية الحكيمة، فاكسب من هذين الأبوين الكريمين كلّ مكرمة وفضيلة، وورث منهما بالتربية والوراثة، المكارم والأخلاق الحميدة، والعلم الجمّ، والمعارف الإلهية النبيلة.

[قل : واحد]

ففي التاريخ أنّ أباه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام دعاه يوماً وهو بعد في سنّ الطفولة وقد انطلق لسانه، وتعلّم النطق ببعض الكلمات، فأخذه وضّمّه إليه ثمّ أجلسه في حجره وقال له: بنيّ عباس! قل: واحد.
فقال العباس عليه السلام: واحد.

فقال له عليه السلام: يا ولدي! قل: اثنين.
فأبى وامتنع من أن يقول اثنين، ثمّ التفت إلى أبيه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وقال: إني يا أبة أستحيي أن أقول اثنين بلسان قلت به واحداً.
وكان هذا الجواب هو الذي ينتظره الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من ولده العباس عليه السلام، لذلك التفت إليه وقال: أحسنت يا ولدي، بارك الله فيك، ثمّ أخذه وضّمّه إلى صدره ثانية، وقبّل ما بين عينيه.

[ملازمة السبطين عليه السلام]

ثمّ إنّ أبا الفضل العباس عليه السلام بقى بعد أبيه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ملازماً لأخويه السبطين، الإمامين الهمامين: الحسن والحسين عليه السلام وهما اللذان قد أُنّي عليهما وعلى ابن عمّهما عبدالله بن جعفر حتّى مثل عثمان بن عفّان فإنّه قال للسائل الذي سأله فاعطاه هو خمسة دراهم فقط، وسألهم فأغدقوا عليه المال: ومن لك بمثل هؤلاء الفتية؟ أولئك فطموا العلم فطمأً، وحازوا الخير والحكمة.

نعم لقد لازم أبو الفضل العباس عليه السلام بعد أبيه أخويه، ورجع معهما إلى المدينة المنورة وبقي في خدمتهما مدّة إقامتهما فيها، وتعلّم منهما أيضاً معالم

الدين وأصوله، وأحكام الإسلام وفروعه، ومحاسن الأخلاق ومكارمه، حتى إذا استشهد السبط الأكبر الإمام الحسن المجتبى ﷺ على يدي معاوية بالسم غدراً، صار ملازماً لأخيه الإمام الحسين ﷺ وبقي معه مادام كان الإمام ﷺ في المدينة المنورة، يتلقى من علومه، ويتروى من جميل أخلاقه وآدابه، حتى إذا خرج الإمام الحسين ﷺ إلى العراق، خرج معه أبو الفضل العباس ﷺ ولازم ركابه حتى قُتل بين يديه شهيداً، صابراً، محتسباً.

[نسخة طبق الأصل]

لقد امتازت نشأة أبي الفضل العباس ﷺ عن غيره من أولاد الإمام أمير المؤمنين ﷺ بأنه اختص من بينهم بصحبة والده وأخويه السبطين، بل وابن أخيه الإمام زين العابدين ﷺ أيضاً، وملازمته لهم، والتلمذ عندهم، والترؤي من معين علمهم، وزاكي أخلاقهم، ولذلك جاء نسخة طبق الأصل، من حيث الفضائل والمكارم، والعلم والمعارف، حتى قال الشاعر في حقّه وهو يصف مناقبه وفضائله:

وفي العباس من كرم السجايا	كثير ليس يحصر في مقال
وفاء، نجدة، زهد، وعلم	وإيثار، وصدق في المقال
عفاف ظاهر، حلم، وجود	وبأس صادق عند النزال

الخصيصة الثامنة :

« في كُنَى العباس عليه السلام »

الكنية من حيث اللغة هو: الإسم المصدّر بالأب مثل: أبو الحسن، أو الأم مثل: أم أيمن.

وقيل: المصدّر بالإبن أيضاً مثل: ابن الرضا، والمصدّر بالابنة أيضاً مثل: ابنة فاطمة.

وقيل: إنه يشترط في الكنية أن يكون مشعراً بالمدح أو الذم، كما أنهم جعلوا حكمة الكنية هو التعظيم، أو التحقير، فقالوا: إنَّ هناك من لا يدعونه باسمه بل بكنيته تبجيلاً وتكريماً، كما أنَّ هناك من يدعونه بكنيته توهيناً وتحقيراً.

وعلى كلِّ حال: فقد اشتهر العباس بن علي بن أبي طالب عليه السلام بكنى متعددة، وكلّها تحكي الثناء والتعظيم، وتفصح عن المدح والتبجيل للعباس عليه السلام، غير أنَّ الأشهر من بين الجميع هو: أبو الفضل، ويتلوه شهرة: أبو فاضل، ثمَّ أبو القاسم، ثمَّ ابن البدوية، ثمَّ أبو القربة، وأبو الشارة، وأبو رأس الحار، وأبو فُرجة.

[كناه عليه السلام مشعرة بالتعظيم]

لقد سبق في تعريف الكنية ومعناها اللغوي: بأنّها الإسم المصدّر بالأب أو الأم، والإبن أو الابنة، مضافاً إلى شروطها الأخرى: من إشعار المدح أو الذم،

وحكمة التعظيم أو التحقير، فإنّ هذا التعريف يوقفنا على أنّ الإسم المصدّر بواحد من الأب أو الأم، والإبن أو الابنة، يُعدّ كنية، حتّى وإن لم يكن لصاحب ذلك الإسم المصدّر بالأب أو الأم ابن - مثلاً - يُدعى بذلك الإسم، أو لم يكن لصاحب ذلك الإسم المصدّر بالإبن أو الابنة أب - مثلاً - يُدعى بذلك الإسم.

[أبو الفضل ، وأبو فاضل]

«وعليه: فيكون أبو الفضل، وكذا أبو فاضل، وهكذا غيره من كنى العباس عليه السلام» مشعراً بالمدح والثناء، وحاكياً عن التعظيم والتبجيل، وليس مستلزماً لأن يكون له ابن يُدعى بالفضل، أو بفاضل - مثلاً - حتّى وإن قيل: بأنّه عليه السلام كان له ابن يدعى بالفضل بن العباس عليه السلام.

وكيف كان: فإن كنى العباس عليه السلام كلّها مشعرة بالمدح والثناء عليه، كما أنّ الحكمة من وضعها له هي: تعظيمه وتبجيله عليه السلام بها، ولذلك نرى الشاعر يقول في حقّه عليه السلام:

أبا الفضل! يا من أسس الفضل والإبا أبى الفضل إلا أن تكون له أبا
وقال آخر:

فأنت أخو السبطين فى يوم مفخر وفى يوم بذل الماء أنت أبو الفضل
وأماً «أبو فاضل» فإنّ العرب قد تعارفوا على أن يكتوّ كل من كان اسمه:
(عباس) بكنية معروفة لديهم هي: «أبو فاضل» سواء كان له ابن بذلك الإسم أم لا؟

[أبو القاسم]

وأما «أبو القاسم» فهو كنية سيّد المرسلين، وخاتم النبيّين محمّد بن عبد الله ﷺ، وقد كنيّ العباس ﷺ بها تشريفاً له، وحفاوةً به، وذلك كما ورد في زيارة الأربعين المنقولة عن جابر بن عبد الله الأنصاري حيث أنّه وقف على قبر أبي الفضل العباس ﷺ وقال: «السّلام عليك يا أبا القاسم، السّلام عليك يا عباس بن علي...» وإن قيل: بأنّه كان للعباس ﷺ ابنٌ يُدعى باسم: القاسم بن العباس ﷺ.

[ابن البدويّة]

وأما «ابن البدويّة» بفتح الباء والدّال، أو سكون الدّال وكسر الواو فهو إشارة إلى فروسيّة العباس ﷺ وشجاعته التي ورّثها عن طريق أمّه: أمّ البنين ﷺ التي كانت تنحدر من قبيلة بدويّة، معروفة بالشجاعة والفروسيّة، كما أنّ فيها إشارة إلى حسن الطّباع، وكرم الأعراق، وطيب الأخلاق والآداب التي كانت تتحلّى بها أمّ البنين، والتي ورّثتها لابنها العباس ﷺ وذلك نظراً لانتماؤها إلى البادية التي تُشبع روح ساكنيها بالصفاء والوفاء، وتروّي نفوسهم بالعزّة والإباء، وتقوّي عقولهم بالرّحابة والطلاقة.

[أبو القربة]

وأما «أبو القربة» بكسر القاف وسكون الرّاء، فهو ممّا جاء من ألقابه ﷺ في كتاب مزار السّرائر لابن إدريس، ومقاتل الطالبيّين لأبي الفرج، والأنوار النعمانيّة، وتاريخ الخميس، وهو كناية عن تصدّيه ﷺ لمهمّة السّقاية، يعني:

سقاية الماء التي لها عند الله أجر كبير وثواب جزيل .

فقد كان العباس عليه السلام المسئول عن سقاية الماء لموكب الإمام الحسين عليه السلام عند خروجه من المدينة المنورة إلى مكة المكرمة، ومنها إلى العراق، وبالخصوص في كربلاء، وخاصة بعد تحريم الماء من قبل يزيد بن معاوية على آل الرسول ﷺ ومنعه عنهم .

كما أن فيها إشارة إلى مواساته عليه السلام أخاه الإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء حيث ورد المشرعة، وملاً القربة ماءً، ولكنه لم يذق من الماء ولا قطرة، مع شدة عطشه، وكبير ظمأه، وذلك احتراماً لأخيه الإمام الحسين عليه السلام وأطفال أخيه وبنات رسول الله ﷺ العطاشى .

كما أن فيها إشارة أيضاً إلى طريقة شهادته عليه السلام وكيفية قتله، حيث أنه حفاظاً على القربة وماءها، وإيصالها سالمة مع الماء إلى حرم الإمام الحسين عليه السلام وأطفاله، عكف كل همّه على بلوغ هذه الأمنية، ممّا ترك لأجلها المبارزة مع الأعداء ومجاهتهم في ساحة الحرب، حتّى طمع الأعداء في قتله، وتجرّأوا على الكمين له في طريقه، وكذلك فعلوا، حيث كمنوا له في طريقه من وراء النخيل وقطعوا أولاً يديه ثمّ استهدفوا القربة وأراقوا ماءها، ثمّ أردوه قتيلاً .

[أبو الشارة]

وأما «أبو الشارة» من شوّر بالرجل فتشور، أي: إذا خجله فخجل، فهو: كناية عن كونه عليه السلام صاحب الكرامات المعروفة التي تحصل عنده عليه السلام من مراجعة المتخاصمين الذين انسدت عليهما طرق المصالحة والإعتراف بالحق، وأعيتهما كثرة المرافعة وتداول المنازعة وتبادل الاتّهامات فيما بينهما، حيث يلجأون إلى

روضته عليه السلام ويطلبون منه فضح المتهم منهما، فإنه بمجرد ما يحلف المتهم كذباً بالعباس عليه السلام ليثبت بزعمه برأته، يشور العباس عليه السلام به فيفضحه ويخجله، بتلجلج لسانه، وتغير لونه، وتردد وجهه، وكثيراً ما يرفعه من الأرض وضربه بقسرٍ عليها، وكبسه بها، مما يؤدي إلى موته أحياناً كثيرة، فإنه لكثرة وقوع هذه الكرامات في روضته المباركة، عرف عند العامة بهذه الكنية المباركة «أبو الشارة» التي ترتجف من صداها فرائض الأشرار، وترتعب من ذكرها قلوبهم القاسية حتى قال فيه الشاعر:

وشاراته كالشمس في الأفق شوهدت لها من بنات المجد أومت إشارات

[أبو راس الحار]

وأما «أبو رأس الحار» فهو كناية عن سرعة غضبه عليه السلام في الله تعالى، وخاصة بالنسبة إلى المظلومين الذين يستجيرون به ويلجأون إلى روضته المباركة، ويطلبون منه عليه السلام أن ينتقم لهم من ظالمهم، وأن يريهم فيهم ثأرهم ومآربهم، فإنه عليه السلام لا يخيب أمل من استجار به وطلب منه ذلك، وإنما يأخذ له بحقه من ظالمه سريعاً عاجلاً، وكم على ذلك من شواهد وعلامات، وفي ذلك من قصص عجيبة، وقضايا غريبة، امتلأت بذكرها الكتب المعنية بذكر هذه الكرامات الظاهرة من ضريحه الأنور، في مشهده المقدس، وتحت قبته المباركة، وفي روضته المنورة.

[أبو فرجه]

وأما «أبو فرجة» بضم الفاء وسكون الراء وفتح الجيم، فهو إشارة إلى

تفريجه عليه السلام همّ من شكى إليه همّه، وتنفيسه كرب من بثّ إليه كربه، وكشفه غمّ من أباحه ما أغمّه، وإغاثة للمستغيثين به، وإجارته للمستجيرين بضريحه، والآئذين بقبره الشريف، وإجابته الملهوفين الذين يلجأون إلى روضته المباركة، ويلتمسون من جنبه الوساطة إلى الله تعالى في الفرج عنهم، والكشف عمّا بهم، فإنّه عليه السلام سريعاً ما يشفع لهم، ويتوسّط في أمورهم، فيفرّج الله تعالى عنهم، ويكشف ما بهم من كرب وضرّ، وذلك كما قال شاعرهم:

كم فرّج الله عنّا كرب معضلة	كرامة منه للعباس شبل علي
ورحمة الله خصّتنا بفضلهم	عند الصّعاب وعمّت فيه كلّ ولي

الخصيصة التاسعة :

« في ألقاب العباس ؑ »

اللقب على ما عرّفوه هو: ما يسمّى به الإنسان بعد اسمه العَلَم من لفظ يدلّ على المدح أو الذمّ، وحيث أنّ أبا الفضل العباس بن أمير المؤمنين ؑ كان حاوياً على جميع الخصال الحميدة، وجامعاً لكلّ الصفات الحسنة، والخلال الخيرة، كان كلّ ما لقّب به دالّاً على المدح والتّناء، والتّعظيم والتّبجيل، ولم يكن له ؑ هنالك قطّ لقب فيه دلالة على الذمّ والجفاء، أو الخفّة والشّقاء، وذلك لأنّه ؑ لم يكن له ثغرة في حياته، ولا منقصة في صفاته وخلالله، حتّى يستطيع أحد من أعدائه ومناوئيه - مثلاً - نبزه بذلك اللّقب، أو انتقاصه بتلك الثّغرة والفجوة، كيف وهو ابن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ؑ، وأخو الإمامين الهاميين، ريحانتي الرّسول ﷺ وسيّدا شباب أهل الجنّة: الحسن والحسين ؑ، وهو بالإضافة إلى نسبه الشّريف، ربيب أهل بيت الوحي والنّبوة، وأديب من تأدّبوا على يدي رسول الله ﷺ علماً بأنّ الرّسول ﷺ هو أديب الله تعالى. فقد ورد عنه ﷺ قوله المشهور: «أدبني ربّي فأحسن تأديبي».

وعليه: فقد ظهر من ذلك كلّهُ أنّ أبا الفضل العباس ؑ هو من ورث الفضائل والمكارم من معدنه، وتخلّق بالآداب والمحاسن من مَعينه ونميره، ولذلك صار مجعماً للجمال والكمال، وأصبح منبعاً يفيض بالجوّد والتّوال، حتّى

قال فيه الشعراء قصائد المدح والثناء، ونظموا فيه قوافي الخير والإطراء. ومما جاء منظوماً في حقّه عليه السلام ما قاله الشاعر:

هو البحر من أيّ النواحي أتيته فلجّته المعروف والجود ساحله
وقال آخر:

هو العباس ليث بني نزار	ومن قد كان للآجي عصاما
هزبر أغلب تخذ اشتباك	الرماح بحومة الهيجا أجاما
فمدّت فوقه العقبان ظلاً	ليقرّبها جسومهم طعاما
أبيّ عند مس الضيم يمضي	بعزم يقطع العضب الحساما

[العباس عليه السلام مجمع الجمال والكمال]

نعم، إنّ أبا الفضل العباس عليه السلام قد حوى من المكارم والمحسن، ومن الأخلاق والآداب، ما لا يمكن قصرها في مجال، ولا حصرها في مقال، ولذلك جاءت ألقابه الدالة على بعض من تلك المكارم والمحسن، والمشيرة إلى نماذج من تلك الآداب والفضائل، عديدة وكثيرة، ورفيعة ومنيعة، نذكرها أولاً سرّداً بحسب ترتيب اشتهاها لدى الناس، ثمّ نشرح ما تيسّر لنا منها إنشاء الله تعالى فيما يأتي. وهي كالتالي:

باب الحسين عليه السلام.

باب الحوائج.

السقاء.

ساقى عطاشاً كربلاء.

قمر بني هاشم.

- قمر العشيرة.
- حامل اللّواء.
- بطل العلقمي.
- كبش الكتبية.
- حامي الطّعيّنة.
- سبع القنطرة.
- الضّيغم.
- العبد الصّالح.
- العابد.
- الطيّار.
- الشّهيد.
- الصّدّيق.
- القادي.
- المؤثر.
- المواسي.
- الحامي والمحامي.
- ظهر الولاية.
- قائد الجيش.
- المستجار.
- الواقّي.
- الساعي.
- المستعجل.
- المصفّي، وغير ذلك.

الخصيصة العاشرة :

« في أنه ﷺ باب الحسين ﷺ »

أبا الفضل أنت الباب للسهب مثل ما أبوك عليّ كان باباً لأحمدا
وقد كتب علي مصراعي الباب الفضّي في الأيوان الذهبي من روضة أبي
الفضل العباس ﷺ المباركة، أبيات من قصيدة الخطيب الشّهير الأستاذ الشّيخ
محمّد علي يعقوبي منها الأبيات التّالية :

هو باب الحسين ما خاب يوماً	وافد جاء لانذا في حماه
إنّه باب حطة ليس يخشى	كلّ هول مستمسك في عراه
قف به داعياً وفيه توسّل	فبه المرء يستجاب دعاه

[أنت الباب للسهب]

في البيت الأوّل من مطلع هذه الخصيصة يشير الشّاعر الموالي إلى أنّ
أبا الفضل العباس ﷺ قد احتذا حذو أبيه الإمام أمير المؤمنين ﷺ في إيمانه
وأخلاقه، حيث كان من شدّة إيمان الإمام أمير المؤمنين ﷺ وكرم أخلاقه، أنّ
النّبي ﷺ كان يعدّه لكلّ عظمة، ويدعوه عند كلّ نازلة وملّة، وكان هو ﷺ قد
وقف نفسه على خدمة رسول الله ﷺ، وحمايته والذبّ عنه، حتّى اشتهر عنه
قوله ﷺ : أنا عبد من عبيد محمّد ﷺ، وحتّى قال فيه تعالى وهو يصف موقفه

ليلة المبيت حين نام على فراش رسول الله ﷺ موقياً له بنفسه : ﴿ ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رءوف بالعباد ﴾ وغيرها من المواقف الأخرى ، وحتى قال فيه رسول الله ﷺ : « أنا مدينة العلم وعليّ بابها ، فمن أراد المدينة فليأت الباب » .

فكان ﷺ باباً للنبي ﷺ ومصاحباً له في جلّه وترحاله ، وحضره وسفره ، وسلمه وحربه ، وواقياً له بنفسه وروحه ، وماله وولده ، وقد عرف بذلك حتى أنّه صار من يريد الزلّقى عند رسول الله ﷺ يتقرّب بالإمام أمير المؤمنين ﷺ إليه ، ومن يريد الحظوة لدى النبي ﷺ يوسّط الإمام أمير المؤمنين ﷺ لديه ، ومن أراد أن يقضي الله حاجته ، جعله بعد رسول الله ﷺ الوسيلة إلى الله تعالى في قضاء حوائجه .

وكذلك كان ولده أبو الفضل العباس بن أمير المؤمنين ﷺ باباً لأخيه الإمام الحسين ﷺ ، حيث كان من شدة إيمان العباس ﷺ ونبل أخلاقه أنّ الإمام الحسين ﷺ كان يعدّه لكلّ عزيمة ، ويدعوه عند كلّ نازلة وملّمة ، وكان هو ﷺ قد وقف نفسه لخدمة أخيه الإمام الحسين ﷺ ، وحمايته والدّفع عنه ، حتى اشتهر قوله في مخاطبته له : سيّدي ومولاي ، ولم يُعرف عنه أنّه خاطبه يوماً ، وذات مرّة بقوله : يا أخي ، إلّا في يومٍ واحد ، وذات مرّة واحدة فقط ، وهي في يوم عاشوراء ، وذلك حين هوى من على ظهر جواده إلى الأرض ، وهي ساعة حرجة يحنّ فيها الإنسان إلى أقرب ذويه وأخصّ خاصّته ، ولحظة يتلهّف الإنسان فيها إلى أن يتصفّح وجوه كلّ أقربائه وجميع حمّته ، وذلك لأنّه يريد أن يُلقّي فيها بنظراته الأخيرة على وجوههم ، ويتصفّح ولاء مرّة للوداع محيّاهم ، ويحبّ أن يرى في النهاية رأسه في حجرهم ، وجسمه بين جموعهم وحضورهم ، في هذه السّاعة بالذّات ، وفي تلك اللّحظة الحسّاسة نفسها ، سمح أبو الفضل لنفسه أن ينادي أخاه بقوله : « يا أخاه ! أدرك أخاك » .

[موقف الإمام الحسين ﷺ من أخيه]

وهنا كان الموقف الرشيد من الإمام الحسين ﷺ حيث لم يصل صوت أخيه المواسي إلى مسامعه الكريمة، إلّا ولّى نداء أخيه، وأسرع إليه كالصقر المنقض، ونزل عنده، وجعل رأسه في حجره، وأخذ يمسح الدّم والتراب من على عينيه، ويناشده عمّا يشتكي منه ويؤلمه، ويناجيه بتوجّع، وتألّم، مشاركاً له آلامه، ومشاطراً إيّاه همومه وغمومه، ففتح على أثر ذلك أبو الفضل العباس ﷺ عينه في وجه أخيه الإمام الحسين ﷺ، وألقى بنظرته الأخيرة عليه، وودّع أخاه، وإمامه، ببسمة ارتسمت على شفتيه، تحكي كلّ معاني الإخلاص والمحبة، وتُنصح عن آيات الولاء والأخوة، فما كان من الإمام الحسين ﷺ إلّا أن ردّ على أخيه الرفي جواب سلامه وتحياّته، ولكن لا بنبرات صوته، وجهير كلامه، وإنّما بزفراته وعبراته، وأنيبه وحنينه، وقطرات دموعه، وحرارة آهاته، ممّا ألهب بها محيا أخيه، وأبرد به فؤاده و صدره، حتّى إذا أحسّ بها العباس ﷺ لفظ أنفاسه الأخيرة، في حجر إمامه العظيم، وأحضان سيّده الكريم، قرير العين، تلج الفؤاد.

[الأهداف من ترك العباس ﷺ في مكانه]

وكان من دأب الإمام الحسين ﷺ - وهو دأب كلّ قائد رؤوف، وإمام عظوف - أن يحمل جثث أنصاره، وأجساد قتلاه، الذين استشهدوا في المعركة معه، إلى فسطاط أعدّه للشهداء قرب معسكره ومخيّمه، فكان يضع بعضهم مع بعض وهو يقول - كما عن غيبة النعماني -: «قَتَلْهُ مِثْلَ قَتْلَةِ النَّبِيِّينَ وَآلِ النَّبِيِّينَ».

لكن لما وقف الإمام الحسين عليه السلام في هذه المرة على جسد أخيه الوفي أبي الفضل العباس عليه السلام ورآه بتلك الحالة، بكى حوله ساعة، وانصرف ولم يحمله إلى القسطنطينية، بل ترك جسد أخيه الشهيد في مكانه، وغادر جثته مودرة ومقطعة في محلّ شهادته ومصرعه، وذلك إما نزولاً إلى رغبته، وتلبيةً لطلبه عليه السلام حيث أنه على ما روي طلب من أخيه الإمام الحسين عليه السلام مقسماً عليه بجده عليه السلام أن يتركه مكانه ما دام به رمق، وأن لا يحمله إلى قسطنطينية الشهداء، لأنه قد وعد سكينه بالماء وهو يستحي منها.

أو لأنه عليه السلام أشفق على أخيه الإمام الحسين عليه السلام فأراد أن يعفيه من عناء حمله ومشقة نقله إلى القسطنطينية.

أو لأنه حاول بذلك الحفاظ على عواطف النساء والأطفال، وأراد أن يخفي عنهم خبر شهادته، المفزعة لهم، ولو إلى لحظات، وأن يحجب جسمه المودر المفجع لهم عن أنظارهم ولو بضع ساعات.

أو لأنّ الأعداء كانوا قد قطعوا جسمه الشريف إرباً إرباً بحيث لم يمكن حمله - بحسب الظاهر - إلى الخيام ولا نقله إلى القسطنطينية.

أو أنّ الإمام الحسين عليه السلام ترك أخاه العباس عليه السلام في مكانه ولم يحمله إلى القسطنطينية إشارة منه إلى أنّ أخاه يستحقّ التعظيم والتبجيل باتخاذ مرقد منفرد له، ونصب شباك مجلّل على قبره، ورفع بنیان شامخ حول ضريحه، وتشيد روضة مباركة أطراف مرقده، وذلك تقديراً منه لوفائه، وشكراً له على موافقه الرّشيدة تجاه إمامه، وليكون بعد شهادته كما كان أيتام حياته باباً للإمام الحسين عليه السلام، فيقصده الزّائرون، ويؤمّه الموالون والمحبّون، ويحجّ إليه أرباب المسائل والحوائج، وأصحاب الضرّ والفاقة، والفقير والمسكّن أولاً، ويشفعونه عند أخيه الإمام الحسين عليه السلام، ويوسّطونه في حوائجهم إليه، ثمّ يقصدون روضة الإمام

الحسين عليه السلام للزيارة، والاستشفاع به إلى الله تعالى في قضاء حوائجهم، وبلوغ أمانيهم وآمالهم ثانياً.

[مرقد منفرد وحرّم خاص]

ولعلّ الأمر الأخير كان هو الهدف من وراء ترك الإمام الحسين عليه السلام أخاه العباس عليه السلام في مكانه، وعدم حمله إلى الفسطاط - كما عليه المحققون من كبار العلماء والفقهاء -.

ويؤيده: أنه لما جاء الإمام زين العابدين عليه السلام في اليوم الثالث من شهادة أبيه الإمام الحسين عليه السلام إلى كربلاء، وذلك بطريق المعجزة، وأراد دفن الشهداء السّعداء، ومواراة أجسادهم الطّاهرة، إلتفت إلى بني أسد بعد أن وارى بنفسه جسد أبيه الطّاهر، ووارى بمعاونة بني أسد أجساد الشهداء الأبرار، وقال: أنظروا هل بقي من أحد؟

قالوا: نعم، بقي بطل مطروح حول المسنّة وهو مودّر ومقطّع إرباً إرباً، وإنّا كلّما حملنا جانباً منه سقط الآخر.

فقال عليه السلام: إمضوا بنا إليه.

فمضوا جميعاً إليه، فلما رآه انكبّ عليه يلثم نحره الشّريف وهو يقول: «على الدّنيا بعدك العفا يا قمر بني هاشم! وعليك منّي السّلام من شهيد محتسب ورحمة الله وبركاته» ثمّ شقّ له ضريحاً، وأنزله وحده كما فعل بأبيه الإمام الحسين عليه السلام وقال لبني أسد: «إنّ معي من يُعينني».

وعليه: فإنّ الإمام زين العابدين عليه السلام مع إمكانه - ولو بطريق المعجزة أو

تعاون مع بني أسد - أن ينقل الجسد الطاهر إلى الحائر الشريف، لكنه ﷺ مع ذلك لم ينقل جسد عمّه أبي الفضل العباس ﷺ عن مكانه، ولم يحمله إلى بقعة أبيه الإمام الحسين ﷺ ولا إلى روضة الشهداء من أهل بيته وأصحابه، وإنما حفر له حيث مرّقه الآن مرقدًا، وشقّ له ضريحاً، وواراه فيه، ليكون قبره الشريف، ومرّقه المنيف، محطّاً ومزاراً، وملاذاً ومعاداً، وباباً للذين يقدون لزيارة الإمام الحسين ﷺ، وبواباً للذين يقصدونه بحوائجهم وآمالهم.

وهكذا كان، فإنّ الوافدين والزّائرين، وكذلك هيئات المعزّين والمسلّين، ومواكب الغزاء كموكب السّلاسل والتّطبير، واللّطم والتّشبيه، وغيرهم من الآمين إلى كربلاء المقدّسة من ذلك الزّمان وحتى يومنا هذا، يقصدون أولاً مشهد أبي الفضل العباس ﷺ، ويأمّون روضته المباركة، ويوسّطونه لحوائجهم عند أخيه الإمام الحسين ﷺ، ثمّ بعد ذلك يقصدون مشهد الإمام الحسين ﷺ ويتشرّفون بزيارته، ويتبرّكون بحرمة وروضته ثانياً وأخيراً.

[إقتداء العباس ﷺ بأبيه]

نعم، إنّ أبا الفضل العباس ﷺ إقتدى بأبيه في الكرم والجود، فصار باباً لأخيه وسيّده الإمام الحسين ﷺ كما كان أبوه الإمام أمير المؤمنين ﷺ باباً لأخيه وابن عمّه رسول الله ﷺ، بل إنّ العباس ﷺ أصبح بموهلاته الخلقيّة، وكفاءاته الإنسانيّة العالية باباً لولاية الأئمة من أهل البيت ﷺ بحيث لا يمكن لأحد أن يرد إلى مدينة حبّهم وحصن ولايتهم، إلّا عن باب محبّة أبي الفضل العباس ﷺ وولايته، وذلك كما كان أبوه الإمام أمير المؤمنين ﷺ باباً لنبوّة ابن عمّه رسول

الله ﷺ ورسالته، بحيث لا يمكن لأحد أن يدخل مدينة علم رسول الله ﷺ وحصن معارفه، ويكون من الموقنين بنبوته ﷺ ومن المؤمنين برسالته، إلا من باب ولاية الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وقبول ولايته وخلافته عليه السلام، وذلك حسب ما اشتهر من قوله ﷺ: «علي باب علمي، ومبين لأمتي ما ارسلت به، من بعدي» وقوله ﷺ علي وعاء علمي، ووصيي، وبابي الذي أوتى منه».

[الباب المعنوي لا السياسي]

ومن هنا علم أن المراد من معنى كون العباس عليه السلام باباً لأخيه وسيده الإمام الحسين عليه السلام كما كان أبوه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام باباً لأخيه وابن عمه رسول الله ﷺ هو: أنه باب معنوي وروحي، إلى مدينة المعنويات والمعارف، والروحانيات والفضائل، وإلى حصن الإيمان والتقوى، والقرب إلى الله تعالى، وإلى رسوله ﷺ، وإلى أوليائه عليه السلام، وليس هو بالمعنى اللغوي المتعارف في الأوساط السياسيّة، التي أكل عليها الدهر وشرب، من الأمس الغابر إلى اليوم الحاضر، حيث قد تعارف أن يكون للملك أو الرئيس بواب وحاجب يمنع الناس من الوصول إليه، والالتقاء به، فقد كان هذا من شأن الجاهليّة الأولى، وعاد أيضاً على ما كان عليه في الجاهليّة الثانية، وبين الجاهليتين جاء الرسول الحبيب ﷺ بالإسلام الحكيم، والكتاب المنير، وحارب كلّ الطواغيت وعاداتهم، وتوعّدهم بالعقاب ونار الجحيم، وقد كان من عادة حكام الجاهليّة التي حاربها الإسلام بشدة: التقوقع على النفس، والإنهماك في لذّاتها وشهواتها، والإنفصال عن الناس وعن حوائجهم ومشاكلهم، باتّخاذ البوابين والحجبة، ثم تطوّروا في ذلك، فاتخذوا لأنفسهم رؤساء الدّيوان الملكي، أو القصر الجمهوري، أو ما أشبه ذلك،

من الأسماء الجديدة، والعناوين الكاذبة الخدّاعة، التي ما أنزل الله بها من سلطان، ولم يقرّها إلا الشّيطان والأهواء، ممّا هي بعيدة غاية البعد عن ساحة أهل البيت عليهم السلام وعن مثل أبي الفضل العباس عليه السلام.

فأبو الفضل العباس عليه السلام إذن هو الباب المعنوي للإمام الحسين عليه السلام، والبوّاب الرّوحي إلى مدينة المعارف والفضائل، والمكارم والأخلاق، المتجسّدة في الإمام الحسين عليه السلام.

الخصيصة الحادية عشرة:

« في أنه ﷺ باب الحوائج »

باب الحوائج ما دعته مروعة	في حاجة إلا ويقضي حاجها
بأبي أبا الفضل الذي من فضله	السامي تعلّمت الورى منهاجها
زج الثرى من عزمه فوق السما	حتى علت في تربة أبراجها
قُطعت يداه وطالما من كفه	ديم السماحة أمطرت ثجّاجها

وقال آخر:

أبا الفضل إنّي جنتك اليوم سائلاً	لتيسير ما أرجو، فأنت أخو الشُّبلى
فلا غرو إن أسعفت مثلي بانساً	لأنك للحاجات تدعى: أبا الفضل

[الأبواب والوسائل إلى الله]

إنّ كلّ المعصومين الأربعة عشر عليهم السلام وهم: رسول الله ﷺ وابنته الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء عليها السلام، والأئمة الإثنا عشر من أهل البيت عليهم السلام، وكذلك بعض خاصّتهم وذويهم، هم أبواب الحوائج إلى الله تعالى، والوسائل إلى رضوانه وجنته، وهم الأسماء الحسنى التي أمر الله تعالى أن ندعوه بها ونتوجّه عبرها إليه، حيث قال سبحانه: ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾ وقال سبحانه: ﴿وابتغوا إليه الوسيلة﴾.

لكن هناك من بينهم من عُرف واشتهر بكونه باب الحوائج، أكثر من البقية، علماً بأن أولئك الذين اشتهروا بكونهم أبواب الحوائج هم أربعة أشخاص: واحد منهم من الأئمة المعصومين عليه السلام، والثلاثة الباقون من ذويهم وخاصتهم.

[أول أبواب الحوائج]

أما باب الحوائج من الأئمة عليه السلام فهو الإمام الكاظم موسى بن جعفر عليه السلام فإنه عرف لدى المسلمين بباب الحوائج واشتهر به، وذلك لكثرة ما ظهر منه عليه السلام ومن مرقده الشريف من كرامات ومعجزات، ومن كفاية المهمات والحاجات، حتى اعترف بذلك كبار علماء العامة وأئمتهم، ناهيك عن عامة الشيعة وخاصتهم. فقد قال إمام الشافعية محمد بن إدريس الشافعي - على ما في تاريخ بغداد -: مرقد الإمام موسى الكاظم عليه السلام ترياق القلوب، وشفاء الأمراض الروحية والقلبية.

وقال شيخ الحنابلة الحسن بن إبراهيم أبو علي الخلال - كما في تاريخ بغداد أيضاً -: كلما عرضت لي حاجة ملحة وأردت إمضاءها وإنجاحها، زرت مقابر قريش، وذهبت إلى حائط شونيزية، ووقفت على قبر باب الحوائج موسى بن جعفر عليه السلام، وتوسلت به إلى الله تعالى في قضاء حاجتي، ورجعت مرحوماً غير محروم، مقضية حاجتي، ومرحومة عبرتي.

هذا بعض اعترافات علماء العامة، ناهيك عن علماء الخاصة فإن كتبهم مليئة بذلك.

[ثاني أبواب الحوائج]

وأما الثلاثة الباقون ممّن عُرفوا بباب الحوائج من ذوي الأئمة المعصومين ﷺ وخاصّتهم، فهم كالتالي :

١ - الطفل الرضيع : وهو الجندي الصّغير من حيث السنّ، والكبير من حيث القدر والمعنى، الذي استشهد على يدي أبيه الإمام الحسين ﷺ في يوم عاشوراء وذلك حين أخذه إلى عسكر يزيد بن معاوية ليسقوه شربة من الماء، الذي كانوا قد منعه على الإمام الحسين ﷺ وأصحابه وأهل بيته، لكنّهم بدل أن يعطفوا على هذا الرضيع ويسقوه الماء مع ما كانوا يرونه كيف يتلظى من شدّة العطش، ويلوك لسانه من حرارة الظّمأ، سقوه بكأس الموت، ورموه بسهم المنيّة، فذبحوه على يدي أبيه الإمام الحسين ﷺ من الوريد إلى الوريد، ومن الأذن إلى الأذن، وتركوه يرفرف كالطّير المذبوح على يدي أبيه، حتّى لفظ أنفاسه الأخيرة في وجه أبيه بابتسامة ارتسمت على شفّتيه، كناية عن رضاه بتقديم نفسه هدية صغيرة، وفداءً متواضعاً لله تعالى، فتقبّله الله بأحسن قبوله، وجعله باباً من أبواب الحوائج إليه، حتّى عرف بباب الحوائج.

[ثالثُ أبواب الحوائج]

٢ - الثاني ممّن عرف بباب الحوائج من ذوي الأئمة المعصومين ﷺ وخاصّتهم : أمّ البنين ﷺ وهي أمّ أبي الفضل العباس ﷺ يعني : فاطمة بنت حزام الوحيدة الكلاية، وقد نالت هذا المقام عند الله تبارك وتعالى بحسن اعتقادها وإيمانها بالله ورسوله، وشدّة إخلاصها وولائها لأهل بيت رسول الله ﷺ، فقد

نذرت نفسها ووقفت طاقاتها - لَمَّا تَقَلَّدَتْ وسام الزوجية من ابن عم رسول الله ﷺ والامام أمير المؤمنين عليه السلام ومن حين دخلت بيته - لخدمة ابني رسول الله ﷺ وريحانتيه، الإمامين الهمامين: الحسن والحسين عليه السلام، وقدمتهما على نفسها وعلى أولادها وذويها، وعلمت أولادها ودُهما والإخلاص في ولائهم لهما، وربتهم على محبتتهما، وعلى إيثارهما وتقديمهما على أنفسهما، والتضحية والفداء من أجلهما بالروح والدم، والغالي والرخيص، وأرسلتهم مع إمامهم الحسين عليه السلام في خروجه من المدينة نحو مكة والعراق، وأمرتهم بنصرته والذب عنه، وأوصتهم على أن لا ييخلوا بأنفسهم وبذل أرواحهم في حفظه والدفاع عنه. وكذلك فعلوا، حيث أنهم لم يقصروا في نصره إمامهم، ولم يرغبوا بأنفسهم عن نفسه، وإنما قدموها فداءً لإمامهم الحسين عليه السلام ووقاءً له، ونالوا بذلك شرف الدنيا وثواب الآخرة.

هذا وعندما جاء بشر بن حذلم ينعي الإمام الحسين عليه السلام إلى أهل المدينة، خرجت أم البنين فيمن خرج من الناس، لكنها لم تسأل بشراً عن أولادها وإنما سألته عن سيدها الإمام الحسين عليه السلام، وكلما كان بشر يخبرها بقتل واحدٍ واحد من أولادها، كانت تجيبه وبكل رباطة جأش، وسكون نفس: فداءاً لسيّدنا الحسين عليه السلام، ثم كانت تقول له: أسألك عن سيدي الحسين عليه السلام وتخبرني عن أولادي؟ حتى إذا سمعت بنعي الإمام الحسين عليه السلام، بكت وأعولت، ووقعت مغشياً عليها.

وهنا لَمَّا رأى الله تعالى كبير إخلاصها، وعظيم حبّها وولائها، وصدق قولها وفعلها، أنابها على ذلك بعزّ الدنيا، وشرف الآخرة، وجعلها باباً من أبواب الحوائج إليه، ووسيلة من وسائل رضوانه وغفرانه، فما رجاها مؤمل حاجة، ولا صاحب مشكلة، ووسّطها إلى الله تعالى إلا وانقلب بقضاء حاجته، ونجاح مهمته، وحلّ مشكلته.

[رابع أبواب الحوائج]

٣ - الثالث والأخير ممّن عرف بباب الحوائج من ذوي الأئمة المعصومين عليه السلام وخاصّتهم: أبو الفضل العباس عليه السلام، وهو محطّ بحثنا، ومحور حديثنا في هذا الكتاب، وأنعم به باباً للحوائج، فقد نال هذا المقام، واتّسم بهذا الوسام، ثواباً من عند الله تبارك وتعالى على عظيم عنائه وبلائه، وتقديراً له على كبير مواساته وإيثاره، حتّى جاء في زيارته المعروفة، المنقولة عن الإمام الصادق عليه السلام: «أشهد لقد نصحت الله ولرسوله ولأخيك، فنعم الأخ المواسي... إلى أن يقول عليه السلام: فنعم الصّابر المجاهد، المحامي النّاصر، والأخ الدّافع عن أخيه...». نعم، لقد واسى أبو الفضل العباس عليه السلام أخاه الإمام الحسين عليه السلام مواساة عظيمة، وأدّى ما كان عليه من حقوق الأخوة، ممّا استحقّ بها المدح من الإمام الصادق عليه السلام والثّناء عليه بقوله: «فنعم الأخ المواسي».

هذا وحيث كان كلّ همّ أبي الفضل عليه السلام هو نصرة أخيه الإمام الحسين عليه السلام والذبّ عنه، وحمايته والدّفع عنه، استحقّ بسببه أيضاً إطراء الإمام الصادق عليه السلام عليه والاعتزاز به بقوله: «فنعم الصّابر المجاهد، المحامي النّاصر، والأخ الدّافع عن أخيه».

أجل لقد كان أبو الفضل العباس عليه السلام من عظيم إيمانه بالله ورسوله وأهل بيته، وكبير تأدّبه مع أخيه الإمام الحسين عليه السلام، يرى نفسه - على ما كان عليه من فضل وعلم، وشرف وسؤدد - جنديّاً صرفاً تجاه قائد سماوي عظيم، وعبداً رقّاً أمام مولى كريم.

كيف لا والإمام الحسين عليه السلام حجّة الله على خلقه، والإمام المنسوب من

عند الله تبارك وتعالى في بريته، كما نصّ الرسول ﷺ بذلك عليه، وأبو الفضل عليه السلام هو من يعرف حقّ الحجّة، ولذلك كان العباس عليه السلام حتّى في يوم عاشوراء لا يتصرّف من عند نفسه، ولا يجتهد برأيه، بل كان يتعبّد بكلّ الأوامر الصادرة إليه من مولاه وإمامه، ويطبّقها تطبيقاً حرفياً بلا زيادة ولا نقصان من عنده، وقد تجلّى ذلك في موقفه عند ما جاء إلى الإمام الحسين عليه السلام يستأذنه في البراز ومقاتلة القوم الظالمين، الذين لم يحفظوا حرمة رسول الله ﷺ في ذريته، ولم يراعوا شخصه الكريم بعد غيابه في أبنائه وأهل بيته، لكن الإمام الحسين عليه السلام أبى أن يأذن له، وقال: إن كان ولا بدّ، فاطلب لهؤلاء الأطفال قليلاً من الماء.

[العباس عليه السلام عند طلب أخيه]

امتلأ أبو الفضل عليه السلام كلام أخيه الإمام الحسين عليه السلام، وانصرف عن مقاتلة الأعداء، وأقبل نحو الخيام وأخذ منها قربة خاوية، واتّجه بها نحو العلقمي ليأتي بالماء إلى الأطفال.

أقبل العباس عليه السلام حتى اقتحم الفرات ولما أحسّ ببرد الماء، اغترف منه غرفة بيده، وقرّبه إلى فمه، فقد كان عطشاناً شديد العطش، ظمآنًا عظيم الظمأ، لكنّه عندما قرّب الماء من فمه، تذكر عطش أخيه الإمام الحسين عليه السلام فأبى أن يشرب مواساة لأخيه، وصبّ الماء على الماء، وملأ القربة وخرج من الفرات متّجهاً نحو مخيم النساء والأطفال، وكلّ همّه إيصال الماء إلى الأطفال العطاش، الذين بقوا بانتظار مجيئه عندما رأوه أخذ القربة واتّجه نحو الفرات.

[ترك البراز من أجل الماء]

لقد ترك أبو الفضل العباس ﷺ مقاتلة القوم الذين قتلوا إخوته وأبناء إخوته ولم يشف صدره منهم، ابتغاء طلب الماء وإيصاله إلى الأطفال العطاشى، هذا وهو البطل العظيم الذي ورث الشجاعة من أبيه الإمام أمير المؤمنين ﷺ والذي لو كان همه بدل إيصال الماء، مقاتلة هؤلاء الظالمين، لما ترك على وجه الأرض منهم أحداً ينجو بنفسه، ولا شخصاً منهم يسلم على روحه، لكنه امتثل أمر إمامه، واكتفى بطلب الماء عما فيه شفاء صدره، ودخل الماء ولم يذق منه شيئاً مع شدة أوراه واستعار قلبه، مواساة لأخيه الإمام الحسين ﷺ، كل ذلك وهو راض بما عنده من الماء، مؤملاً إيصاله إلى الأطفال الذين تصاعد صراخهم من ألم العطش نحو السماء، وعلا بكاءؤهم لشدة الظمأ في أجواء كربلاء، وحين عرف الأعداء انشغال العباس بالماء عن مقاتلتهم، انتهزوا الفرصة، وجندوا كل طاقاتهم للتخلص من بأسه، لأنهم كانوا يعلمون بأنه لو تفرغ العباس لقتالهم، لأتى على آخرهم.

وكانت المصيبة الكبرى، والرزية العظمى، حين كمن له أحد الأشقياء وراء نخلة، وغدر به بضربة مفاجئة قطع بها يمينه، ثم كمن له شقي آخر فقطع يساره، وكان الخطب الأعظم، والبلاء الجلل، عندما أصيبت القرية بسهم وأريق ماؤها، عندها تحير أبو الفضل العباس ﷺ: فلا ماء عنده حتى يوصله إلى الأطفال العطاشى الذين ينتظرون قدومه بالماء، ولا يدين عنده حتى يحارب بهما، وحيث خابت آمال أبي الفضل ﷺ، وأيس من تحقيق أمانيته، وبلوغ مآربه، جازاه الله عن ذلك لا خلاصه، وعوضه بها لوفائه بأن جعله باباً للحوائج إليه في الدنيا، فما أتمه أحد بحاجة إلا ورجع مقضياً حاجته، مستجاباً دغاؤه، ووهبه جناحين في الآخرة يطير بهما في الجنة حيث يشاء، وأعطاه مقاماً هناك يغطيه به جميع الشهداء.

الخصيصة الثانية عشرة :

« في أنه ﷺ السقاء »

ورث العباس ﷺ عمل السقاية من أجداده الطاهرين وآبائه الكرام، فقد كانت السقاية من مختصات بني هاشم دون سائر قريش، وذلك لما كان يتّصف به بنو هاشم من النبل والشرف، والسّخاء والكرم، فقد كانوا هم وحدهم الأسخياء. فيما يصرفونه من أموال، ويبدّلونه من طاقات في سبيل تأمين الماء، وتوفير الطّعام على ضيوف الرّحمان وحجّاج بيت الله الحرام، وعلى غيرهم من سائر النّاس، وهذا ممّا اشتهر في النّاس واعترف به حتّى أعداءهم، فقد قال معاوية بن أبي سفيان العدوّ اللدود لبني هاشم: إذا لم يكن الهاشمي جواداً لم يشبه أصله. وقصي بن كلاب - كما في التّاريخ - كان أوّل من أسّس سقاية الحاجّ، وقام بإطعامهم، ثمّ ورثها من بعده ابنه عبد مناف، ثمّ ابنه هاشم.

وعندما أدركت هاشم الوفاة، ووافته المنية، كان ابنه عبدالمطلب بن هاشم صغيراً عند أخواله، فقام بها عمّه المطلب بن عبد مناف.

حتّى إذا كبر عبدالمطلب بن هاشم سلّمها عمّه إليه، فقام بها عبدالمطلب أحسن قيام، ثمّ أتخفه الله بإظهار زمزم له، وأكرمه بها، كما كان أكرم بها جدّه إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام من ذي قبل.

ولمّا مات عبدالمطلب ورثه منه أبوطالب، ثمّ سلّمها أبوطالب لأخيه

العباس بن عبدالمطلب، كرامة أكرمه بها.

ثم إنَّ العباس بن عبدالمطلب سلَّمها إلى رسول الله ﷺ يوم فتح مكة لكنَّ رسول الله ﷺ ردَّها إليه ثانية، فقد كان من دأب رسول الله ﷺ وممر تعاليم دينه الحنيف ردَّ كلِّ مأثرة لا تتنافى مع الإسلام إلى أصحابها، وإقرارها فيهم وفي أيديهم، فإنَّه ﷺ لم يخلع أحداً من منصبه، ولم يدفعه عن حقِّه الذي كان له قبل الإسلام إذا لم يكن ممَّا ينافي الإسلام، ورضي به النَّاس.

[استسقاء الرسول ﷺ]

نعم لقد سقى رسول الله ﷺ الماء من أنامله، عمَّه أباطالب ﷺ ومن كان معه في قافلته التجاريَّة إلى الشَّام حين كانوا في الطَّريق ورأوا أنَّ البئر التي كانوا يستسقون منها قد أُعميت وطُمست.

كما وسقى ﷺ أصحابه في مرَّات عديدة حين أضرَّ بهم العطش ولم يجدوا ماءً طبيعيّاً يشربوه، فسقاهم رسول الله ﷺ الماء عن طريق المعجزة، وشربوا منه حتَّى رَووا.

وقد استسقى أبوطالب بالنبي ﷺ حين أجذب أهل مكة وأقحطوا، فأنزل الله تعالى عليهم الغيث وأخصب ناديم وبيادهم، حَى قال أبوطالب ﷺ في ذلك :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

واستسقى هو ﷺ لأهل المدينة فما استتمَّ دعائه حتَّى التفتَّ السَّماء بأروقتها، فجاء أهل البطانة يضجُّون يا رسول الله ! الفرق، فقال ﷺ : حوالينا لا علينا، فانجاب السَّحاب عن المدينة كالأكليل، فتبسَّم رسول الله ﷺ ضاحكاً حتَّى بدت نواجذه وقال : لله درُّ أبي طالب لو كان حيّاً لقرَّت عيناه .

وهنا قام رجل من كنانة وأنشد:

لك الحمد، والحمد مَن شكر سَقِينَا بوجه النبي المطر
إلى أن قال:

وكان كما قاله عمه أبوطالب أبيض ذو غرر
به الله يسقي صوب الغمام وهذا العيان لذاك الخبر

[الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يسقي أهل بدر]

وهكذا كان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فقد استسقى ليلة بدر - بعد أن أحجم الجميع عنه - وأتى بالماء إلى مخيم المسلمين، مع ما كانت عليه الليلة من ظلام قاتم، وبرد شديد، وكان معسكر المشركين قريباً من البئر بحيث يُخاف الوقوع في أيديهم، كما أن ماء البئر كان ممّا لا تناله اليد، ولم يكن للبئر دلو يُستقى به، فنزل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في البئر وملاً القربة ماءً ثم خرج منها وتوجّه إلى معسكر رسول الله ﷺ وفي الطريق مرّت به عواصف ثلاث أقعدته عن المشي، ولما سكنت أقبل إلى رسول الله ﷺ وقصّ عليه خبر العواصف.

فقال له رسول الله ﷺ: أما العاصفة الأولى فجبرئيل في ألف من الملائكة سلّموا عليك، وأما الثانية فميكائيل في ألف من الملائكة سلّموا عليك، وأما الثالثة فإسرافيل في ألف من الملائكة سلّموا عليك، وكلّهم أنزلوا مدداً لنا.

ومنه اشتهر قول القائل: بأنّ لعلّي عليه السلام في ليلة واحدة ثلاثة آلاف منقبة وثلاثة مناقب، وقال في معناه السيّد الحميري قصيدة عصماء جاء فيها:

ذاك انّذي سلّم في ليلة عليه ميكال وجبريل
جبريل في ألف، وميكال في ألف ويتلوهم سرافيل
ليلة بدر مدداً أنزلوا كأنهم طير أبابيل

[السقاء يوم الحديبية]

وقد استسقى الإمام أمير المؤمنين ﷺ أيضاً يوم الحديبية حين نزل رسول الله ﷺ بأصحابه الجُحفة فلم يجد بها ماءً، وذلك بعد أن بعث رسول الله ﷺ بالروايا سعد بن أبي وقاص فرجع مع السقاء خالياً وهو يقول: يا رسول الله لم أستطع أن أمضي وقد وقفت قدماي رعباً من القوم.

فبعث ﷺ بالروايا رجلاً آخر فرجع هو الآخر مع السقاء خالياً أيضاً وقال كما قال الأول: يا رسول الله ما استطعت أن أمضي رعباً.

فدعى رسول الله ﷺ حينئذ الإمام أمير المؤمنين ﷺ وأرسله بالروايا، فخرج ﷺ بالسقاء ومعهم الروايا وهم لا يشكّون في رجوعه خالياً كما رجع الذين من قبله، حتّى إذا ورد الحرار استقى ثمّ أقبل بها مع السقاء إلى رسول الله ﷺ، فلما دخل على رسول الله ﷺ بالماء ورآه رسول الله ﷺ والماء معه كبر الله، ودعا له بخير.

[إرسال الماء إلى عثمان]

كما أن التاريخ أثبت في صفحاته استقاء علي ﷺ الماء وإرساله مع أولاده إلى عثمان وهو في الحصار الذي أوجده بنفسه على نفسه، وذلك بعد أن صدّت السيدة أمّ حبيبة بنت أبي سفيان ومنعت، وأريق الماء الذي كانت تحمله إلى عثمان.

كما وسقى جيش معاوية من الفرات لما استولى ﷺ على الماء، وذلك بعد أن منعهم معاوية عنه قائلاً: أقتلوهم عطشاً.

[استسقاء سبطي الرسول ﷺ]

وهكذا كان الإمام الحسن المجتبي والإمام الحسين ﷺ فقد استسقى بهما لإيالة فضلهما أبوهما الإمام أمير المؤمنين ﷺ حين أضرَّ الجذب بأهل الكوفة فما أن أتمَّ الإمام الحسن والإمام الحسين ﷺ دعاءهما حتى هطلت السماء على أهل الكوفة بالماء وأبدلت جديهم بالخصب، وقحطهم بالغيث والبركة.

[السقاية لأهل الكوفة]

هذا ولم ينس التاريخ سقاية الإمام الحسين ﷺ أهل العراق وذلك بعد مغادرته مكة والمدينة متجهاً نحو الكوفة وفي منزل شراف، حيث لما كان وقت السحر أمر فتيانه بأن يستقوا من الماء ويكثروا، ففعلوا ذلك وهم لا يعلمون أنه لماذا أمرهم ﷺ بالإكثار من الماء، ثم ارتحلوا، وفي الطريق إذا بهم قد التقوا بالحرّ وجيشه وكان قد أضرَّ بهم العطش، وأسعر قلوبهم حرّ الشمس، وثقل الحديد، وهنا عرف الفتية الهدف من إكثار الماء عندما قال لهم الإمام الحسين ﷺ: أسقوا القوم واروهم من الماء، ورشّفوا الخيل ترشيفاً، فقام الفتية بسقي القوم حتى أرووهم من الماء، ثم أقبلوا يملئون القصاع والأواني بالماء ويدنونها من الخيل، فإذا عبّت فيها ثلاثاً وأكثر، وارتوت منه، صبّوا بقيّة الماء عليها، وكان آخر من جاء من جيش الحرّ رجل يقال له: علي بن الطحّان المحاربي، فلما رأى الإمام الحسين ﷺ ما به وبفرسه من العطش قال له: إنخ الراوية أي: الجمل المحمّل بالماء؛ لكنّه لم يعرف ما يفعل، فقال له: يا ابن أخي! إنخ الجمل، فأناخه، فقال له: اشرب، فجعل كلّما شرب سال الماء من السقاء، فقال له: أخنت السقاء أي: أعطفه، لكنّه

أيضاً لم يدر كيف يفعل ، فقام الإمام الحسين ﷺ بنفسه وخنث له السقاء وقال له : اشرب واسق فرسك ، فشرب وسقى فرسه أيضاً ورشّفه ترشيفاً .

[سقاية العباس ﷺ في الظروف الصعبة]

واقتدى أبو الفضل العباس ﷺ بأجداده وآبائه الطاهرين ، وبأخويه الكريمين ، الإمامين الهامين : الحسن والحسين ﷺ في السقاية ، وانتحل لنفسه وبكلّ اعتزاز وافتخار لقب السقاء ، وكان يقوم بالسقاية في كلّ مناسبة وفي كلّ فرصة تتيح له القيام بها ، وخاصة في كربلاء ، وعليّ الأخصّ عندما منع ابن سعد الماء عن الإمام الحسين ﷺ وأهل بيته وأصحابه ، وحرّمها عليهم بأمر من يزيد وابن زياد ، وكان ذلك في اليوم السابع من المحرم الحرام عام واحد وستين للهجرة ، واستمرّ ذلك التّحرّيم حتّى مساء يوم عاشوراء .

هذا مع أنّ الفصل الزّماني في تلك السّنة كان هو فصل الصّيف ، وصيف المنطقة الوسطى من العراق يكون حارّاً شديد الحرارة ، وجافاً كثير الجفاف ، وكان الذي يشدّد تلك الحرارة ، ويضاعف ما كان موجوداً هنالك من الجفاف ، استعمار نار الحرب وتطايير شررها ، والتهام الأسنة والسّيوف نفوس الأعزّة ، وأرواح الإخوة والأحباب ، فإنّ كلّ ذلك كان ممّا يزيد في التهاب القلوب واستعارها ، ويؤثّر في شدّة عطشها وأوارها .

١١١ ومعلوم : أنّ السقاية في هذه الظروف الصّعبة والقاسية ، كم يكون لها من أهميّة كبيرة ، وعظمة خاصّة ؟ وأنّ السّاقى والخال هذه كم يكون له من مقام رفيع ، ودرجة عالية ؟ وقد نال الحظّ الوافر من هذه السقاية ، وحصل على السّهم الأكبر من ثوابها وأجرها أبو الفضل العباس ﷺ ، حتّى قيل كما في كتب التاريخ

والأخبار مثل تاريخ الخميس، وسرائر ابن إدريس: أَنَّ أبا الفضل العباس عليه السلام لما تعهّد سقي موكب كربلاء، وإغداق الماء عليهم في أيّام محرّم وعشرة عاشوراء، وخاصة أيّام تحرّيم الماء عليهم ومنعه عنهم، لَقِبَ باللقب الكبير، ووسم بالوسام النبيل، وسام: «السّقاء».

[السّقاء منذ الأيّام الأولى]

وروي: - على ما في ثمرات الأعواد - أَنَّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام كان ذات يوم جالساً وحوله إنا رسول الله صلى الله عليه وآله وريحانته، الإمامان الهامان: الحسن والحسين عليهما السلام، وإلى جنبهم أبو الفضل العباس عليه السلام، فعطش الإمام الحسين عليه السلام، فعرف ذلك أبو الفضل العباس عليه السلام فقام وهو إذ ذلك صبي صغير وأقبل إلى الدّار وقال لأُمّه أمّ البنين: يا أُمّاه! إِنَّ سيّدي ومولاي الإمام الحسين عليه السلام عطشان، فهل لي إلى إيصال شربة من الماء العذب إليه من سبيل؟

فقالَتْ له أُمّه أُمّ البنين بشغف وشفقة: نعم يا ولدي، ثمّ قامت مسرعة وأخذت معها قدحاً وملائته بماء عذب ووضعته على رأس ولدها العباس وقالت له وبكلّ رأفة وحنان: إذهب به إلى سيّدك ومولاك الإمام الحسين عليه السلام.

فأقبل العباس عليه السلام بالماء نحو الإمام الحسين عليه السلام والماء يتصبّب من القدح على كتفيه، فوقع عليه نظر أبيه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ورآه قد حمل قدح الماء على رأسه والماء يتصبّب من القدح على كتفيه، تذكّر وقعة كربلاء فرقّ له وقال وهو يخاطبه ودموعه تتقاطر غلى وجنتيه: ولدي عباس! أنت ساقى عطاشا كربلاء، فسَمّي من ذلك: «السّقاء».

الخصيصة الثالثة عشرة :

« في أنه ﷺ ساقى عطاشاً كربلاء »

إذا كان ساقى الناس في الحشر حيدر فساقى عطاشاً كربلاء أبو الفضل
على أن ساقى الناس في الحشر قلبه مريع وهذا بالظما قلبه يغلي
وقال السيد جعفر الحلبي في سقاية العباس ﷺ لعطاشاً كربلاء :

أو تشتكي العطش الفواطم عنده وبصدر صعدته الفرات المفعم
لو سدّ ذي القرنين دون وروده نسفته همته بما هو أعظم
ولو استقى نهر المجرة لارتقى وطويل ذابله إليها سَلَم
يصور الشاعر الموالي لأهل البيت ﷺ السيد جعفر الحلبي في هذه الأبيات
الأخيرة جدارة أبي الفضل العباس ﷺ لحمل وسام: «ساقى عطاشاً كربلاء»
وتأهله للقيام بهذه المهمة الشريفة، ويصفه بأنه من عظيم همته، وكبير عزمه، وشدة
غيرته، لا يسمح لنفسه أن يرى واحدة من الفواطم تتلوّى عطشاً، أو يسمع منها
تشتكي ظمأً، فإنه يوقر لها الماء حتّى ولو كان بينه وبين الماء سدّاً منيعاً، كسدّ ذي
القرنين المعروف بالقوّة والإحكام، فإنّ أبا الفضل العباس ﷺ لو استقى من نهر
المجرة - ناهيك عن نهر الفرات - لجعل رمحه الطويل سلماً يصعد عليه، ومدرجاً
يرتقي عبره إلى السماء، ليحمل منه الماء ويأتي به إليهم. وكذلك كان أبو الفضل
العباس ﷺ وأنعم به شهماً غيوراً، وبطلاً مقداماً.

[أمران مهمّان]

ثمّ إنّ في البيتين الأوّلين إشارة إلى أمرين مهمّين يتطلّبان الوقوف عندهما قليلاً، وهما كما يلي :

الأمر الأول : فيما إشارة إلى مقام السّقاية وعظم مكانتها، والمماثلة بين ساقيين أحدهما أعظم من الآخر، وأكبر درجة عند الله، وهو: الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وذلك في يوم القيامة الكبرى وعلى حوض الكوثر، والآخر هو ابن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أبو الفضل العباس عليه السلام وذلك في يوم عاشوراء يوم القيامة الصّغرى وعلى نهر الفرات.

الأمر الثاني : فيهما إشارة إلى عظمة السّاقى وكبير فضله، والمقارنة بين موقفي السّاقيين، أحد الموقفين أرقّ من الموقف الآخر وأشجى للقلوب، وهو: أنّ ساقى العطاشى في كربلاء أبا الفضل العباس عليه السلام كان يغلي قلبه من شدّة العطش والظّماء، مع أنّ السّاقى يقتضى أن يكون راوياً هانياً، لأنّه صاحب ماء، إذ لو لم يكن له ماء فكيف يصحّ أن يكون ساقياً؟ وهذا ما يبعث على تساؤل السّامع عن أنّه كيف يمكن أن يكون ساقياً للماء وهو في نفس الوقت عطشاناً ويقتضى ظامياً؟ نعم، إنّ أبا الفضل العباس عليه السلام كان ساقياً للماء ومع ذلك كان عطشاناً وقضى ظامياً مواساة لسيدّه وإمامه الإمام الحسين عليه السلام، وكفى به كرماً ونبلأً، وعزّاً وشرفاً، وقد نحله الإمام الصّادق عليه السلام على عمله الكبير هذا وساماً بقي ولا يزال إلى يوم القيامة فخراً، ولآخرفته دُخْراً، وذلك حين خاطبه في زيارته المعروفة قائلاً: «فنعم الأخ المواسي».

[السّقاية في القرآن والحديث]

هذا ولا يخفى أنّ عمل السّقاية من الأعمال الشّريفة، والأفعال الحسنة الجميلة، الّتي امتدحها الله ورسوله، وندب إليها الإسلام والعقل، وحبّها القرآن والسّنة، قال تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ﴾ . وقال سبحانه: ﴿وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً أَقْرَاتًا﴾ .

وقال تعالى: ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ .
وقال عزّ وجلّ في حقّ موسى لما ورد ماء مدين ورأى امرأتين تذودان وهما يريدان الاستقاء: ﴿فَسَقَى لَهُمَا﴾ .
وقال رسول الله ﷺ: «أفضل الأعمال: إيراد الكبد الحرّى» يعني: سقى الماء.

وقال ﷺ أيضاً: «أفضل الصدقة: إيراد كبد حارّة، وأفضل الصدقة: صدقة الماء» .

وقال ﷺ أيضاً: «من سقى عطشاناً أعطاه الله بكلّ قطرة يبذلها قنطاراً في الجنّة، وسقاه من الرّحيق المختوم، وإن كان في فلاةٍ من الأرض ورد حياض القدس مع النّبیین» .

وقال ﷺ أيضاً: «إنّ الله تعالى يحبّ إيراد الكبد الحرّاء، ومن سقى كبداً حرّاء من بهيمة أو غيرها، لأظلّه الله تعالى يوم لا ظلّ إلّا ظلّه» .

وقال ﷺ أيضاً: «ثمان خصال من عمل بها من امتي حشره الله مع النّبیین والصديقين، والشهداء والصالحين ... واروى عطشاناً...» .

وقال ﷺ أيضاً: «سبعة أسباب يكتب للعبد ثوابها بعد وفاته: ... أو حفر بئراً، أو أجرى نهراً...» .

وقال عليه السلام أيضاً: «خمس من أتى الله بهنّ أو بواحدة منهنّ وجبت له الجنة: من سقى هامة صادية...».

وقال عليه السلام أيضاً لمن سئله أن يدلّه على عمل يدخل به الجنة: «إشترِ سقاءً جديداً، ثمّ اسقِ بها حتّى تُخرقها، فإنّك لا تخرقها حتّى تبلغ أعلى الجنة». وقال عليه السلام لأصحابه يوماً وذلك بعد أن صلّى بهم الصّبح: «معاشر أصحابي! رأيت البارحة عمّي حمزة بن عبدالمطلب، وأخي جعفر بن أبيطالب، وبين أيديهما طبق من نبق، فأكلا ساعة ثمّ تحوّل النّبق عنباً، فأكلا ساعة فتحوّل العنب رطباً، فدنوت منهما فقلت: بأبي أنتما أيّ الأعمال وجدتما أفضل؟ قالا: فدينك بالآباء والأُمّهات، وجدنا أفضل الأعمال: الصّلاة عليك، وسقى الماء، وحبّ عليّ بن أبيطالب عليه السلام».

وعن الإمام زين العابدين عليه السلام أنّه قال: «من أطعم مؤمناً جائعاً أطعمه الله من ثمار الجنة، ومن سقى مؤمناً ظامئاً سقاه الله من الرّحيق المختوم». وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من سقى مؤمناً شربة من ماء من حيث يقدر على الماء، أعطاه الله بكلّ شربة سبعين ألف حسنة، وإن سقاه من حيث لا يقدر على الماء، فكأنما أعتق عشر رقاب من ولد إسماعيل». وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «من سقى الماء في موضع يوجد فيه الماء كان كمن أعتق رقبة، ومن سقى الماء في موضع لا يوجد فيه الماء كان كمن أحيأ نفساً، ومن أحيأها فكأنما أحيأ النّاس أجمعين».

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ما من مؤمن يطعم مؤمناً شبعة من طعام إلاّ أطعمه الله من طعام الجنة، ولا سقاه ريّه إلاّ سقاه الله من الرّحيق المختوم». وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «أربع من أتى بواحدة منهنّ دخل الجنة: من سقى هامة ظامئة...».

وقال الإمام الصادق ﷺ لمن كان معه في طريق مكة، وقد رأوا رجلاً قد استلقى تحت ظلال شجرة شوك الجمال: إذهب إليه وانظر ما به، لا يكون قد صرعه العطش؟ قال الراوي: فذهبت إليه، وترجّلت عن مركبي، وأخذت أفحص عنه، فإذا هو رجل نصراني قد أضرب به العطش، فأقبلت إلى الإمام الصادق ﷺ وأخبرته بخبره، وقلت: إنه رجل نصراني قد صرعه العطش، فقال ﷺ: إذهب إليه بالماء واسقه، فإن لكل كبد حرّاء أجر.

وعن أبي الحسن موسى بن جعفر ﷺ عن آبائه عن رسول الله ﷺ: أنه رأى ليلة المعراج في الجنة صاحب الكلب الذي سقى الكلب ماءً وأنقذه من أن يموت عطشاً، يعني: الرجل الذي أدخله الله تعالى الجنة بسبب سقيه الحيوان وإروائه من الظمأ.

وروي عنه ﷺ أيضاً: أن امرأة رأت في الصحراء كلباً ظامئاً قد أشرف على الموت من شدة العطش، وكان هناك بئر بعيدة القعر، قليل الماء، فدخلت البئر وملأت حذاءها ماءً وأخذته بفمها وخرجت وسقت به ذلك الكلب حتى ارتوى ونجى من الموت، فرحم الله تعالى تلك المرأة بعملها هذا، وعفى عنها، وغفر لها. وروي أن رسول الله ﷺ كان يتوضأ فمرّت به هرة وأخذت تنظر إلى الماء، فقال ﷺ: أظنّ هذه الهرة عطشى ثمّ قرب الماء إليها فشربت الهرة منه، ثمّ توضأ ﷺ بفضلها.

[العباس ﷺ وسقايته الأولى]

نعم، إنّ السّقاية هي عمل الأبرار والصّالحين، ودأب ذوي المكنات والمروءات، ولها أجر عظيم، وثواب جزيل، وقد نال شرفها، وحصل على أرفع

وسام فيها أبو الفضل العباس عليه السلام، ففي التاريخ أنه لما كتب ابن زياد إلى ابن سعد بأن يمنع الماء عن الإمام الحسين عليه السلام ويحرّمه على أهل بيته، قلّ الماء في الخيام وعند معسكر الإمام الحسين عليه السلام، فاستدعى الإمام الحسين عليه السلام أخاه العباس وضمّ إليه عشرين فارساً وأرسله إلى الفرات ليستقي لهم، والظاهر أنّ هذا الاستقاء كان في مساء يوم السابع من المحرم أي: ليلة الثامن منه، فأقبل العباس عليه السلام بهم نحو الفرات وكان الوقت ليلاً، والظلام قد طبّق الكون، وغطّى بأجنحته السوداء كلّ مكان، وكان من بين الفرسان العشرين هلال بن نافع البجليّ، وكان بينه وبين الموكل على الفرات عمرو بن الحجاج قرابة وصداقة، فتقدّم هلال الفرسان واقتحم الفرات، فأحسّ به عمرو فصاح: من الوارد؟ أجاب هلال: أنا واحد من أولاد عمّك جئت لأشرب الماء، فعرفه عمرو وقال له: إشرب هنيئاً مريئاً.

هنا انتهز هلال الفرصة ليقدم نصيحته لابن عمّه عمرو، ويأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر، ولذلك قال له: يا عمرو! أتأذن لي بشرب الماء وتمنعه من ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته وهم عطاشا؟ هز هذا الكلام كيّان عمرو، وأوقفه على سوء فعله، وشناعة أمره، لكنّه سرعان ما غضّ عنه بصره، وأغفل عن وقعه قلبه، وأخذ يوجّه موقفه غير الإنساني بقوله: صحيح كلامك، ولكن ما أفعل والأمر ليس بيدي، وإنما أنا مأمور وعليّ التّنفيد.

قرأ هلال عبر هذا الكلام كلّ ما يدور في نفس عمرو من تسويلات الشيطان، وكلّ ما يحمل في ذهنه من مكائد النفس والهوى، ولذلك أعرض عن جوابه، وتوجّه نحو فرقة السّقاية وقال: هلمّوا واملأوا أوعيتكم من الماء، اقتحمت فرقة السّقاية وفي مقدّمها أبو الفضل العباس عليه السلام الفرات، واملأوا أوعيتهم، وذلك بعد أن انقسموا إلى فرقتين: فرقة تقاتل الأعداء وتشغلهم بذلك، وفرقة يملأون أوعيتهم، حتّى إذا فرغوا من ملأ أوعيتهم واتّجهوا نحو الخيام،

تركت الفرقة الثانية القتال، وأحاطوا بالفرقة الأولى وساروا معاً نحو المخيم، وكان حصيلة هذه المهمة: قتل عدّة من جيش العدوّ وجرح عدّة آخرين من محافظي الشريعة، الذين كانوا يبلغون أربعة آلاف تحت قيادة عمرو بن الحجاج، ووصول أبي الفضل العباس ﷺ ومن معه بالماء إلى المخيم سالمين، وعلى أثر هذه المهمة عُرف أبو الفضل العباس ﷺ حيث أوصل الماء بسلامة إلى الخيام بالسقاء، ولقّب بساقى عطاشا كربلاء.

كانت هذه السّقاية الّتي قام بها أبو الفضل العباس ﷺ هي أولى سقاياته في كربلاء بعد منع الماء عنهم وتحريمه عليهم، ومنها عرف بالسقاء، ولكن لم تكن هي الأولى والأخيرة، وإنّما كانت هناك سقايات أخرى قام بها أبو الفضل العباس ﷺ في كربلاء أيّام ضرب الحصار عليهم، نذكر منها ما يلي:

[السّقاية الثانية]

جاء في هامش «منتهى الآمال» للمحدّث القميّ عن كتاب «المحاسن والمساوي» للبيهقي في ورود الإمام الحسين ﷺ وأهل بيته وأصحابه بكربلاء ما مضمونه: إنّ كان بين معسكر الإمام الحسين ﷺ والفرات فاصلة قريبة، فحال الأعداء بين الإمام الحسين ﷺ والماء، ومنعوا أصحابه من الوصول إليه، وصاح الشمر فيهم قائلاً: «أنظروا إلى هذا الماء كيف يجري كبطون الحيات، لا ندعكم تذوقون منه شيئاً حتّى تردوا الحامية» عندها التفت أبو الفضل العباس ﷺ إلى أخيه الإمام الحسين ﷺ وقال: ألسنا على الحق؟ فأجابه الإمام الحسين ﷺ: بلى والله نحن على الحق، فاستلهم أبو الفضل العباس ﷺ من جواب أخيه الإمام الحسين ﷺ الإذن في الاستقاء وطلب الماء للنساء والأطفال الذين أضرب بهم

العطش في الخيام، فحمل عندها على القوم الموكّلين بالفرات حملة أزالهم عن الماء، وكشفهم عن الشريعة، وخلى الطريق بين معسكر الإمام الحسين عليه السلام وبين الفرات، بحيث تسنى للإمام الحسين عليه السلام وأصحابه أن يشربوا من الماء ويحملوا منه معهم إلى النساء والأطفال. وكانت هذه السقاية على الظاهر في اليوم التاسع من المحرم وذلك بعد ورود الثمر في كربلاء.

[السقاية الثالثة]

ثم لما كان يوم عاشوراء، وبدء ابن سعد القتال، وشنّ الحرب على آل رسول الله ﷺ، كثر القتلى في صفوف الإمام الحسين عليه السلام وبان الإنكسار فيهم، عندها أخذ الإمام الحسين عليه السلام ينادي إتماماً للحجة، ودفعاً للعدو: أما من مغيث يغيثنا؟ أما من ذابّ يذبّ عن حرم رسول الله ﷺ؟ فلما سمع ذلك أبو الفضل العباس عليه السلام أقبل إلى أخيه الإمام الحسين عليه السلام فقبل ما بين عينيه، واستأذنه في البراز، فلم يأذن له، وطلب منه الاستقاء للأطفال، فودّعه ممتثلاً لأمره، وحمل القربة واتّجه نحو الفرات، فلما أراد أن يفتح الشريعة أحاطوا به ليمنعوه، ففرّقهم وهو يقول: أنا العباس بن علي، أنا ابن أختكم الكلاية، أنا عطشان، وأهل بيت محمد ﷺ عطاشا، وهم يذادون عن الماء وهو مباح على الخنازير والكلاب، ثم دخل الفرات وملاً القربة وخرج بالماء نحو المخيم، فاعترضه الموكّلون بالشريعة ليمنعوه من إيصال الماء إلى المخيم، فقاتلهم وهو يقول:

أنا الذي أعرف عند الزمجرة بابن علي المسمّى حيدرة

إن اثبتوا اليوم لنا يا كفرة

فقتل منهم كلّ من اعترضه، حتّى قتل مائة فارس من فرسانهم، وأوصل الماء بسلامة إلى المخيم، وفرح الأطفال بوصول الماء إليهم وتواسوا به ولم يرووا.

وكانت هذه السّقاية - على ما روي - هي السّقاية الثّالثة لأبي الفضل العباس ﷺ وقد وقعت في يوم عاشوراء.

وهناك لأبي الفضل العباس ﷺ سقاية رابعة، انجرت إلى مصرعه، وأدّت إلى شهادته، وهي السّقاية المعروفة له في يوم عاشوراء.

الخصيصة الرابعة عشرة :

« في أنه ﷺ ساقى كل عطشان »

لقد ثبتت فضيلة السّقاية وإرواء العطاشى لأبي الفضل العباس ﷺ حتّى عرف بالسّقاء، واشتهر أنّه ساقى عطاشى كربلاء، بل إنّهُ روي أنّ الإمام الحسين ﷺ كان قد عطش يوماً وهو في مسجد جدّه رسول الله ﷺ في المدينة المنورة، فأحسّ بعطشه ﷺ أخوه أبو الفضل العباس ﷺ وكان إذ ذاك صغيراً، فقام من مجلسه وهو ينوي سقي أخيه الإمام الحسين ﷺ ماءً، فخرج من المسجد، ولم يقل لأحد ما يريد، ولم يطلع أحداً على ما نواه أبداً، وإنّما جاء مسرعاً حتّى دخل المنزل وأخذ كأساً نظيفاً وملاه ماءً، ثمّ أقبل نحو المسجد بالماء وقدمه وبكلّ احترام إلى أخيه الإمام الحسين ﷺ، فشكره الإمام الحسين ﷺ على ذلك ودعا له بخير، ولعلّ منها لقّب العباس ﷺ بالسّقاء، وكُنّي بأبي القربة - كما قيل -.

[دور الماء في الحياة]

هذا ولا يخفى ما للماء من دور كبير في الحياة، وأثر بالغ في استمرارها وبقائها، وطراوتها ونظارتها، حتّى قال تعالى في محكم كتابه ومُبرم خطابه: ﴿وجعلنا من الماء كلّ شيء حي﴾ وقال الإمام الصادق ﷺ في جواب من سأله عن طعم الماء: إنّهُ طعم الحياة. كما أنّ ابن عباس الذي استقى علمه من

أمير المؤمنين ﷺ وتعلم تفسير كتاب الله تعالى منه ، استند إلى الآية الكريمة في حلّ لغز ملك الروم ، الذي أرسل إلى معاوية قارورة وطلب منه أن يضع فيها من كل شيء ، فتحير معاوية واستعان بابن عباس في ذلك ، فقال له ابن عباس : لثملاً له ماءً ، فإن الله تعالى يقول : ﴿ وجعلنا من الماء كل شيء حي ﴾ فتعجب ملك الروم واستحسنه قائلاً : لله أبوه ما أدهاه .

[الماء من أجل الإمام الحسين ﷺ]

ثم إن الله تعالى خلق ماءً مَوْجاً متلاطماً ، وذلك قبل أن يخلق سماءً وأرضاً ، وشمساً وقمرًا ، قال تعالى : ﴿ وكان عرشه على الماء ﴾ ثم خلق من ذلك الماء ما خلق من سموات وأرضين ، وبثّ فيهما ما بثّ من شيء - كما جاء في نهج اللاغة عن أمير المؤمنين ﷺ - فالماء هو أساس الخلقة ، والخلقة لأجل الإمام الحسين ﷺ وعليه : فالعالم طفيلي وجود الإمام الحسين ﷺ ، وذلك إن لم يكن بالمباشرة فبالواسطة ، ألا تسمع قول جدّه رسول الله ﷺ فيه : « حسين منّي وأنا من حسين » وقد قال تعالى من قبل - كما في الحديث القدسي - مخاطباً رسوله الكريم محمد بن عبدالله ﷺ : « لولاك لما خلقت الأفلاك » ، فيكون الإمام الحسين ﷺ لقول جدّه رسول الله ﷺ فيه ، مشمولاً لهذا الحديث الشريف .

إذن : فالحياة كلّها ، والعالم كلّهُ ، خلُق من ماء ، والماء خلق من أجل الإمام الحسين ﷺ ، وقد جعله جبرئيل بأمر من الله تعالى صداقاً لفاطمة الزهراء ﷺ - على ما جاء في الخبر - كما وأباحه الله تعالى لكلّ الناس فقد جعل الله الماء من المباحات العامّة وجعل الناس فيه شرعاً سواءً ، وجعل أوّل ما يثيب عليه من

الأعمال الصالحة في يوم القيامة هو ثواب عمل السّقاية، وأجر السقاء، وهذا كلّ يدلّ على خصوصيّة في الماء ليس في غيره من الأشياء، ويشير إلى امتياز في سقايته لم يكن في عملٍ سواه.

[مكانة أبي الفضل عليه السلام]

من هذا وغيره يُعلم مكانة أبي الفضل العباس عليه السلام عند الله تبارك وتعالى حيث أنّه عليه السلام وقف نفسه لسقاية أخيه الإمام الحسين عليه السلام وأطفاله ذريّة رسول الله ﷺ ونسائه حرم رسول الله ﷺ، وجدّ واجتهد في ما أوقف نفسه له حتّى استشهد في هذا الطّريق صابراً محتسباً، فحباه الله تقديراً له، وإكراماً به، وسام السّقاية، سقاية كلّ شيء، وليس سقاية الماء فحسب، بل منحه تعالى أن يسقي بإذنه تعالى كلّ عطشان، سواء كان عطشان ماء، أو عطشان علم، أو عطشان مال وولد، أو عطشان حجّ وعمره، أو عطشان زيارة وتشرف إلى تربته وروضته عليه السلام، أو زيارة أحد الأئمة المعصومين عليهم السلام، أو غير ذلك، فإنّه ما توسّل به إلى الله متعطّش إلى شيء من الأمور الماديّة أو المعنويّة، إلّا وسقاه الله ممّا أراد، ورواه بما شاء، ببركة أبي الفضل العباس عليه السلام.

[الاقتداء بالعباس عليه السلام في سقايته]

وجاء في كتاب «طروس الإنشاء» للعلامة السيّد محمّد نجل آية الله السيّد مهدي القزويني طاب ثراه ما مضمونه: إنّ نهر الحسينيّة المعروف الذي كان يسقي كربلاء المقدّسة وضواحيها - بعد انقطاع نهر العلقمي وجفافه - انقطع سنة

(١٣٠٦) هجرية قمرية، وأصبح أهل كربلاء على أثره يعانون من قلة الماء وشحّه، ويقاسون العطش والظماً، فأمرت الحكومة العثمانية آنذاك بحفر نهر جديد في أراضي السيد النقيب السيد سلمان، فامتنع السيد النقيب من الموافقة على ذلك، ولم يسمح بحفر النهر الجديد في أراضيه، قال السيد محمد القزويني: فاتفق أن تشرفت بزيارة أعتاب كربلاء المقدسة والتبرك بتربتهم وروضتهم، فاجتمع إلي أهالي كربلاء وطلبوا مني أن أكتب إلى السيد النقيب في خصوص الماء وما يعانونه من العطش والظماً، وأن أستحثه في سقيهم الماء بالسماح لهم في حفر نهر جديد في أراضيه يسقي كربلاء وأهلها، فكتبت إليه أستحثه أن يقتدي بأبيه أمير المؤمنين ﷺ ساقى الكوثر، وبعمه العباس ساقى العطاشي، وأستعطفه بذكر ما يعانونه أهل كربلاء من قلة الماء، وما يقاسونه من عطش وظماً، البيتين التاليين:

في كربلا لك عصابة تشكوا الظماً من فيض كفك تستمدّ رواءها
وأراك يا ساقى عطاشى كربلا وأبوك ساقى الحوض تمنع ماءها؟
فلما وصل كتابي إلى السيد النقيب، تأثر بما فيه، وأجاز حفر النهر الجديد في أراضيه، مفتخراً بوسام السقاية ولقب السقاء، وارتوى أهل كربلاء من الماء، وانتفعوا بالنهر الجديد ببركة هذا الوسام الكبير، ولقب «السقاء» الشريف.

[من آداب السقاية وشرب الماء]

وجاء في كتاب كامل الزيارات مسنداً عن داود الرقي قال: «كنت عند أبي عبدالله ﷺ إذا استسقى الماء، فلما شربه رأيته قد استعبر، واغرو رقت عيناه

بدموعه، ثم قال لي: يا داود لعن الله قاتل الحسين عليه السلام، فما من عبد شرب الماء فذكر الحسين عليه السلام ولعن قاتله، إلا كتب الله له مائة ألف حسنة، وخط عنه مائة ألف سيئة، ورفع له مائة ألف درجة، وكأنما أعتق مائة ألف نسمة، وحشره الله يوم القيامة تلج الفؤاد».

وفي الخبر أيضاً ما مضمونه: إن من كان في يوم عاشوراء عند مرقد الإمام الحسين عليه السلام وسقى الناس العطاشى ماءً، كان كمن سقى أصحاب الإمام الحسين عليه السلام الماء في يوم عاشوراء، وكان كمن حضر كربلاء، لنصرة الإمام الحسين عليه السلام في ذلك اليوم.

الخصيصة الخامسة عشرة :

« في أنه ﷺ قمر بني هاشم »

يا هاشماً إن الإله حباكموا ما ليس يبلغه اللسان المفصل
قوم لأصلهم السيادة كلها قدماً وفرعهم النبي المرسل
بيض الوجوه ترى بطون أكنهم تندى إذا اغبر الزمان المحمل
هذا ما قاله كعب الأنصاري شاعر النبي ﷺ في بني هاشم عامّة، وقد قال
الإمام الحسين ﷺ في أخيه أبي الفضل العباس ﷺ خاصّة وذلك عندما وقف
عليه يوم عاشوراء ورآه مضرّجاً بدمه :

أيا بن أبي نصحت أخاك حتّى سقاك الله كأساً من رحيق
ويا قمراً منيراً كنت عوني على كلّ النوائب في المضيق
وقال السيّد جعفر الحلّي في العباس ﷺ خاصّة وهو يحكي لسان حال
الإمام الحسين ﷺ عندما مشى إلى مصرعه قائلاً :

فمشى لمصرعه الحسين وطرفه بين النساء وبينه متقسّم
ألفاه محجوب الجمال كأنه بدرّ بمنحطم الوشيح ملثم

[هاشم وبنوه سادة البطحاء]

نعم لقد كان هاشم بن عبد مناف وبنوه سادة البطحاء وقادتها، وذلك لما

منهم الله تعالى من حسن الخلق والسيرة، وجمال الوجه والصورة، فلقد كان هاشم في حسن الخلق والسيرة، وكرم الأصل والأعراق، بمكانة ساد بها كل العرب، فأصبح هو الأصل للسيادة، والسيادة فرع عليه، ومنه أطلق اسم «السيّد» على أولاده وبنيه، وكُنّي السادة بأبناء هاشم، أو كما في عُرف النَّاس قد عُرفوا بأبي هاشم، كل ذلك نسبة إلى هاشم جدّ النبي ﷺ.

هذا كان من حيث الخلق والسيرة، وأمّا من حيث الوجه والصورة، فلقد كان هاشم وكذلك أبوه عبد مناف وهكذا أجداده صباح الوجوه، حسان الغرر، يحملون في وجوههم إضافة إلى جمالهم وحسنهم نور النبي الخاتم ﷺ الذي كان في أصلاهم، يتوارثونه خلفاً من سلف، ويورثونه سلفاً لخلف، حتّى قيل لعبد مناف: إنّه قمر مكّة وإنّه البدر، وقيل لهاشم وإخوته: أقداح النّصار، والنّصار جمع النّضر، وهو الذهب، وقيل لعبدالمطلب: إنّه البدر، وقيل لعبدالله والد النبي ﷺ: إنّه بدر الحرم، وقيل لرسول الله ﷺ: إنّه أضوء من القمر.

[النبي وأهل بيته أنوار الأرض]

ولقد جاء في وصف النبي ﷺ أيضاً كما في رواية عن الإمامين الهمايين: الحسن والحسين عليهما السلام عن خالهما هند بن أبي هالة التميمي وكان وصافاً أنّه قال: «كان رسول الله ﷺ فخماً مفخماً، يتلأأ وجهه تلالو القمر ليلة البدر...».

وكما عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «إنّ رسول الله ﷺ إذا رئي في الليلة الظلماء رئي له نور كأنّه شقّة قمر».

وكما عن لسان عمّه أبي طالب عليه السلام أنّه قال:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

وكما عن لسان شاعره حسان بن ثابت :

وأحسن منك لم تر قط عيني وأجمل منك لم تلد النساء
خلقت مبرءاً من كل عيب كأنك قد خلقت كما تشاء
وقيل في صفة علي أمير المؤمنين ﷺ : أزجّ العينين ، أدمج العينين ، أنجل
يميل إلى الشّهلة ، كأنّ وجهه القمر ليلة البدر حسناً .
وقيل في وصف الإمام الحسن المجتبي سبط رسول الله الأكبر : كان شبيه
جدّه رسول الله ﷺ خلقاً وخلقاً ، وسمناً ومنطقاً .

[أشبه الخلق برسول الله ﷺ]

وقيل في صفة الإمام الحسين الشّهيد سبط رسول الله الأصغر : كان له
جمال عظيم ، ونور يتلألأ في جبينه وخدّه ، يضيء حواليه في اللّيلة الظّلماء ،
وكان أشبه الناس برسول الله ﷺ .

وقيل في وصفه أيضاً كما عن لسان الغلام الذي قتل أبوه في المعركة
واستشهد مع من استشهد من أصحاب الحسين ﷺ حيث أنّه برز إلى الأعداء وهو
يرتجز ويقول :

أميري حسين ونعم الأمير سرور فؤاد البشير النذير
علي وفاطمة والداه فهل تعرفون له من نظير
له طلعة مثل شمس الضحى له غرة مثل بدر منير

وقال هلال بن نافع وهو يصف الإمام الحسين ﷺ في لحظاته الأخيرة :
كنت واقفاً نحو الحسين ﷺ وهو يجود بنفسه ، فوالله ما رأيت قتيلاً قطّ مضمّخاً
بدمه أحسن منه وجهاً ولا أنور ، ولقد شغلني نور وجهه عن الفكرة في قتله .

وعن مسلم الجصاص وهو يصف رأس الإمام الحسين عليه السلام محمولاً على القنا في سوق الكوفة بقوله: إذا بضجة قد ارتفعت، فإذا هم أتوا بالرؤوس يقدمهم رأس الحسين عليه السلام وهو رأس زهري قمري أشبه الخلق برسول الله ﷺ ولحيته كسواد السَّيِّج قد اتصل منها الخضاب، ووجهه دارة قمر طالع، والريح تلعب بها يميناً وشمالاً.

ورثاه الكعبي بقوله:

ومجرَّح ما غيَّرت منه القنا حسناً ولا أخلقن منه جديداً
قد كان بديراً فاغتدى شمس الضحى مذ ألبسته يد الدماء لبوداً
وقال في صفته أعداؤه - والفضل ما شهدت به الأعداء كما عن لسان يزيد،
العدو اللدود للإمام الحسين عليه السلام، وذلك عند ما جيء بالرؤوس إليه في الشام،
فأخذ يقلِّب رأس أبي عبد الله عليه السلام ويقول متشمتاً:

يا حبذا بردك في اليدين ولونك الأحمر في الخدين
كأنما حفَّ بوردين شفيت نفسي بدم الحسين
وبرواية أخرى قال:

يا حسنه يلمع باليدين يلمع في طست من اللجين
كأنما حفَّ بوردين كيف رأيت الضرب يا حسين

شفيت غلي من دم الحسين

وقال أيضاً - وكان جالساً في منظرية على جيرون - لما رأى السَّبايا والرؤوس على أطراف الرِّماح تُهدى إلى الشام وقد أشرفوا على ثنية جيرون:

لما بدت تلك الرؤوس وأشرقت تلك الشموس على ربى جيروني
نعب الغراب فقلت صبح أو لا تصح فقد اقتضيت من الرسول ديوني

[وضاءة العباس عليه السلام وصباحته]

وجاء في وصف أبي الفضل العباس عليه السلام كما عن أبي الفرج الأصبهاني في مقاتل الطالبين: وكان العباس رجلاً وسيماً جميلاً، يركب الفرس المطهم ورجلاه تخطآن في الأرض، وكان يقال له: قمر بني هاشم. وقيل في صفته عليه السلام أيضاً: ويقال له: قمر بني هاشم، لوضائه وجمال هيئته، وأن أسرة وجهه تبرق كالقدر المنير، فكان لا يحتاج في الليلة الظلماء إلى ضياء.

وجاء في فرسان الهيجاء: إن أبا الفضل العباس عليه السلام إنما دعي «قمر بني هاشم» لأن نور محيّا كان يضيء كل ظلمة، وجمال هيئته كان يبهر كل ناظر، فإن نور وجه أبي الفضل العباس عليه السلام وجمال محيّا كان بدرجة من العظمة والبهاء، بحيث أنه لو اتفق أن رافق في الطريق ابن أخيه علي الأكبر، الذي كان أشبه الناس خلقاً وخلقاً بجده رسول الله ﷺ اصطف أهل المدينة في طريقهما ليتفرّجوا على جمالهما، ويزوروا محيّاها، ويتزودوا من نور إيمانها ومعنوياتها العالية.

نعم، ورث أبو الفضل العباس عليه السلام من آبائه وأجداده حسن السيرة وجمال الصورة، واجتمع فيه بعد أخويه الإمامين الهمامين: الحسن والحسين عليهما السلام كل آيات الحسن والجمال، وعلامات الشرف والجلال، حتى عرف عند الجميع بقمر بني هاشم.

الخصيصة السادسة عشرة :

« في أنه ﷺ قمر العشيرة »

العشيرة هي القبيلة، وقبيلة أبي الفضل العباس ﷺ من طرف الأب، لبّ قريش ومخّها، وأشرف العرب وأكرمها، أعني: قبيلة بني هاشم والهاشميين. كما أنّ قبيلة أبي الفضل العباس ﷺ من طرف الأمّ هي قبيلة بني كلاب من آل الوحيد، وكانوا من أبرز القبائل العربية شرفاً، وأظهرهم مناقب، وأجمعهم للمآثر الكريمة، والأخلاق النبيلة، ولذلك جاء اختيار عقيل بن أبيطالب ﷺ عندما استشاره الإمام أمير المؤمنين ﷺ في الزواج من أكرم بيوتات العرب وأشجعها، على هذه القبيلة، فاختر له منها كريمة قومها، وعقيلة أسرتها: فاطمة الوحيدة الكلاية أمّ البنين ﷺ.

[العباس ﷺ مفخرة بني هاشم]

ومن الطّبيعي لكلّ عشيرة وقبيلة أن تنتخب نوادر شخصيّاتها، ونوابغ رجالها، لتجعلهم قدوة تقتدي بهم، وأسوة حسنة لغيرهم، وعَلَمًا تفتخر على الآخرين بهم، ونبراساً تستلهم من نورهم، والعباس بن أمير المؤمنين ﷺ هو مَنْ تفوّق بين القبيلتين في كلّ معاني الخير والجمال، والشّجاعة والشّهامة، والفصاحة والنّباهة، لقد كان في حسن السّيرة والأخلاق قمّة، وفي جمال الوجه

والمحيّا روعة، كان وجهه كالقمر ليلة البدر حيث أنّه ورث الجمال من آبائه وأجداده، وفعاله كالشمس في ضاحية النهار، حيث أنّه قد تأدّب على يدي أبيه الإمام أمير المؤمنين ﷺ وأخويه الإمامين الهاميين: الحسن والحسين ﷺ، ولذلك أسرع بنو هاشم عشيرته من ناحية الأب إلى الإفتخار به، والإعتزاز بشخصيته فأطلقوا عليه وبكلّ كفاءة لقب: «قمر بني هاشم» فاشتهر العباس ﷺ بهذا اللقب بين الهاشميين ثمّ فشى لقبه هذا وبكلّ سرعة بين الناس.

[آل الوحيد ومفخرتهم]

وهنا لمّا رأى بنو كلاب من آل الوحيد، ابن أختهم العباس بن أمير المؤمنين ﷺ متفوّقاً على كلّ أفراد عشيرتهم في الجمال والجلال، متميّزاً على كلّ قبيلتهم في المكارم والكمال، وهو بنوغه هذا فخر لعشيرتهم، وعزّ لقبيلتهم، ولا بدّ لهم من أن يعتزّوا به، ويفتخروا بانتسابه إليهم، ليزدادوا بين العشائر وجهة، ويكتسبوا عن طريقه في الناس رفعة ومكانة، ولئلاّ ينفرد بالإفتخار به بنو هاشم وحدهم، ويعتزّوا به دونهم، جاؤوا وأطلقوا على ابن أختهم العباس بن أمير المؤمنين ﷺ لقب: «قمر العشيرة» فعرف ﷺ بعد ذلك به.

وهكذا حصل أبو الفضل العباس ﷺ على لقب: قمر بني هاشم، ولقب: قمر العشيرة، فهو بكلّ جدارة قمر العشائر والقبائل كلّها، بل هو قمر متلألئ في سماء الإنسانيّة، وآفاق البشريّة جميعها، يضيء لهم الدّرب، ويهديهم إلى الصّراط المستقيم، صراط علي أمير المؤمنين ﷺ والأئمّة المعصومين من أهل بيت رسول الله ﷺ ويحذّرهم ظلام السّبل المعوجّة والملتوية، سبل بني أميّة، وآل أبي سفيان، ومعاوية ويزيد، وكلّ من سار على طريقهم وسلك في سبيلهم.

[الجمال وحسن الفعال]

نعم إنَّ صباحة الوجه ووضاءته من النعم الإلهية على الإنسان، وقد جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ هو الوجه الحسن، والصَّوت الحسن، والشَّعر الحسن.

وبرواية أخرى: إنَّ الله جميل ويحبُّ الجمال.

وقيل: ما أحسن لو يجمع الجمال مع حسن الفعال، يعني: بأن يجمع إنسان جمال السيرة مع جمال الصورة.

هذا وقد كان أبو الفضل العباس عليه السلام من أولئك القلائل المتميزين، بل المنفردين في عالم الجمال وحسن الفعال معاً، فقد حاز عليه السلام جمال السيرة في أعلى مراتبه، كما أنه قد فاز بجمال الصورة في أرفع مراقبه أيضاً، حتَّى اشتهر في النَّاس بقمر بني هاشم، وبقمر العشيرة.

وإلى هذا المعنى أشار العلامة الشَّيخ محمَّد حسين الأصبهاني في قصيدته المعروفة في العباس عليه السلام حيث يقول فيها:

وقد تجلَّى بالجمال الباهر	حتَّى بدا سرَّ الوجود الزَّاهر
غرَّته الفراء في الظَّهور	تكاد أن تغلب نور الطُّور
رقى سماء المجد والفخار	بالحقِّ يدعى: قمر الأَقمار
بل في سماء عالم الأسماء	كالقمر البازغ في السَّماء
بل عالم التكوين من شعاعه	جلَّ جلال الله في إبداعه

الخصيصة السابعة عشرة :

« في أنه عليه السلام حامل اللواء »

لقد عقد الإمام الحسين عليه السلام لأخيه أبي الفضل العباس لواءاً ودفعه إليه منذ خروجه من الحجاز متوجهاً إلى العراق، وكان اللواء الأعظم يوم عاشوراء بيده عليه السلام، ولذلك كلما استأذن للبراز قال له الإمام الحسين عليه السلام : أنت صاحب لوائي، وإذا مضيت تفرّق عسكري، وقال بعض الشعراء عن لسان حال الإمام الحسين عليه السلام حين وقف على أخيه العباس عليه السلام :

لمن اللوى أعطي ومن هو جامع شملي وفي ظنك الزحام يقيني
أمنازل الأقران حامل رايتي ورواق أخبيتي وباب شؤني
لك موقف بالطف أنسى أهله حرب العراق بملتقى صفين
وجاء في المناقب لابن شهر آشوب ما مضمونه : كان للعباس السقاء، قمر بني هاشم، صاحب لواء الإمام الحسين عليه السلام وأكبر إخوته .

[من مواصفات حملة الألوية]

ومن المعلوم : أنّ اللواء لا يعقد إلا لمن عرف بالشجاعة والشهامة، والنبيل والشرف : لأنّ حامل اللواء هو من يريد ضمّ كلّ أفراد الجيش تحت لوائه، ودرجهم في سلكه وظلاله، فلا بدّ أن يكون ممّن يقبله الجميع، ويرتضيه الكلّ، من

حيث الشرف والشجاعة، حتّى ينتظموا في سلكه، وينضوا تحت لوائه .
 هذا مع أنّ حمل اللواء في نفسه مفخرة كبيرة، ومكرمة عظيمة، ووسام شريف، وله منزلة في نفوس الناس، ولدى جميع الأمم والشعوب، وعلى مرّ الأزمنة والعصور، كما أنّ لحامل اللواء مكانة راقية، ودرجة رفيعة، ومرتبة سامية، لا من حيث شجاعة حامل اللواء وشهامته فحسب، بل من حيث انتظام الجيش واستماتته مقابل العدو، فإنّه مادام اللواء قائماً، والعلم مرفرفاً، يكون الجيش منتظماً، وشمله ملتئماً، وأفراده مقاومين، ورجاله مستميتين، حيث إنّ اهتزاز اللواء ورفرفته بيد حامله، يعطي الأمل للمقاتلين، ويبعث في نفوسهم القوة والشجاعة، ويرفع فيهم المعنويات القتالية العالية، ويقربهم من الغلبة والنصر، بينما إذا سقط اللواء انكسر الجيش وانهزم، وتبدّد العسكر وتفرّق، وآل أمرهم إلى الإندحار والموت، أو الأسر والسبي .

ومن أجل ذلك كلّه يأتي انتخاب حملة اللواء، واختيار أصحاب الألوية، من وسط الشجعان والأعيان، ومن خلال ذوي البيوتات والشرف، ومن بين المعروفين بالنبل والكرم، والدين والتقوى، كما أنّ ذلك كلّه كان هو الذي يدعو حامل اللواء إلى أن يبذل ما في وسعه للحفاظ على سلامة اللواء، والاستماتة من أجل بقاء اللواء مرفرفاً عالياً، خفّاقاً منشوراً على رؤوس أفراد الجيش ورجاله، ومن أجل ذلك كلّه أيضاً نرى أنّ حملة اللواء وأصحاب الألوية في الإسلام، كانوا غالباً ما يقون اللواء بأنفسهم، فلا يدعون اللواء يسقط من أيدهم مادام في أجسادهم حياة، وفي أبدانهم رمق، وفي قلوبهم ضربان، وفي سراييينهم دم ينزف، فإذا قطعت يُمنّاهم، أخذوا اللواء بيسارهم، وإذا قطعت يسارهم أخذوا اللوا بركبتهم، وهكذا كانوا يحمون اللواء بأنفسهم عن السقوط، حتّى يسلموه إلى كفّو آخر غيرهم - كما اشتهر ذلك في حقّ جعفر بن أبي طالب عليه السلام في حرب مؤتة - .

[مع أصحاب الرايات]

ولقد جاء في تعليمات الإمام أمير المؤمنين ﷺ فيما يخص آداب الحرب والقتال - كما في نهج البلاغة - حيث يقول ﷺ : «... ورايتكم فلا تُميلوها ولا تُخلوها، ولا تجعلوها إلا بأيدي شجعانكم، والمانعين الدمار منكم، فإن الصابرين على نزول الحقائق، هم الذين يحقون براياتهم، ويكتفونها حفاقيها، ووراءها وأمامها، لا يتأخرون عنها فيسلموها، ولا يتقدمون عنها فيفردوها...» . وما كان الإمام الحسين ﷺ ليتخطى تعليمات أبيه الإمام أمير المؤمنين ﷺ فيما يخص حامل اللواء، ولذلك اختار لحمل لوائه أخاه الأكبر أبا الفضل العباس ﷺ، وكان كما اختاره الإمام الحسين ﷺ كقواء بحمل اللواء، وأهلاً للقيام بحقه، حيث أنه ﷺ وحفاظاً على سلامة اللواء، وبقائه مرفرفاً خففاً، بقي في آخر من بقي مع الإمام الحسين ﷺ مع شدة ضيق صدره، وكثرة أسفه وهمه، من فقد إخوته وأبناء إخوته، وعظيم اشتياقه للقاء العدو ومنازلتهم، وكبير تلهفه على الانتقام منهم ومقاتلتهم، فإنه ﷺ مع كل ذلك لم يشف قلبه من الأعداء بالبراز إليهم، امتثالاً لأمر أخيه الإمام الحسين ﷺ الذي كان يقول له كلما استأذنه للبراز أنت صاحب لوائي، وإذا مضيت تفرق عسكري.

كما أنه لما استسقى لأطفال أخيه الإمام الحسين ﷺ الذين أضر بهم العطش، وذلك في المرة الأخيرة التي انجرت إلى شهادته، لم يسمح لنفسه مادام له رمق بترك اللواء وسقوطه، فإنه لما قطعوا يديه : يمينه وشماله، احتفظ باللواء من السقوط بساعديه وعضديه، وألقاه بهما إلى صدره، وإنما سقط اللواء بسقوطه ﷺ من على جواده، وذلك بعد أن رشقه بالنبال كالمطر، وخاصة عندما خسفوا هامته بعمد من حديد، فهوى إلى الأرض مع اللواء منادياً : يا أخي أدرك أخاك.

[أوّل من عُقد له اللواء]

نعم لقد كان أبو الفضل العباس عليه السلام حامل لواء أخيه الإمام الحسين عليه السلام كما كان أبوه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام حامل لواء أخيه وابن عمّه رسول الله ﷺ، فلقد كان لواء الحقّ بيد أنبياء الله وأوليائه، حيث كان أوّل من عُقد اللواء وحمله هو: شيث بن آدم عليه السلام - على ما قيل - ثم انتقل إلى خليل الرحمن: النبي إبراهيم عليه السلام، ومنه إلى ابنه إسماعيل الذبيح عليه السلام، ومنه إلى ابنه نابت بن إسماعيل عليه السلام، ومنه إلى أبنائه وأحفاده، أجداد النبي ﷺ وآبائه، حتّى انتقل إلى قصي بن كلاب، ومنه إلى عبد مناف، ثمّ ورثه منه ابنه هاشم، ثمّ ابنه عبد المطلب، ثمّ ابنه أبو طالب، ثمّ صار اللواء إلى رسول الله ﷺ فدفعها إلى علي أمير المؤمنين عليه السلام، فأصبح هو عليه السلام حامل لواء الرسول ﷺ، وأصبح من بعده ابنه العباس عليه السلام حامل لواء الإمام الحسين عليه السلام وعرف بذلك، أعني: عرف بأنّه عليه السلام حامل اللواء.

[اللواء مع الغنائم في الشام]

ولقد جاء في التاريخ أنّ جيش بني أميّة بقيادة ابن سعد، لما أغاروا على مخيم الإمام الحسين عليه السلام بعد الظهر من يوم عاشوراء ونهبوا ما فيه، وكذلك جمعوا ما في ساحة الحرب من غنائم، وبعثوا بها إلى الشام، كان في جملتها اللواء الذي كان يحمله العباس عليه السلام، فلما وقع عين يزيد عليه وأجال بصره فيه تعجّب هو ومن كان معه، حيث رأوا أنّ هذا اللواء لم يسلم منه مكان إلّا محل قبضته وموضع اليد منه، فسأل يزيد متعجباً وهو يقول: من كان يحمل هذا اللواء في كربلاء؟ قالوا:

العباس بن علي ﷺ . فلما سمع يزيد بأنّ حامله كان هو العباس ﷺ قام من مكانه وجلس ثلاث مرّات تعجباً من شجاعة العباس ﷺ واندھاشاً من شهامته وبطولته ، ثمّ التفت إلى من حضره وقال : أنظروا إلى هذا العَلَم ، فإنّه لم يسلم من الطعن والضرب إلّا مِقْبُض اليد التي تحمله ، إشارة إلى أنّ سلامة المِقْبُض دليل على شجاعة حامله وشهامته حيث كان يتلقّى كلّ الضربات والرشقات ، بصبر وصمود ، دون أن يترك اللواء لينتكس ، أو يدعه ليسقط ، ثمّ قال : أبيت اللعن يا عباس ، هكذا يكون وفاء الأخ لأخيه ، وهذا اعتراف من العدوّ في حقّ العباس ﷺ ، والفضل ما شهدت به الأعداء .

[الألوية في الشعائر الحسينية]

ثمّ إنّ هذا اللواء أعني لواء الحقّ الذي كان بيد الأنبياء والأولياء ، وحمله أبو الفضل العباس ﷺ في كربلاء ، وهو اليوم بيد إمام العصر ، وبقية الله في أرضه ، الإمام المهدي الحجة بن الحسن ﷺ قد أرمز إليه بالألوية والأعلام التي تُرفع في الشعائر الحسينيّة ، وتُنصب على الحسينيّات ، وتقام بباب المجالس والمحافل الدينيّة ، ويطاف بها في المواكب والمآتم الحسينيّة ، إحياءً لسنن الحقّ ، وإبقاءً على معالم الإسلام ولوائه عالياً خفاقاً على رؤس المسلمين ، حتّى يأتي يوم تتوحّد فيها الأعلام والألوية ، وتذاب معها القوميّات والتعصّبات الجاهليّة ، ولا يبقى لواء إلّا لواء الإسلام ، ولا شعب غير شعوب المسلمين ، بل يدخلون الناس كلّهم في دين الله أفواجا ، برغبة وطواعية ، لما يرونه في الإسلام من منطق وعدل ، واحترام وسواسيّة ، فالنّى ذلك اليوم المأمول ، والأمل المنشود .

وهنا لا بأس بذكر هذه القطعة التاريخية، فإنه قد جاء في التاريخ: أنَّ الفاطميين كانوا يهتمون اهتماماً كبيراً بالألوية، والرايات، والدرق، حتَّى أنَّهم خصَّصوا مكاناً في مصر يقال له: «خزانة البنود» اختزنوا فيها الأعلام، والرايات، والأسلحة، والسروج، واللجم المذهبة والمفضضة، وكانوا ينفقون عليها في كلِّ سنة ثمانين ألف دينار، ولمَّا احترق ذلك المكان بما فيه، قدرت الخسارة الناجمة عن هذا الحريق بثمانية ملايين دينار، وكان في جملة الألوية والرايات، لواء يسمونه: «لواء الحمد».

الخصيصة الثامنة عشرة :

« في أنه ﷺ بطل العلقمي »

وهوى بجنب العلقمي فليته للشاربين به يدا ف العلقم
وقال السيّد الطحّان:

جرعت أعداءك يوم الوغى في حدّ ماضيك من العلقم
وقد بذلت النفس دون الحمى مجاهداً يا بطل العلقمي

الياء في العلقمي ياء النسبة، والمراد به نهر علقمة، وهو نهر كان متفرّعاً من
الفرات ومنشعباً منه، وكان يمرّ بأرض كربلاء وضواحيها، ويسقيها جميعاً، وعلى
مقربة منه صُرع أبو الفضل العباس ﷺ وسقط شهيداً، وذلك حيث يكون مرقده
الشريف الآن.

قيل: إنّ هذا النهر - أي: نهر العلقمي - كان هو النهر الوحيد الذي يجري في
كربلاء أيام نزل الإمام الحسين ﷺ وأهل بيته بها، وقد شهد هذا النهر بطولات
كثيرة من أبي الفضل العباس ﷺ، بطولات روحية وجسمية معاً.

[العلقمي و بطولات العباس ﷺ الجسمية]

أمّا بطولات أبي الفضل العباس ﷺ الجسمية التي شهدها العلقمي منه ﷺ
فحدّث ولا حرج، فلقد كان أوكل ابن سعد عمرو بن الحجاج مع أربعة آلاف

فارس على العلقمي يحموا ماء ذرية رسول الله ﷺ، ويمنعوه من الإمام الحسين ﷺ وأصحابه وأهل بيته، فاستقى العباس ﷺ منه لمعسكر الإمام الحسين ﷺ مرّات عديدة، وذلك بعد أن فرّق جموع الموكّلين به وبدّد شملهم. ومن المعلوم ان تفريق أربعة آلاف فارس عن العلقمي، مع أنّ مهمّة هؤلاء الفرسان كان هو الحيلولة بينه وبين كلّ وارد إليه من أصحاب الإمام الحسين ﷺ وذلك بكلّ ما يملكونه من أسلحة وعتاد، وجزم وعزم، هو أمر عظيم، لا يقدر عليه أحد سوى مثل أبي الفضل العباس ﷺ، حيث كان يحمل عليهم كالليث الفضبان، ولا يعبأ بالسهام التي كانت تقبل نحوه كالطر، فكان جسمه الشريف يصبح من كثرة ما يصيبه من النبل والسهام كالقنفذ، وهو لا يكثر بشيء من ذلك، بل كان كلّ همّه اقتحام العلقمي والدخول فيه، وحمل الماء إلى مخيم الإمام الحسين ﷺ ومعسكره، وكان يفعل في كل مرة ذلك وبكلّ جدارة.

[العلقمي وبطولات العباس ﷺ الروحية]

وأما بطولات أبي الفضل العباس ﷺ الروحية التي شهداها العلقمي من أبي الفضل العباس ﷺ فحدّث أيضاً ولا حرج، فإنّ من يستطيع تفريق أربعة آلاف فارس، ويقدر على تبديد جمعهم، صحيح أنّه دليل على بطولته الجسمية وقوّته الجسدية، ولكن لولا قدرته الروحية الكبيرة، التي لا تهاب من الإقدام على الموت، ولا ترهب من اقتحام لجج الحرب المدمّرة، لما كان يستطيع التقدّم نحو العدو حتّى شبر واحد، ولا أن يدنو من العلقمي بمقدار أنملة، فكيف بأن يقتحمه ويملاً الوعاء منه؟ فما ظهور بطولته الجسمية وبروز قوّته الجسدية، إلّا عن دافع الروح القوية، وقدرتها المعنوية العالية.

ألم تسمع بخبر ابن الحنفية في وقعة الجمل وذلك على ما اشتهر عليه ابن الحنفية من البطولة والشجاعة؟ فإنه لما أمره أبوه أمير المؤمنين ﷺ بأن يحمل على القوم، تريث وأبطأ عن مهاجمتهم ومداهمتهم، فلما استفسر ﷺ منه عن سبب تناقله، أجاب: بأنه يترث انقطاع رشق السهام التي تتوالى نحوه كالمطر، فدفع ﷺ في صدره وقال له: لقد أصابك عرق من أمك، ممّا يظهر منه أنّ موقف ابن الحنفية أمام رشق السهام مع قوّته الجسدية الفائقة، كانت قد نتجت من ضعف الروح التي لحقته من أمّه، وإلا فأبوه أمير المؤمنين ﷺ هو من يُضرب بقوة روحه وعلو معنوياته المثل، بينما أم أبي الفضل العباس ﷺ هي أمّ البنين ﷺ المعروفة ببيتها العريق في الشجاعة والبطولة، والتي قد ورثت من آبائها الفروسيّة والشهامة وورثته ابنها أبا الفضل العباس ﷺ، فأبو الفضل ﷺ وريث شجاعة أبيه أمير المؤمنين ﷺ وأمّه أمّ البنين ﷺ، ولا كلام في شجاعة مثله ﷺ روحاً وجسداً.

[المواساة : بطولة معنوية]

أضف إلى كلّ ذلك بطولته الروحية الأخرى، التي هي أعظم كلّ البطولات الروحية، وأكبر كلّ القدرات المعنوية، التي شهدها العلقمي من أبي الفضل العباس ﷺ، ألا وهي بطولة المواساة، وقدرة التغلب على النفس، وزمّ جماحها إلى الماء، وتلقّفها إلى شربه، فإنّ إنساناً مثل أبي الفضل ﷺ قد كابد شحّ الماء وقتلته، وأعطى حصّته من الماء لأطفال أخيه العطاش، وعانا من ثقل الحديد ومطاردة الأعداء، وقاسى حرّ الشمس وحرّ الحرب، حتّى أصبح فواده كالجمر، وقلبه كالبركان، قد دخل العلقمي وأحسّ ببرده، فكان من الطبيعي له، وبدافع حسّ العطش الكبير، والظمأ الشديد، وعبر حركة طبيعيّة، أن تمتدّ يده إلى الماء

وتغترف منه غرفة لتقربه من فمه، حتى يُطفئ بها فورة العطش، ويُخمد عبرها أوار الظمأ، وكان هذه الغرفة من الماء وتعقيها بثانية وثالثة واستساغتها، لكن حاشا لمثل أبي الفضل العباس عليه السلام ربيب أمير المؤمنين عليه السلام والمترعرع في حجر أم البنين، أن ينزل إلى ما تتطلبه طبيعته الجسدية، ويسف إلى مستوى غرائزه الجسمية، وقد تعلم من أبيه وأمه كيف يحلق في سماء الفضيلة، ويعلو في أجواء المعنويات الروحية، وكيف يكبح جماح نفسه، ويغلب فورة هواه، ولذلك عندما قرّب الماء من فمه وتذكر عطش أخيه الإمام الحسين عليه السلام صبّ الماء على الماء، وملأ القربة ماءً وأخرج من العلقمي متجهاً نحو الخيام وهو يخاطب نفسه ويقول:

يا نفس من بعد الحسين هوني	وبعده لا كنت أن تكوني
هذا الحسين وارد المنون	وتشربين بارد المعين
تالله ما هذا فعال ديني	ولا فعال صادق اليقين

[جفاف العلقمي واندثاره]

نعم، لقد شهد العلقمي هذه البطولات الروحية والجسمية من أبي الفضل العباس عليه السلام وأعجب بها، كما أعجب بصاحبها الأبي، وراعيها الوفي، أبي الفضل العباس عليه السلام، وراح يهتز له سروراً، ويموج به مرحاً، ويتبخر اعتزازاً وافتخاراً، لكنّه لما شهد مصرع هذا الشهم النفل، واغتيال هذا الطاهر المبارك، على مقربة من شواطئه وسواحله، وضافه وحاقته، وهو ضامئ عطشان، وذلك على أيدي الغدرة الفجرة، والخونة الكفرة، أصيب بخيبة أمل كبير، وفجع بمن كان قد اعتزّ به وافتخر، وبقي متحيراً لا يدري ما يفعل، ولا يعرف كيف يتصرّف في ردّ فعل منه على هذه الأمور الصعبة التي وقعت بجواره، والظروف القاسية التي جرت على

مرأى منه ومسمع ؟ حتّى إذا وقف على ضفافه الإمام الصادق عليه السلام وخاطبه قائلاً :
 «إلى الآن تجري - يا علقمي - وقد حرم جدّي منك ؟». وبرواية معالي السبطين
 أنّه وقف عليه الإمام زين العابدين عليه السلام عند رجوعه من الشام وخاطبه بقوله :
 «منعت ماءك - يا علقمي - عن أبي عبدالله عليه السلام وتجري ؟». فاستحيى العلقمي من
 ذلك وعرف من مخاطبة الإمام الصادق عليه السلام أو مخاطبة الإمام السجّاد عليه السلام له كيف
 يتعامل مع الواقع المرّ الذي شهده، والمنظر المفجع الذي رآه، فغار من حينه،
 وجفّ الماء، وصار العلقمي بعد ذلك أثراً تاريخياً مسطوراً في كتب التاريخ،
 ومدوّناً في ذاكرة الأيّام، حيث صار العباس عليه السلام يُنسب في بطولته وشجاعته إلى
 هذا النهر، ويعرف من بعد ذلك ببطل العلقمي.

ولنعم ما قيل في هذا المعنى :

يا من إذا ذكرت لديه كربلا لطم الخدود ودمعه قد أهمل
 مهما تمرّ على الفرات فقل: ألا بعداً لشطك يا فرات فمرّ لا

تحلو فأنك لا هني ولا مري

أيّزاد نسل الطاهرين أباً وجد عن ورد ماء قد أبيع لمن ورد
 لو كنت يا ماء الفرات من الشهد أيسوغ لي منك الورود وعنك قد

صدّ الإمام سليل ساقى الكوثر

الخصيصة التاسعة عشرة :

« في أنه ﷺ كبش الكتيبة »

عباس كبش كتيبتي وكنانتي وسري قومي بل أعز حصوني
وقال الأزري في رثائه للعباس ﷺ :

اليوم بان عن الكتائب كبشها اليوم فل عن البنود نظامها
الكبش يطلق على البطل الشجاع الذي يعجز عن مقاومته الأبطال
والشجعان، علماً بأن الشجاعة هي: قوة القلب، ورباطة الجأش، فقد روي أن
كسرى أنوشيروان سأل الحكيم «بوذرجهر» عن الشجاعة ما هي؟ فأجاب: إنها
قوة القلب. فقال له كسرى: لم لاتقول: إنها قوة اليد؟ فأجاب: إن قوة اليد فرع
على قوة القلب.

كما يطلق الكبش أيضاً على مقدّم الجيش أميراً كان أو ملكاً، ويطلق أيضاً
على سيّد القوم وقائدهم، والكتيبة يعني الجيش.

وفي العرف: إن الكبش لا يطلق في الحرب على أحد إلا على من تكاملت
فيه معاني البطولة، واجتمعت فيه خصال الرجولة والفروسية، ولذلك لم يطلقوا هذا
اللقب في الإسلام على أحد قبل أبي الفضل العباس ﷺ إلا على الأشر: مالك بن
الحارث النخعي، صاحب الإمام أمير المؤمنين ﷺ حيث كانوا يطلقون عليه لقب:
كبش العراق، وقد عرف به.

[كبش الكتيبة وسام عظيم]

ثم إنَّ أبا الفضل العباس ﷺ هو الذي فاز بهذا اللقب الكبير: كبش الكتيبة، من بين أصحاب الإمام الحسين ﷺ وأهل بيته الذين استشهدوا معه في يوم عاشوراء، ولقد وسمه به اخوه الإمام الحسين ﷺ ومنحه إياه تقديراً له على شجاعته وبطولته، وتجيلاً لإياه على شهامته ومراحله، فلقد كان ظهراً للإمام الحسين ﷺ على أعدائه، وأمناً لأطفاله ونسائه، ورعباً في قلوب مناوئيه والمجتمعين على قتاله، فإنَّ جيش ابن سعد كانوا يهابونه مهابة الكلب الأجرب من الأسد الغاضب، ويخافون منه خوف الثعلب الجبان من الليث الغضبان.

وما قصة عرض الأمان عليه، الذي جاء به الشمر من عند ابن زياد، ولعبة إغرائه بالمال، وعرض إمارة جيش ابن زياد عليه، إلاَّ خوفاً من سيفه وصارمه، وذعراً من صولاته وسطواته، وتخلّصاً من شدّته وبأسه، فلقد كانوا عرفوه من صفّين، وهابوه منها، لما أبدى فيها من شجاعة وشهامة، وصلابة وبسالة، فكانوا لا ينامون ولا يهدأون خوفاً من قوة ساعده، وفتك صمصامه، حتّى قيل فيه:

قسماً بصارمه الصقيل وإنني في غير صاعقة السما لا أقسم
لولا القضا لمحا الوجود بسيفه والله يقضي ما يشاء ويحكم

[مصرع كبش الكتيبة]

ولذلك لما صُرع أبو الفضل العباس ﷺ واستشهد صابراً مظلوماً، اشتدَّ الحال على الإمام الحسين ﷺ، وقال حين وقف على مصرعه معبراً عن ذلك: الآن انكسر ظهري وقلّت حيلتي، وشمّت بي عدوّي، وأمّا حال المعسكرين: معسكر

الإمام الحسين عليه السلام من نساء وأطفال، ومعسكر ابن سعد من خيالة ورجالة، فقد أصبح كما قال الأزرعي فيهم:

اليوم نامت أعيُنُ بك لم تنم وتسهدت أخرى فعزّ منامها
يعني: إن أعيُن الأعداء التي كانت قد بقيت ساهرة خوفاً من سيف أبي
الفضل العباس عليه السلام وصارمه، وذعراً من صولته وسطوته، قد أمنت بعد مصرعه،
ونامت هائلة بعد مقتله، بينما حرم رسول الله ﷺ والأطفال والنساء، الذين كانوا
يعتزون بوجود أبي الفضل عليه السلام، ويفتخرون بأنه في معسكرهم، وينامون آمنين لأنّ
عيني أبي الفضل العباس عليه السلام ساهرة في حمايتهم، ويرقدون مطمئنين لأنّ قلب أبي
الفضل العباس عليه السلام يقظان لحراستهم، أصبحوا بعد قتله خائفين، وعلى أثر مصرعه
وجلين، قد تسهدت عيونهم، وقلقت قلوبهم، فعزّ منامهم، وسهرت جفونهم،
واستسلموا للأسر والسبي، وتوقعوا السلب والنهب، وقد وقع كلّ ذلك بعد
استشهاد كبش الكتيبة أبي الفضل العباس عليه السلام.

[إني كبش كتيبتك]

ثمّ إنّه جاء في بعض كتب المقاتل: إنّه لما أقبل الإمام الحسين عليه السلام إلى
مصرع أخيه أبي الفضل العباس عليه السلام ورآه بتلك الحالة، وقال فيه ما يقوله الأخ
الشفيق في فراق أخيه العزيز، أراد أن يحمله بعدها إلى المخيم، فقال له
العباس عليه السلام: وما تريد أن تفعل يا أخي؟ فقال عليه السلام: أريد أن أحملك إلى المخيم،
فقال العباس عليه السلام: سألتك بحقّ جدّك رسول الله ﷺ لما تركتني في مكاني هذا.
فقال عليه السلام: ولماذا يا أخي يا أبا الفضل؟ فقال أبو الفضل عليه السلام: إني مستح من ابنتك
سكينة، فقد وعدتها بالماء ولم آتِها به، ثمّ إني كبش كتيبتك، فإذا رأيَ أصحابك

مقتولاً، فلربما قلّ عزمهم، ووهنت إرادتهم، فقال له أخوه الإمام الحسين ﷺ وهو يشكره على موقفه الجميل، وشعوره الطيّب: جزيت عن أخيك خيراً، فلقد نصرته حياً وميتاً.

وهكذا كان أبو الفضل العباس ﷺ فلقد نصر أخاه الإمام الحسين ﷺ في حياته، ولم يقصّر عن نصرته حتّى بعد مصرعه واستشهاده، وكلامه المذكور آنفاً إن دلّ على شيء، فإنّه يدلّ على كبير وفائه، وعظيم إخلاصه وتأدّبه مع أخيه وسيّده أبي عبد الله الحسين ﷺ وأهل بيته، كما أنّه يدلّ على مهارته بفنون الحرب، وخبرته بتعاليم القتال والمجابهة، ممّا يدلّ كلّ ذلك على أنه ﷺ قد نال بجدارته وسام: كبش الكتيبة، أو: كبش كتيبة الإمام الحسين ﷺ.

الخصيصة العشرون :

« في أنه ﷺ حامي الطعينة »

حامي الطعينة أين منه ربيعة أم أين من عليا أبيه مكرم
في كتفه اليسرى السقاء يقله وبكفه اليمنى الحسام المخدم
مثل السحابة للفواطم ريه ويصيب حاصبه العدو فيرجم

الطعينة هي المرأة في الهودج، وجمع الطعينة هو: طعائن وظعن،
وأبو الفضل العباس ﷺ هو حامي الطعينة، وحامي الظعن، وحامي طعينة كربلاء،
وحامي طعينة الإمام الحسين ﷺ، بل حامي ظعن الرسالة والنبوة، كما كان أخوه
الإمام أبو عبد الله الحسين ﷺ حامي الشريعة وأحكامها، وحافظ الكتاب
وحدوده، ومن أحكام الشريعة، وحدود الكتاب: حماية الظعن وكفالة الطعينة،
فكان الإمام الحسين ﷺ كباقي الأئمة من أهل البيت ﷺ هو حافظ أساس هذا
الحكم الإسلامي الإنساني، وحامي أصله وفرعه، وقد وكل أبو الفضل العباس ﷺ
لهذه المهمة الإنسانية والإسلامية وهي حماية الظعن، حتى يقوم أبو الفضل
العباس ﷺ بحماية موكب النساء والأطفال ذراري رسول الله ﷺ وحريمه،
الذين اصطحبهم معه في سفره إلى العراق، فقام بها أحسن قيام، وأداها أجمل
أداء، حتى عُرف منها بهذا اللقب الكريم، ووسم بهذا الوسام العظيم: حامي
الطعينة.

إنَّ الغيرة الإسلامية والإنسانية، والكرامة النفسية والاجتماعية، تحثُّ الإنسان إلى حماية نسائه وأطفاله، وتحضُّه على توفير الأمن والأمان لهم، وتدعوه إلى حيانتهم ورعايتهم، وذلك في كلِّ مكان وزمان، في السفر والحضر، وفي الحلِّ والترحال، وفي النزول والركوب، ومن أولى برعاية هذا الخلق النبيل من مؤسِّس الأخلاق ومهذِّبه، ومعلِّم الإنسانية ومزكِّها، ومبلِّغ الإسلام وحاميه، الرِّسول الكريم ﷺ والأئمة من أهل بيته عليه السلام، ولذلك كانوا عليه السلام إذا أرادوا بنسائهم وأطفالهم السفر، أركبهم في هودج مغطاة بأغطية، ومسدلة بستور، حتَّى يأمنوا من نظر الأجانب، ويحفظوا من الحرِّ والبرد، وكذلك فعل الإمام الحسين عليه السلام حين خرج بنسائه وأطفاله من مدينة جدّه رسول الله ﷺ متّجهاً نحو مكة المكرمة ومنها إلى العراق، وأوكل بذلك أخاه الأغر، وعصيده الوفي، أبا الفضل العباس عليه السلام، وكان موكب النساء على أثر ذلك قرير العين، هادئ البال، مطمئن النفس والقلب، إذ على رأسه سيّده الإمام الحسين عليه السلام وفي حمايته أبا الفضل العباس عليه السلام وسائر أبطال بني هاشم.

[مع ربيعة بن مكدم]

وفي البيت الأوّل الذي جعلناه مطلع هذه الخصيصة، يقول ناظمها السيّد جعفر الحلّي وهو يخاطب أبا الفضل العباس عليه السلام: لقد نال أبا الفضل العباس عليه السلام وبكلِّ جدارة لقب حامي الطعينة، وتفوّق في تضحيتِهِ من أجل طعائن الرسالة والإمامة على جميع أقرانه ممّن ضُرب به المثل في هذا المجال: كربيعة بن مكدم الكنانيّ، وكان ربيعة واحداً من بني فراس بن غنم، حيث عرف بحامي الطعن حيّاً وميتاً، وأثنى عليه الشعراء، وتغنّوا بموقفه الشجاع فخرّاً واعتزازاً، وترنّموا بكبير

شهامته، وشدّت غيرته علىّ ظُعمه، في كلّ موطن وموقف، وكان من قصّته علىّ ما
حكى من مجمع الأمثال عن أبي عبيدة: إنّ نبيشة بن حبيب السلمي خرج غازياً،
فلقي ظُعماً من كنانة بالكديد، فأراد أن يحتويها، فمانعه ربيعة بن مكرم في
فوارس، وكان غلاماً له ذؤابة، فشدّ نبيشة قطعنه في عضده، فأتى ربيعة أمّه وقال:

شديّ علىّ العصب أمّ سيّار فقد رزئت فارساً كالدينار
فأجابته أمّه قائلة:

إنّا بني ربيعة بن مالك نزرء في خيارنا كذلك

ما بين مقتول وبين هالك

ثمّ ضمّدت له جراحه وعصبته، فلمّا أراد أن يذهب إلى القوم استسقاها ماءً
فقال له أمّه: إذهب فقاتل القوم، فإنّ الماء لا يفوتك، فرجع وكرّ على القوم
فكشفهم، ورجع إلى الظُعم وقال لهم: إنّني ميّتٌ من هذه الطعنة، ولكن سأحييكنّ
ميّتاً كما حميتكنّ حيّاً، وذلك بأن أقف بفرسي على العقبة وأتكيء على رمحي،
فإذا فاضت نفسي كان الرمح عمادي، فالنجا النجا، فإنّي أردّ بعملّي هذا وجوه
القوم ساعة من النهار، فقطعت الظُعم العقبة، ووقف هو بإزاء القوم على فرسه متّكأً
على رمحه، ونزف منه الدم إلى أن فاضت روحه ومات وهو يتمنى أن يأتي إليه
من يحمله إلى أهله ويجعله بينهم، لكن خاب أمله ومات وهو معتمد على رمحه
كأنه حيّ، والقوم بإزائه يحجمون عن الإقدام عليه، فلمّا طال وقوفه في مكانه
ورأوه لا يزول عنه رموا فرسه، فقمص الفرس وسقط ربيعة لوجهه على الأرض،
فعلموا أنّه ميّت، فتوجّه القوم عندها في طلب الظُعم، فلم يلحقوهنّ، ومن هذه
القصة أشهر: أنّه لم يُعرف قتيل حمى الطعان مثل ربيعة بن مكرم.

[بين ربيعة والعباس عليه السلام]

ولكن أين ربيعة بن مكدم من أبي الفضل العباس عليه السلام ؟ إن ربيعة لو كان حياً لافتخر بغيرة العباس على ظعائنه، ولاندهش من شدة غيـرته، وعظيم حـيـطـته ورعايته لظعائنه، إن ربيعة لما طعن راح يلتجئ إلى أمه كي تضمّد جرحه وتعصّبـه، فتقوم أمه بتشجيعه وبعث الحميّة فيه. بينما العباس عليه السلام لما قطعوا يمينه أخذ يرتجز ويقول ما يبعث الغيرة في نفس كلّ سامع، والحميّة في قلب كلّ إنسان حرّاً، إنّه كان يقول: يمناي لديني ولإمامي -الذين علّماني حماية الطّـعن، والغيرة على الأهل والعيال، وخاصّة على مثل ربيبات الرسالة والإمامة -الفداء والوقاء . نعم، إن ربيعة بن مكدم يطلب الماء من أمه ليروي به عطشه، فتصرفه أمه عن شرب الماء وتوقفه على أنّ حماية الطّـعن أهمّ من انشغالك بشرب الماء وهنّ معرّضات للخطر، بينما أبو الفضل العباس عليه السلام يدخل العلقمي فاتحاً للماء، ويقتحمه مستولياً عليه، ويدني الماء من فمه، ويقربه إلى فيه، بلا أيّ مانع ولا رادع، ودون أيّ انشغال به أو تثبّط له على الأمر الأهمّ، الذي هو حماية ظعائن الرسالة والإمامة، فإنّه عليه السلام مع أنّ الماء في متناوله ورحابه، والشرب جائزاً له ومباحاً عليه، أعرّض عن شرب الماء مواساة لأخيه وسيّده الإمام الحسين عليه السلام و لظعائن النبوة والولاية، وصرف نفسه عن الالتذاذ بشرب الماء مع شدة عطشه، وعظيم ظمئه، ليشغل بالأهمّ من ذلك ألا وهو حماية الطّـعن والسقاية لهـنّ .

إن ربيعة يقف بفرسه على العقبة، ويتكئ على رمحه، حتّى إذا نزف دمه ومات يبقى معتمداً على رمحه، إنّه أراد بذلك ردّ وجوه القوم عن الظعائن ساعة من النهار، ثمّ لما رموا فرسه وقمص الفرس سقط على وجهه إلى الأرض ميّتاً،

فعل ربيعة كل ذلك ولكنه كان يتمنى عند سقوطه أن يأتي إليه من يحمله إلى أهله، ويجعله بين أسرته، وينقذه من غربته ووحده، بينما أبو الفضل العباس عليه السلام لما سقط من على ظهر جواده، وأتاه أخوه الإمام الحسين عليه السلام كالصقر المنقض، وأراد أن يحمله إلى المخيم، يأبى عليه أبو الفضل العباس عليه السلام ذلك، ويُقسمه بحق جده رسول الله ﷺ أن يدعه في مكانه، حتى لا تندesh الطعائن بقتله، ولا تنذر ربيبات الرسالة والإمامة نبأ استشاده، وحتى لا يستسيع العدو لفقده، ولا يتجاسر على اقتحام المخيم بعد موته، ولو ساعة من النهار، أي: بمقدار ما بقي خبر شهادته مخفياً عليهنّ وعليهم.

[الإمام الحسين عليه السلام وحماية الطعائن]

وهكذا، فاق أبو الفضل العباس عليه السلام كل أقرانه في هذه المكرمة النبيلة، وزاد عليهم جميعاً في التضحية من أجلها، والفداء في حمايتها، حيّاً وميتاً، حتى صار هو وحده الجدير بهذا اللقب الكريم: حامي الطعينة.

نعم إن الإمام الحسين عليه السلام هو الإمام المنصوص عليه من عند الله تبارك وتعالى، والإمام المنصوص عليه هو إمام في كل المحاسن والمكارم، ومنها مكرمة حماية الطعن، ولذلك يكون الإمام الحسين عليه السلام هو السباق حتى في هذه المكرمة، ويكفي له دليلاً موقفه عليه السلام بعد سقوطه من على ظهر جواده في يوم عاشوراء، حيث أنه عليه السلام بقي بعدها مدة طريح الأرض، وقد أعياه نزف الدم، والقوم يهابون الدنو منه، والإقتراب إليه، وقد اختلفوا بينهم في حياته وموته، فمن قائل أنه قد مات، ومن قائل: إنه لم يمّت وإنما عمل هذا مكيدة، فقال شمر بن ذي الجوشن: أقصدوا مخيمه، فإن كان حياً لم تدعه غيرته الهاشمية أن يسكت عنكم،

فقصدوا الخيام فتصارخت النسوة وعلا أصواتهنّ، فأراد الإمام الحسين ﷺ النهوض إليهم فلم يستطع، فنادى بهم: ويحكم يا شيعة آل أبي سفيان! إن لم يكن لكم دين، وكنتم لا تخافون المعاد، فكونوا أحراراً في دنياكم، وارجعوا إلى أحسابكم إذ كنتم أعراباً.

فناداه شمر وقال: ما تقول يا ابن فاطمة؟

قال: أقول: أنا الذي أقاتلكم وتقاتلونني، والنساء ليس عليهنّ جناح، فامنعوا عتاتكم عن التعرّض لحرمي ما دمت حيّاً.

فقال شمر: لك هذا، ثمّ صاح بالقوم: إليكم عن حرم الرجل، فاقصدوه في نفسه، فلمعري لهو كفو كريم، فقصدته القوم وعطفوا عليه.

والإلى هذا المعنى أشار الشاعر الحسيني حيث يقول:

قال اقصدوني بنفسي واتركوا حرمي قد حان حيني وقد لاحت لوائحه
فالإمام الحسين ﷺ إذن هو مؤسس هذه المكارم والمضحي من أجلها، وأبو الفضل العباس ﷺ هو خير من اقتدى بأخيه وإمامه، الإمام الحسين ﷺ وفاز السبق في هذه المكرمة، ونال وسام: حامي الظعينة، وحامي الظعن، وحامي ظعينة الإمام الحسين ﷺ بجدارة.

الخصيصة الواحدة والعشرون :

« في أنه ﷺ المعروف بسبع القنطرة »

السَّبعُ : يقال للأسد ولكل حيوان مقدام فتّاك، ويطلق على الرجل الشجاع البالغ في الشجاعة والإقدام.
والقنطرة : يقال للجسر ولكل ما يبنى على الماء من أنهار وجداول للعبور.
وسبع القنطرة : يعني : الرجل الشجاع الذي حمى الجسر من عبور الأعداء عليه، وأثبت من نفسه جدارة الحراسة للجسر، وسجّل عليه مواقف بطوليّة مشرّفة .

[كيف عُرف ﷺ بهذه الخصيصة ؟]

وإنّما عرف أبو الفضل العباس ﷺ بسبع القنطرة، لأنّه - على ما روي - قد أبدى من نفسه في حرب النهروان - والنهروان بلد من بغداد بأربعة فراسخ - جدارة عالية في حراسة القنطرة والجسر، الذي كان قد أوكله أبوه أمير المؤمنين ﷺ مع مجموعة من الفرسان بحفظه يوم النهروان من الخوارج، وسجّل عليه مواقف شجاعة، وبطولات هاشمية ومشرّفة، فإنّه لم يدع بشجاعته ويسالته جيش الخوارج أن يعبروا من عليه، ولا أن يجتازوه إلى حيث يريدون، بل صمد أمامهم بسيفه وصارمه، وصدّهم عمّا كانوا ينوونه بغزمه وبأسه، ولذلك لما دخل وقت

الخصيصة الواحدة والعشرون : في أنه ﷺ المعروف بسِنَع القنطرة ١٥٧

الصلاة وطلب الإمام أمير المؤمنين ﷺ ماءً يتوضأ به، أقبل فارس والإمام ﷺ يتوضأ وقال: يا أمير المؤمنين لقد عبر القوم، ويقصد بهم: الخوارج وإنهم عبروا القنطرة التي أوكل بها الإمام أمير المؤمنين ﷺ ابنه العباس ﷺ مع مجموعة من الفرسان.

فلم يرفع الإمام أمير المؤمنين ﷺ إليه رأسه، ولم يلتفت إليه، وذلك وثوقاً منه بشجاعة ولده المقدام أبي الفضل العباس ﷺ، الذي أوكله بحفظ القنطرة من سيطرة الأعداء، وأمره بحراستها من عبورهم عليها وتجاوزهم عنها.

هذا مضافاً إلى ما أخبره به رسول الله ﷺ عن الله في شأن الخوارج، وما يؤول إليه أمرهم وفتنتهم، وما أطلعهم ﷺ على جزئيات قضيتهم، وكيفية مقاتلتهم له، ومواقع نزولهم وركوبهم، وسوء عواقبهم ومصارعهم.

على أثر ذلك كله أجاب الإمام أمير المؤمنين ﷺ ذلك الفارس بقوله: إنهم ما عبروا، ولا يعبرونه، ولا يفلت منهم إلا دون العشرة، ولا يقتل منكم إلا دون العشرة، ثم قال ﷺ يؤكد ذلك: والله ما كذبت ولا كذبت.

فتعجب الناس من كلام الإمام أمير المؤمنين ﷺ لذلك الفارس، وكان هنالك مع الإمام رجل وهو في شك من أمره، فقال: إن صح ما قال: فلا أحتاج بعده إلى دليل غيره، فبينما هم كذلك إذ أقبل فارس فقال: يا أمير المؤمنين! القوم على ما ذكرت، لم يعبروا القنطرة.

[مع خوارج نهروان]

ثم إن الإمام أمير المؤمنين ﷺ صلى بالناس صلاة الظهر، وأمرهم بالمسير إليهم وهم دون القنطرة، ثم حمل ﷺ عليهم بأصحابه حملة رجل واحد - وذلك

بعد أن أتمَّ ﷺ الحجة عليهم واستتابهم ممَّا جنوه من قتل عبدالله بن خَبَّاب، وبقر بطن زوجته وإخراج طفلها وقتله، فرجع منهم ثمانية آلاف، وبقي أربعة آلاف لم يتوبوا، وقالوا له: لنقتلَكَ كما قتلناه - فحمل ﷺ عليهم، واختلطوا، فلم يكن إلاَّ ساعة حتَّى قُتلوا بأجمعهم، ولم يفلت منهم إلاَّ تسعة أنفس.

فرجلان هربا إلى خراسان وإلى أرض سجستان وبهما نسلهما.

ورجلان صارا إلى بلاد الجزيرة إلى موضع يسمَّى: السن.

ورجلان صارا إلى بلاد عمَّان وفيها نسلهما إلى الآن.

ورجلان صارا إلى بلاد اليمن.

ورجل آخر هرب إلى البرِّ ثمَّ بعد ذلك دخل الكوفة وهو: عبدالرحمن بن ملجم المرادي.

كما أنَّه لم يقتل من أصحاب الإمام أمير المؤمنين ﷺ إلاَّ تسعة.

فكان كما أخبر به أمير المؤمنين ﷺ تماماً، من دون زيادة ولا نقصان.

الخصيصة الثانية والعشرون :

« في أنه عليه السلام المعروف بالضيغم »

حَتَّى إِذَا اشْتَبَكَ النَّزَالُ وَصَرَّحَتْ صِيدَ الرِّجَالُ بِمَا تَجَنَّ وَتَكْتَمُ
وَقَعَ الْعَذَابُ عَلَى جِيوشِ أُمِّيَّةٍ مِنْ بَاسِلٍ هُوَ فِي الْوَقَائِعِ مَعْلَمُ
مَا رَاعَهُمْ إِلَّا تَقَحَّمُ ضَيْغَمُ غَيْرَانِ يَعْجَمُ لَفْظُهُ وَيَدْمَدُمُ
الضيغم هو الأسد، ويقال للرجل الشجاع البالغ في الشهامة والشجاعة،
والبطولة والإقدام، وأبو الفضل العباس عليه السلام عُرف بين الناس بالضيغم لكبير شهامته،
وعظيم شجاعته، وشدة بأسه، وخفة ساعده، فقد كان إذا قابله العدوَّ وواجهه،
ضربه بضربة قاضية تأتي على حياته، ولكن من سرعة الضربة، وخفة الساعد،
وحدة السيف، وقوة القبضة، كان لا يلتفت المضروب إلى ما جرى عليه، فلو
أنه عليه السلام كان قد ضرب رقبتَه، بقي رأسه ثابتاً على جُثَّتِه، فإذا فرَّ لينجو بنفسه،
وتحرَّك، سبقه الرأس متقدِّماً على الجثَّة، وسقط ومات، وقد وصف السيّد جعفر
الحليّ هذا المعنى من شجاعة أبي الفضل العباس عليه السلام في قصيدته حيث يقول:
ما كَرَّ ذُو بَأْسٍ لَهُ مُتَقَدِّمًا إِلَّا وَفَرَ وَرَأْسَهُ الْمُتَقَدِّمُ

[مع أبي أيوب الهمداني]

وجاء في كتاب صفين لنصر بن مزاحم، عن أبي روق الهمداني، عن أبيه،

عن عمّ له يدعى بأبي أيّوب، قال: حمل يومئذ أبو أيّوب على صفوف أهل الشام، ثمّ رجع، فوافق رجلاً صادراً قد حمل على صفوف أهل العراق ثمّ رجع، فاختلفا بضربتين، فنفحه أبو أيّوب فأبان عنقه، فثبت رأسه على جسده كما هو، وكذب الناس أن يكون أبو أيّوب قد ضربه، وأراهم أمره، حتّى إذا دخل في صفوف أهل الشام وقع ميتاً وندر رأسه، فقال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: والله لأنّا من ثبات رأس الرّجل أشدّ تعجباً منّي لضربته وإن كان إليها ينتهي وصف الضارب، وغدا أبو أيّوب إلى القتال، فقال له علي عليه السلام: أنت كما قال القائل:

وعلمنا الضرب آباؤنا وسوف نعلمه أيضاً بنيّنا

[من مواقف العباس عليه السلام في صفين]

ولقد جاء في كتاب الكبريت الأحمر وغيره بأنّ أبا الفضل العباس عليه السلام قد اشترك مع أبيه أمير المؤمنين عليه السلام في حرب صفين، وأبدى من نفسه مواقف بطولية مشرّفة، أثبتت جدارته لمنازلة الأبطال ومقارعة الأقران، ولعلّه منها ومن أمثالها عُرف عند الناس بالضيغم واشتهر لديهم به، ومن تلك المواقف الشجاعة: موقف احتلال الفرات وإزاحة جيش معاوية عن الماء، فإنّ معاوية كان قد سيطر على الفرات ووكل به آلاف المقاتلين ليمنعوه عن معسكر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام حتّى أضّر العطش بجيش الإمام عليه السلام، عند ذلك ألقى الإمام عليه السلام خطبة حماسية على أصحابه حرّضهم فيها على احتلال الفرات، ثمّ انتدب لهذا الأمر سبط رسول الله ﷺ الإمام الحسين عليه السلام فحمل الإمام الحسين عليه السلام مع جماعة من الفرسان وكان يعضده أخوه أبو الفضل العباس عليه السلام حتّى احتلّوا الفرات وأزاحوا جيش معاوية عنه، وارتووا من الماء، ثمّ إنهم لم يقابلوا معاوية بالمثل، وإنّما أباحوا الماء لهم، ولم يمنعوه عنه.

[العباس ﷺ بين الصّفين]

ومن تلك المواقف الشجاعة لأبي الفضل العباس ﷺ في صفين : خروجه مبارزاً بين الصّفين وعلى وجهه نقاب ، فهابه الناس وخافوا منه ، فانتدب له معاوية أبا الشعثاء ، فكبر على أبي الشعثاء ذلك وأنف من الخروج إليه وقال : إنّ أهل الشام يعدّونني بألف فارس ، فلا يليق بي أن أخرج إليه ، ولكن سوف أبعث إليه أحد أولادي وكانوا سبعة ، وكلّما خرج إليه واحد منهم قتله ، حتّى أتى عليهم جميعاً ، فغضب أبو الشعثاء غضباً شديداً ، وامتلاً على هذا الشاب غيضاً وحنقاً ، وقال : لأخرجنّ إليه ولأثكلنّ بقتله والديه ، ثمّ خرج يشتدّ نحوه ، حتّى إذا اقترب منه حمل عليه ، فابتدره أبو الفضل العباس ﷺ بضربة قاضية ، أتت عليه ، وألحقته بأولاده السبعة .

عندها خافه جيش معاوية وهابوه ، ولم يجرأ أحد منهم بعد ذلك على مقارعته وقتاله ، ولا على مبارزته ومنازلته ، ممّا اضطرّ للرجوع إلى وحدته ومقرّه .

هذا من جهة جيش معاوية ، وأمّا من جهة جيش الإمام أمير المؤمنين ﷺ فقد تعجّبوا من شجاعة هذا الشاب وشهامته ، وتلهّفوا إلى معرفته والتطلّع عليه ، ولذلك عند ما رجع هذا الشاب إلى مقرّه ، أقبل إليه الإمام أمير المؤمنين ﷺ وهو يحبّذه ويستحسنه ، ثمّ أزال النقاب عن وجهه ، فإذا هو ولده قمر بني هاشم أبو الفضل العباس ﷺ .

الخصيصة الثالثة والعشرون :

« في أنه ﷺ المعروف بالعبد الصالح »

لعلّ أسمى المنازل، وأرفع المقامات، وأرقى الأوسمة، وأكبر النياشين، لأبي الفضل العباس ﷺ هو وسام ونیشان: «العبد الصالح» الذي وسمه به الإمام الصادق ﷺ وذلك في زيارته المعروفة التي نقلها عنه أبو حمزة الثمالي، والتي جاء فيها: «السلام عليك أيها العبد الصالح، المطيع لله، ولرسوله، ولأئمة المؤمنين، والحسن، والحسين صلّى الله عليهم وسلّم» فإنّ تركيب كلمة: العبد، مع كلمة: الصالح، والتعبير به عن الإمام الصادق ﷺ في حقّ أبي الفضل العباس ﷺ ينبيء عن عظيم إيمان أبي الفضل العباس ﷺ بالله، وشدة عبوديته له، وكبير إخلاصه وتسليمه لأمر الله، وجميل هديه وصلاحه في نفسه، إذ العبودية لله تعالى هي في نفسها منزلة المعصومين من الأنبياء والأوصياء، وما مدح الله أنبياءه إلّا بأنهم عباده، كما لم يعتز الأنبياء والأولياء إلّا بكونهم عباد الله، فإذا قرنت العبودية لله بالصلاح والهدى، ازدادت نضارة وجمالاً، وعلوّاً وارتفاعاً.

[عباد الله الصالحون في القرآن]

قال تعالى في خصوص «عباده الصالحين» مبشراً لهم من بين الناس كلّهم بوراة الأرض، والتمكين منها، وإقامة العدل والقسط فيها: ﴿ولقد كتبنا في الزبور

من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون ﴿ قال الإمام أبو جعفر عليه السلام كما في شرح الآيات الباهرة : هم آل محمد صلوات الله عليهم .

وفي تفسير قوله تعالى : ﴿ إهدنا الصراط المستقيم ﴾ صراط الذين أنعمت عليهم ﴿ قال الإمام العسكري عليه السلام عن آبائه عليهم السلام : أي : إهدنا صراط الذين أنعمت عليهم بالتوفيق لدينك وطاعتك ، وهم الذين قال الله تعالى فيهم : ﴿ ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ﴾ وفي شرح الآيات الباهرة عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : أما النبيون : فأننا ، وأما الصديقون : فأخي علي ، وأما الشهداء : فعمي حمزة ، وأما الصالحون : فابنتي فاطمة وأولادها الحسن والحسين عليهم السلام .

[استنتاج واستنباط]

فعباد الله الصالحون في الآية الأولى - كما عن الإمام أبي جعفر عليه السلام - هم آل محمد صلوات الله عليهم ، وإذا كان كذلك ، فأعطاه الإمام الصادق عليه السلام لعمته أبي الفضل العباس عليه السلام وسام : « العبد الصالح » إدخالاً له عليه السلام في آل محمد صلوات الله عليهم ، كما أن عباد الله الصالحين في الآية الثانية - حسب ما جاء في تفسيرها عن النبي صلى الله عليه وآله - هم : ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة الزهراء عليها السلام وأولادها : الإمامين الهمامين الحسن والحسين عليهما السلام ، ومنح الإمام الصادق عليه السلام عمه أبا الفضل العباس عليه السلام نيشان : « العبد الصالح » ، حشر له عليه السلام في أولاد فاطمة الزهراء عليها السلام .

وليس ذلك بعجيب ، ألم يُزو عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : القريب من قرّبه المودة ؟ ومن أكبر مودة من أبي الفضل العباس عليه السلام لإماميه وسيديه ، سبطي رسول الله صلى الله عليه وآله وريحانتيه : الإمام الحسن والإمام الحسين عليهما السلام ؟

ألم يُنقل عن فاطمة الزهراء عليها السلام أنها كانت تدعو العباس عليه السلام ابناً لها، وتعدّه في زمرة أولادها، وذلك تقديراً لإخلاصه عليه السلام ومودّته، وشكراً له على تضحّيته وحسن بلائه؟

ومما يُذكر شاهداً على ذلك: قصّة ذلك الزائر المعروف بالصلاح والسداد، والخير والتقوى، الذي كان يزور الإمام الحسين عليه السلام في كلّ يوم مرّتين أو ثلاث مرّات، ولا يزور أبا الفضل العباس عليه السلام إلاّ مرّة واحدة في كلّ عشرة أيّام. فإنه - بحسب نقل أحد العلماء الثقات - رأى ذات ليلة في المنام فاطمة الزهراء عليها السلام فتقدّم إليها وسلّم عليها، فأعرضت عنه ولم تعبأ به، فتأثّر من ذلك وأحسّ بالتقصير من نفسه، وأخذ يعتذر منها قائلاً: إنّي أعترف بالتقصير ولكن أريد يا سيّدي أن تعرّفيني بتقصيري حتّى اجتنبه ولا يتكرّر عندي، فقالت عليها السلام: إنّ تقصيرك هو الإقلال من زيارة ولدي، فأجاب وبكلّ انشراح قائلاً: إنّي أزوره يا سيّدي في كلّ يوم أكثر من مرّة، وأحياناً تصل زيارتي إلى ثلاث مرّات، ولست تاركاً لزيارته عليه السلام، فقالت عليها السلام له: صحيح إنك تزور ولدي الإمام الحسين عليه السلام كذلك، ولكنك لا تزور ولدي العباس عليه السلام إلاّ قليلاً.

نعم، كان كلّ ذلك وليس هو ببعيد، فقد تواتر عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال في حقّ سلمان الفارسي: «سلمان منّا أهل البيت» وتواتر عنه صلى الله عليه وآله النهي عن تسمية سلمان باسم: «سلمان الفارسي» وأمر بأن يسمّوه باسم: «سلمان المحمّدي» وإذا كان مثل ذلك في حقّ سلمان تقديراً لمحبتّه وولائه، وشكراً له حسن فعاله وعظيم بلائه، فليس هو عن أبي الفضل العباس عليه السلام بغريب مع عظيم بلاء أبي الفضل العباس عليه السلام يوم عاشوراء، وكبير عنائه في الله تعالى، وجميل تضحّيته من أجل سيّده وإمامه وأخيه الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

[الإمام الكاظم عليه السلام ووسام: «العبد الصالح»]

ومما يدلّ على أنّ وسام: «العبد الصالح» لأبي الفضل العباس عليه السلام ادخال له في آل محمّد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وحشر له في أولاد فاطمة الزهراء عليها السلام، هو: منح الله تعالى الإمام الكاظم موسى بن جعفر عليه السلام - الذي هو من آل محمّد صلوات الله عليهم بنصّ رسول الله ﷺ، وهو أيضاً من أولاد فاطمة الزهراء عليها السلام من حيث النسب - وسام: «العبد الصالح» كما في تلك القصة المعروفة، المنقولة في المناقب عن كتاب الأنوار، وهي: أنّ هارون العبّاسي كان يحاول بشتّى الوسائل والطرق أن ينال من شخصيّة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام وأن يخدش سمعته، فكان يتذرّع بكلّ الحيل والمكائد لإلقاء التهمة على الإمام عليه السلام، ويسعى في الإفتراء عليه، حتّى يتمكّن من قتله والإنتقام منه علانية، وذات مرّة فكّر في حيلة جديدة وهي: أن ينفذ إلى الإمام جارية له كانت ذات جمال ووضاءة بعنوان: أنّها تخدمه في السّجن، ليتسنى له أن يتّهمه عبرها، ويفتري عليه بواسطتها.

فلما أن جاء بها السّجان إلى الإمام عليه السلام رفض قبولها منه وقال له: قل لهارون: ﴿بل أنتم بهديتكم تفرحون﴾ إنّّه لا حاجة لي في هذه ولا في أمثالها. فلما رجع السّجان إلى هارون وأخبره بالخبر استطار هارون غضباً وغيضاً وقال: ارجع إليه وقل له: ليس برضاك حبسناك، ولا برضاك أخذناك، ثمّ اترك الجارية عنده وانصرف.

فعل السّجان كلّ ما أمره به هارون وترك الجارية في السّجن عند الإمام عليه السلام ورجع.

عندها قام هارون من مجلسه، وأنفذ الخادم إليه، ليتجسس عن حالها، ويستعلم أخبارها، ولكن ما راع الخادم إلا أن رأى الجارية قد وقعت على الأرض ساجدة لرّبّها، لا ترفع رأسها من سجدتها، وهي في سجودها تكرر تقدّيس ربّها وتنزيهه وتقول: قدّوس قدّوس، سبحانك سبحانك، فهرع الخادم إلى هارون ورفع إليه خبرها.

وهنا حيث رأى هارون عكس ما كان يتوقّعه من مكيدته هذه، فإنّه كان يحاول بها النيل من الإمام عليه السلام والتذرّع عبرها لإلصاق التهمة به والانتقام منه وقتله عليه السلام، بينما قد انقلبت مكيدته إلى منقبة للإمام عليه السلام ورفعته لشخصيته ومقامه، ولذا تشبّت بكيال التهمة المتعارفة لدى فراغة كلّ زمان، وهو القذف بالسحر، فالتفت إلى من كان عنده وقال: سحرها والله موسى بن جعفر بسحره.

[تحوّل وانقلاب]

ثمّ قال هارون: علّيّ بانجارية، فأُتي بها وهي ترعد شاخصة ببصرها نحو السماء، فانتهرها هارون قائلاً: ما شأنك؟

قالت: شأني الشأن البديع، إنّي كنت واقفة عند «العبد الصالح» وهو قائم يصليّ ليله ونهاره، فلمّا انصرف عن صلاته التفتُ إليه وهو يسبح الله ويقدّسه وقلت: يا سيّدي هل لك حاجة أعطيّكها؟

فقال لي متسائلاً: وما حاجتي إليك؟
قلت: إنّي أدخلت عليك لحوائجك.

فقال وقد أشار بيده إلى جانب من السجن: فما بال هؤلاء؟

قالت: التفتُ إلى جانب الإشارة ونظرت فإذا روضة مزهرة غناء، لا أبلغ

آخرها من أولها بنظري، ولا أولها من آخرها، فيها مجالس مفروشة بالوشي والديباج، وعليها صفاء ووصايف، لم أر مثل وجوههم حسناً، ولا مثل لباسهم لباساً، عليهم الحرير الأخضر والأكاليل، والدرّ والياقوت، وفي أيديهم الأباريق والمناديل، ومن كلّ الطعام، فخررت ساجدة لله تعالى، خاشعة لعظمته مسلّمة لأمره، معترفة بما أنعم به عليّ أوليائه، وما أتحفهم به من عظيم كرامته، وكنت في حالتي هذه حتّى أقامني هذا الخادم، فرأيت نفسي حيث كنت.

فغضب هارون عندما سمع ذلك منها وازداد عليها غيظاً وحنقاً، ثمّ أخذ يحاول التمويه لما قالته، والتشويه للحقائق الذي أبدته، والتغطية على السامعين، لذلك قال لها وبكلّ غلظة: يا خبيثة لعلّك سجدتِ، فتمتِ فرأيتِ ما قصصته علينا في منامك، وما ذلك إلّا أضغاث أحلام، فقالت وهي منبهرة بما رأته من الواقع، ومتأثّرة به: لا والله ما رأيت كل ذلك إلّا قبل سجودي، وإنّما سجدت لِمَا رأيت ما رأيت.

عندها اغتاظ هارون من كلامها بشدّة، وقال: أقبض إليك هذه الخبيثة، واحبسها حتّى لا يسمع أحد منها هذا الكلام.

قال الخادم: فأخذتُ الجارية وحبتها، فأقبلت الجارية في الصلاة، وكانت إذا سئلت عن قصّتها وقيل لها في ذلك أجابت قائلة: هكذا رأيت «العبد الصالح» ﷺ.

قال: فسئلتها عن قولها: «العبد الصالح».

فقالت: إنّي لَمّا عاينت من الأمر ما عاينت، ورأيت ما رأيت، نادتنى الجوّاري يا فلانة: أبعدي عن «العبد الصالح» حتّى ندخل عليه، فنحن له دونك. ثمّ قال: فما زالت كذلك حتّى ماتت قبل الإمام موسى بن جعفر ﷺ بأيّام يسيرة.

ولا يبعد أنّ هارون أمر بدسّ السمّ إليها كما أمر بدسّ السمّ إلى الإمام الكاظم موسى بن جعفر ﷺ.

[السلام على العباس عليه السلام في الصلاة]

إذن: فكما أنّ الإمام موسى بن جعفر عليه السلام الذي هو من أولاد فاطمة الزهراء عليها السلام وهو من آل محمد صلوات الله عليهم، يدعى عند الله باسم: «العبد الصالح» كذلك يكون أبو الفضل العباس عليه السلام عندما دعاه الإمام الصادق عليه السلام باسم: «العبد الصالح»، وإذا كان كذلك شمل أبا الفضل العباس عليه السلام التحية والسلام المخصوص في تسليم الصلاة، حيث نقول في التسليم الثاني: أي بعد التسليم على رسول الله ﷺ بقولنا: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، نقول بعدها: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، فقولنا هذا في تسليم الصلاة يشمل - وبكل كفاءة - أبا الفضل العباس عليه السلام أيضاً، فكلّ مصلٍّ مسلم هو في الواقع يدعو لأبي الفضل العباس عليه السلام ويسلم عليه في صلاته، وذلك في كلّ يوم خمس مرّات على الأقلّ، وهذا حظّ عظيم لا يناله إلّا من هو أهل له كأبي الفضل العباس عليه السلام.

الخصيصة الرابعة والعشرون :

« في أنه عليه السلام المعروف بالعباد »

قال الله تعالى: ﴿ سَيَمَاهُمْ فِي وجوههم من أثر السجود ﴾ .

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «أفضل طبائع العقل العبادة» .

وروى الصدوق في ثواب الأعمال في حق أبي الفضل العباس عليه السلام: بأنه كان يُبَصِّر بين عينيه أثر السجود، وروى أيضاً خبر ورود الرأس ورأس أبي الفضل العباس عليه السلام إلى الكوفة مسنداً عن القاسم بن الأصمغ بن نباتة - صاحب أمير المؤمنين عليه السلام وحواريه - أنه قال: قدم علينا رجل من بني دارم ممن شهد قتل الإمام الحسين عليه السلام وحضر وقعة كربلاء، وهو مسود الوجه، وكان قبل ذلك رجلاً جميلاً شديد البياض، فقلت له: ما كدت أعرفك لتغيّر لونك، فما هو السبب في ذلك؟ فقال: بتلكم وانفعال: لقد قتلت في كربلاء رجلاً من أصحاب الإمام الحسين أبيض بين عينيه أثر السجود، وجئت برأسه إلى ابن زياد في الكوفة، وهو يعني من الذي قتله: أبا الفضل العباس عليه السلام الذي كان بين عينيه من كثرة العبادة لله تعالى آثار العبادة والسجود. قال القاسم: لقد رأيته على فرس له وقد علّق الرأس بلبانها وهو يصيب ركبته، فقلت عندها لأبي: لو أنه رفع الرأس قليلاً حتّى لا تصيبه الفرس بيديها، فقال لي أبي: يا بني ما أصيب به هو أشدّ لقد حدّثني قائلاً: أنه ما نام ليلة منذ أن قتل العباس بن علي عليه السلام إلّا وأتاه في منامه وأخذ بضبعه وقاده منطلقاً به إلى

جهنم وقذف به فيها، حتّى يصبح. قال القاسم: فسمعت امرأة بذلك الذي قاله لي أبي، وكانت جارة لذلك الرجل، فقالت مؤيدة قول أبي: إن الرجل ما يدعنا ننام شيئاً من الليل من صياحه وصراخه، قال القاسم: فقامت في مجموعة من شباب الحي وأتينا امرأة ذلك الرجل وسألناها عن أمر زوجها، فقالت: إنه قد فضح نفسه، وأبدى سرّه، وقد صدّقكم.

[سمة العابد: الحرية والتحرّر]

سمة العبيد من الخضوع عليهم لله إن ضمّتهم الأسحارُ
فإذا ترجّلت الضحى شهدت لهم بيض الصوارم أنّهم أحرارُ
هذان البيتان من قصيدة للسيد حيدر الحلّي يصف فيها الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه، وفي طليعة أصحابه هو أخوه أبو الفضل العباس عليه السلام كما هو واضح. ونظم الدمستاني قصيدة أيضاً في وصف الإمام الحسين عليه السلام والشهداء معه وفي مقدّمة الشهداء أبي الفضل العباس عليه السلام وقد جاء فيها:

ألا ترى أولياء الله كيف قلّت	طيب الكرى في الدياجي منهم المقلّ
يدعون ربّهم في فكّ عنقهموا	من رِقّ ذنبهموا والدمع ينهمل
نُخِفَ الجسوم لا يدرى إذا ركموا	قسى نبل هموا أم رُكّع نبل
خمس البطون طوى، ذبل الشفاه ظمى	عَمَشَ العيون بكأ ما عبها كحل
يقال مرضى وما بالقوم من مرض	أو خولطوا خبلاً حاشاهموا الخبل
تعادل الخوف فيهم والرجاء فلم	يفرط بهم طمع يوماً ولا وجل
إن ينطقوا ذكروا، أو يسكتوا شكروا	أو يغضبوا غفروا، أو يقطعوا وصلوا

[توضيح وتبيين]

نعم، لقد أجاد السيّد حيدر الحلّي في بيتيه وأبدع، وكذلك أبدع الدمستاني وأجاد، غير أنّ وصف الإمام الحسين ﷺ وأخيه أبي الفضل العباس ﷺ وسائر أصحابه في قصيدة الدمستاني اقتباس من خطبة المتقين الّتي خطبها أمير المؤمنين ﷺ في التعريف بالمتقين، بينما وصف الإمام الحسين ﷺ وأخيه أبي الفضل العباس ﷺ وسائر الشهداء في البيتين من قصيدة السيّد حيدر الحلّي تصوير لمعنى جميل، ورد به الكتاب والنص الشريف، وهو: أنّ العبوديّة لله تعالى تساوي الحرّيّة من كلّ ما هو سوى الله تعالى، فالعابد هو حرّ بمعنى الكلمة، لأنّه بعبادته لله تعالى يستلهم الكرامة والإباء، ويستوحي الحرّيّة وعزّة النفس، والإنسان الحرّ لا يخضع لشيء من التهديد والتطميع، ولا يركع أمام الهوى والمغريات، ولا يكسره ما يحدق به من البلايا والرزايا، وما يحيط به من المصائب والشدائد، وأبو الفضل العباس ﷺ حيث أنّه كان هو العابد النّاصح، والناسك المخلص، فإنّه كان كذلك أيضاً، إذ هو إلى جنب عبوديّته لله تعالى، وظهور آثار السجود على جبهته، وسماء الصالحين في وجهه، كان فوق التطميع والتهديد، وأرفع من الإغراء والتسويل، وموقفه المشرف في كربلاء تجاه الإغراء من عرض الأمان والوعد بالجاه والمقام، هو خير دليل على ذلك.

[بين الرهبانيّة والماديّة]

ثمّ لا يخفى: أنّه ليس في الإسلام رهبانيّة صرفة كما ابتدعتها النصارى، ولا ماديّة صرفة كما اخترعها اليهود، وإنّما الإسلام دين المعنويات والماديات معاً،

ودين الروح والجسم مجتمعين، ودين الدنيا والآخرة مقترنين، والنبي الأكرم ﷺ وأهل بيته الأطهار قد جمعوها معاً، فكانوا في وقت واحد رهباناً وساسة، وعباداً وقادة، وزهاداً وسادة، وكان أبو الفضل العباس عليه السلام خير من اقتدى بهم صلوات الله عليهم في هذه الصفة، وانتهج نهجهم في هذه الخصلة، فكان راهباً بالليل، يبيت لله تعالى قائماً وراكعاً وساجداً، ويقضي ليله في عبادة ربه، حتى بان على جبهته من شدة عبادته لله تعالى، وكثرة سجوده لربه، آثار العبادة، وصار مصداقاً لقوله تعالى: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾، وفي نفس الوقت كان أسداً في النهار، وقائداً في جيش أخيه الإمام الحسين عليه السلام، وحاملاً للوائه العظيم منذ بداية نهضته عليه السلام وحتى استشهاده هو في يوم عاشوراء وعلى أرض كربلاء، فأبو الفضل العباس عليه السلام هو العابد المتجهّد بالليل، والأسد الباسل، والمحكّك العاقل، في النهار.

هذا وقد قال الشيخ المفيد في إرشاده في أخبار ليلة العاشر من المحرم: إن الإمام الحسين عليه السلام قام ليله كله، يصلي، ويستغفر، ويدعو، ويتضرّع، وقام أصحابه كذلك، يصلّون، ويدعون، ويستغفرون، ومن المعلوم أن أبا الفضل العباس عليه السلام كان في طليعة أصحاب الإمام الحسين عليه السلام في كلّ خير ومكرمة، فإنّ أبا الفضل العباس عليه السلام في ليلة عاشوراء مضافاً إلى قيامه بحراسة المخيم، كان في طليعة المتعبدين لله تعالى والراكعين والساجدين له من بين أصحاب الإمام الحسين عليه السلام.

وقال السيّد بن طاووس في كتابه المعروف: (اللهوف) مثل ما قاله الشيخ المفيد في كتابه المزبور: الإرشاد، أنّه قال: وبات الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه تلك الليلة ولهم دويّ كدويّ النحل، بين راکع وساجد، وقائم وقاعد، فعبر إليهم والتحق بهم في تلك الليلة من معسكر ابن سعد اثنان وثلاثون رجلاً على أثر ذلك،

وجاهدوا يوم عاشوراء بين يدي الإمام الحسين ﷺ حتى استشهدوا، ومن الواضح: أن أبا الفضل العباس ﷺ هو في مقدّمة الأصحاب في السّبق إلى الفضائل والمكارم، وفي مقدّمة من كان مع الإمام الحسين ﷺ من أهل بيته أيضاً.

[العابد هو : المطيع]

ولقد ذكرنا فيما سبق: أنّه جاء في زيارة أبي الفضل العباس ﷺ المروية عن الإمام الصادق ﷺ بسند معتبر ما يثبت لأبي الفضل العباس ﷺ هذا الوسام المنيف، ويحرز له هذا النيشان الشريف، وذلك حيث يقول ﷺ: «السلام عليك أيّها العبد الصّالح» فإنّ الإمام الصادق ﷺ الذي بيده موازين السماء، ولا يمنح أحداً ما لا يستحقّ، قد منح عمّه العباس ﷺ وسام العبوديّة لله تعالى مقروناً بوصف الصدق والصّلاح، وليس وساماً مجرداً عن هذه الصّفة، فإنّ العبوديّة المحبوبة عند الله تعالى، والممدوحة عند رسوله وأوصيائه، هي العبوديّة المقرونة بالصدق والصّلاح، ثمّ يفسّر الإمام الصادق ﷺ معنى العبوديّة المقرونة بالصّلاح التي أثبتها لعمّه أبي الفضل العباس ﷺ بقوله: «المطيع لله ولرسوله، ولأمير المؤمنين، والحسن، والحسين، صلّى الله عليهم وسلّم» فإنّ العبادة الخالصة، والعبوديّة الصادقة، هي: الإطاعة لله تعالى، ولرسوله ﷺ، ولأئمّة الطاهرين من أهل بيت الرسول ﷺ وقد كان أبوانفضل العباس ﷺ المثل الأعلى، والنموذج الأفضل، في مضمار العبادة، ومعنى الطاعة، فهو إذن بحقّ وجدارة: العابد والمطيع.

[الوحي ووسام : العبودية]

العبودية لله تعالى، حيث تربط العبد بخالقه وتقطعه عمّن سواه، وتقطعه عن

العبودية لغير الله من الهوى والشهوات، والطواغيت والشياطين، هي أكبر الأوسمة، وأعلى النياشين، التي يمكن لإنسان أن ينالها منحة من السماء، وهدية من خالق الإنسان، ولذلك نرى أن الله سبحانه وتعالى منح هذا الوسام، وأهدى هذا النيشان، إلى الصفوة من خلقه، والخيرة من بريته، ألا وهم الأنبياء عليهم السلام، وعلى رأسهم الرسول الخاتم ﷺ الذي خلق الله الكون لأجله، وبرء الخلق في محبته ومحبة أهل بيته عليهم السلام فقال في محكم كتابه الكريم، ومبرم خطابه العظيم، واصفاً معراج رسوله الحبيب المصطفى ﷺ : ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا﴾ .

وقال تعالى واصفاً عبادة نبيه الكريم واجتماع الجن للإسلام على يديه : ﴿وإنه لما قام عبدالله يدعو كادوا عليه لبدا﴾ كما وأمرنا أن نقول في تشهد الصلاة : «وأشهد أن محمداً عبده ورسوله» مقدّمين العبودية على الرسالة.

وقال تعالى في حق سائر أنبيائه : ﴿كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازجر﴾ .

وقال عزّ من قائل : ﴿واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار﴾ .

وقال سبحانه : ﴿واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب﴾ .

وقال تعالى : ﴿ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب﴾ .

وقال سبحانه : ﴿واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أني مسني الشيطان بنضيب وعذاب﴾ .

وقال تعالى عن لسان عيسى بن مريم عليه السلام : ﴿قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً﴾ وغير ذلك ممّا يدلّ على أن وسام العبودية خاص بالانبياء والاولياء، ومن حذا حذوهم كأبي الفضل العباس عليه السلام .

الخصيصة الخامسة والعشرون :

« في أنه عليه السلام المعروف بالطيار »

الطيار: صيغة مبالغة من: طار يطير طيراناً، ويصطلح اليوم على قائد الطائرة ومديرها، فيقال لقائد الطائرة والمحترف لسياقتها في هذا الزمان: الطيار، ولكن رسول الله ﷺ أطلق اسم: الطيار، على ابن عمه جعفر بن أبيطالب عليه السلام كما أن ابنه الإمام زين العابدين عليه السلام أطلق اسم: الطيار، على عمه أبي الفضل العباس عليه السلام، فعرف على أثرهما كل من جعفر بن أبيطالب عليه السلام وأبي الفضل العباس عليه السلام بالطيار، وذلك لشبه كبير بينهما في التضحية وكيفية الشهادة في سبيل الله، بحيث استحقا بسببه النيل على وسام: الطيار.

[الطيار الأول]

أما جعفر بن أبيطالب عليه السلام فهو ابن عم رسول الله ﷺ وأخو الإمام أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام، ورأس المهاجرين إلى الحبشة الذين استطاعوا من إدخال الإسلام إليها وجذب النجاشي إلى الإسلام، وقصته في التاريخ مندرجة وواضحة، وهو الذي لما قدم من الحبشة كان قد تم فتح خيبر على يدي أخيه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فالتزمه رسول الله ﷺ وجعل يقبل بين عينيه ويقول: ما أدري بأيهما أشد فرحاً؟ بقدم جعفر أم بفتح خيبر؟ وهو الذي

بعثه رسول الله ﷺ إلى مؤتة لحرب هرقل ملك الرم، ودفع الراية إليه واستعمل على الجيش معه: زيد بن حارثة، وعبدالله بن رواحة، وقال: إن قُتل جعفر فزيد بن حارثة على الناس، وإن قُتل زيد فعبدالله بن رواحة، وإن أصيب ابن رواحة فليرتض المسلمون أحدهم.

قال رجل من اليهود: إن كان محمدٌ نبياً كما يقول سيقتل هؤلاء الثلاثة، لأنه ما بعث نبي سرية وقال: إن قتل فلان فبعده فلان، إلا وقُتل، وكان كذلك فقد قُتل هؤلاء الثلاثة ونالوا درجة الشهادة جميعاً.

[من أنباء مؤتة]

قال جابر: فلما كان اليوم الذي وقع فيه القتال، صلى النبي ﷺ بنا الفجر، ثم صعد المنبر فقال - وهو يرى بأمر الله ساحة الحرب -: قد التقى إخوانكم مع المشركين، فأقبل يحدثنا بكرات بعضهم على بعض إلى أن قال: ... قد أخذ الراية جعفر بن أبيطالب عليه السلام، وتقدم للحرب بها، ثم بكى ﷺ وقال: قُطعت يده، وقد أخذ الراية بيده الأخرى، ثم قال: قُطعت يده الأخرى، وقد ضمّ اللواء إلى صدره، إلى أن أخبر بشهادته، فبكى ﷺ عندها وبكى جميع من حضر من المسلمين، ولم يكن علي عليه السلام حاضراً، فعند ذلك دخل علي عليه السلام في المسجد، فلما بصر به النبي ﷺ قال: إن علياً لا يطيق أن يسمع خبر أخيه، فانصتوا واسكتوا، فسكتوا، فلما دخل علي عليه السلام ونظر في وجوه الناس قال متسائلاً: يا رسول الله! هل لك علم بأخي جعفر؟ فبكى رسول الله ﷺ وقال: آجرك الله يا أبا الحسن في جعفر، لقد قُتل، فبكى أمير المؤمنين عليه السلام وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، الآن انقصر ظهري.

[في دار جعفر]

ثم نزل النبي ﷺ عن المنبر وصار إلى دار جعفر، فدعى بعبد الله بن جعفر وأجلسه في حجره وجعل يمسح على رأسه، فقالت أمه أسماء بنت عميس: يا رسول الله! إنك لتمسح على رأسه كأنه يتيم؟ فقال ﷺ وقد دمعت عيناه: لقد استشهد جعفر، وقد قطعت يده قبل أن يقتل، فبكت أسماء، فقال ﷺ لها: لا تبكي، فإن جبرئيل أخبرني أن الله تعالى قد أبدله من يديه جناحين من زمرد أخضر، فهو يطير بهما في الجنة مع الملائكة كيف يشاء. فهدأت أسماء لما سمعت ذلك وسكنت، ثم قالت: يا رسول الله! لو أعلمت الناس بذلك، فعجب رسول الله ﷺ من عقلها، فقام ورقى المنبر والحزن يُعرف عليه وقال: إن المرء كثير بأخيه وابن عمه، إلا أن جعفرًا قد استشهد، وجعل له جناحان يطير بهما في الجنة. ثم نزل ﷺ ودخل بيته، وقال لفاطمة ؓ: - بعد أن أمرها أن تتخذ طعاماً لأسماء بنت عميس ثلاثة أيام -: يا فاطمة! اذهبي فابكِ على ابن عمك، فإن لم تدعي بشك فما قلت فقد صدقت. فاجتمعت النسوة يساعدن أسماء بالبكاء على جعفر، وفاطمة ؓ تقول: وا عمّاه. فقال ﷺ: على مثل جعفر فلتبك الباكية، وكان ﷺ بعد ذلك إذا دخل بيته كثر بكأؤه على جعفر حتى تقطر لحيته وهو يقول: اللهم إن جعفرًا قد قدم إليك إلى أحسن الثواب، فاخلفه في ذريته بأحسن ما خلقت أحداً من عبادك في ذريته.

وجعفر الطيار هذا قد أثنى عليه بعد الله تعالى ورسوله ﷺ، أمير المؤمنين ؓ وسائر الأئمة الطاهرين ؓ ففي نهج البلاغة وفي كتاب للإمام أمير المؤمنين ؓ إلى معاوية جاء فيه: «إن قوماً قطعت أيديهم في سبيل الله، ولكل

فضل، حتّى إذا فعل بواحدنا ما فعل بواحدهم، قيل له: الطيّار في الجنة، وذو الجناحين».

[الطيّار الثاني]

وأما العباس ابن أمير المؤمنين عليه السلام فهو أخو الإمام الحسين عليه السلام وابن والده، وكافل أهل بيته، وحامل لوائه، وقائد جيشه، وكبش كتيبته، وحامي طعنه، وساقى عطاشاً حرمة، وأنفس ذخائره، الأخ الناصح، والشفيق المدافع، والمحامي الناصر، والوفي المناجز، أبو الفضل العباس عليه السلام، الذي لم يستطع صبراً على البقاء بعد أن رأى أخاه الإمام الحسين عليه السلام وحيداً فريداً، قد قتل جميع أصحابه وأهل بيته، فأقبل أولاً نحو القوم فوعظهم وأرشدهم، فلما لم ير أثراً فيهم أقبل نحو أخيه الإمام الحسين عليه السلام بتواضع وتأدّب، وطلب منه الرخصة للقتال قائلاً: هل من رخصة؟ فلم يأذن له الإمام الحسين عليه السلام وقال له وهو يبكي بكاءً شديداً: يا أخي! أنت صاحب لوائي، والعلامة من عسكري. فقال العباس عليه السلام بالتماس وانكسار: قد ضاق صدري من هؤلاء المنافقين، وأريد أن آخذ ثاري منهم، فأمره الإمام الحسين عليه السلام أن يطلب الماء للأطفال، فركب العباس عليه السلام جواده وأخذ القربة واتّجه نحو المشرعة، فأحاط به أربعة آلاف، ورموه بالنبال، فلم يعبأ بهم ابن أمير المؤمنين أبو الفضل العباس عليه السلام بل حمل عليهم وكشفهم عن المشرعة وحده، ونزل إلى الفرات وملك الماء، ولواء الحمد يرفّ منشوراً بيده، ويلوح خفاً على رأسه، وروى بعض: بأنّ الموكّلين بالشرعية واصلوا حملاتهم على أبي الفضل العباس عليه السلام ست مرّات، وكان في كلّ مرّة يحمل عليهم فيكشفهم، حتّى أبعدهم في المرّة الأخيرة عن المشرعة كثيراً ودخل الماء.

[الفرات في تصرف العباس عليه السلام]

استولى أبو الفضل العباس عليه السلام استيلاءً كاملاً على الماء، ولم يجراً أحد من أولئك الموكّلين بالماء بعد انكشافهم على أن يذوده عنه، أو يصدّه عن الشرب، أو عن أن يملأ القربة ماءً، ولذلك أقبل أبو الفضل العباس عليه السلام وبكلّ تؤدة واطمئنان، ودون ما أيّ خوف واضطراب، على اغتراف غرفة من الماء، ليروي بها عطشه، ويطفىء عبرها حرّ كبده، لكنّه لما قرّب الماء من فمه تذكّر عطش أخيه الإمام الحسين عليه السلام، كما وتذكّر وصيّة أبيه أمير المؤمنين وقوله له: بُنيّ عباس! إذا كان يوم عاشوراء ودخلت المشرعة، فإياك أن تشرب الماء، وأخوك الإمام الحسين عليه السلام عطشان، لذا صبّ الماء على الماء وهو يقول: والله لا أذوق الماء وسيدي الإمام الحسين عليه السلام عطشاناً، ثمّ خاطب نفسه:

يا نفس من بعد الحسين هوني	وبعده لا كنت أن تكوني
هذا الحسين وارد المنون	وتشربين بارد المعين
تالله ما هذا فعال ديني	ولا فعال صادق اليقين

ثمّ ملأ القربة ماءً وركب جواده وتوجّه نحو المخيم، فقطعوا عليه الطريق، فوقع فيهم يحصد رؤسهم، ويختطف أرواحهم، حتّى كشفهم عن الطّريق وهو يقول:

لا أهرب الموت إذا الموت زقا	حتّى أوارى في المصاليب لقى
نفسي لسبط المصطفى الطهر وقا	إنّي أنا المباس أغدوا بالسقا

ولا أخاف الشرّ يوم الملتقى

[من أساليب العدو الجبان]

عرف العدو عجزه وعدم قدرته على مقابلة العباس بن علي عليه السلام وجهاً لوجه، وخاف من جهة ثانية وصول الماء إلى مخيم الإمام الحسين عليه السلام، فأخذ يفكر في صدّه بالوسائل الجبّانة، ويتذرّع للتخلّص منه بما يتذرّع به الجبناء اللثام، ففكر في نصب الكمين له، والإرصاد لقتله غدراً وغيلة، وانتخب لتنفيذ هذه الخطّة الجبّانة أشدّ الأعداء قساوة، وأكثرهم شراسة وضراوة، ألا وهو: زيد بن الرقاد الجهني، فكنن له زيد من وراء نخلة وعاونه الحكيم بن الطفيل السنبسي، فضربه على يمينه فقطعها، فأخذ السيف بشماله وجعل يضرب فيهم ويقول:

والله إن قـطـعـتـمـوا يـمـيـنـي إنـي أـحـامـي أبـداً عـن دـيـنـي

وعن إمام صادق اليقين نجل النبي الطاهر الأمين

ثم كمن له الحكيم بن الطفيل من وراء نخلة فضربه على شماله فبرأها، فضمّ اللواء إلى صدره وهو يقول:

يا نفس لا تخشي من الكفار وأبشري برحمة الجبار

مع النبي السيّد المختار قد قطعوا ببقيهم يساري

فأصلهم يا رب حرّ النار

[الأعداء يمثلون بالعباس عليه السلام]

عند ذلك أمن الأعداء سطوة أبي الفضل العباس عليه السلام وبأسه، ولم يرهبوا بعده من سيفه ورمحه، ولا من ضربه وطعنه.

«وهل يملك الموتور قائم سيفه ليدفع عنه الضيم وهو بلا كف»

فتكاثروا عليه من كلّ جانب، ينتقمون منه، ويُمثّلون به، وأتته السهام كالطر، فأصاب القرية سهم وأريق ماؤها، وجاء سهم فأصاب صدره، وسهم آخر فأصاب عينه، وحمل عليه رجل فقطع رجله اليمنى، ثمّ حمل عليه آخر فقطع رجله اليسرى، ثمّ حمل عليه ثالث وضربه بعمد من حديد على رأسه ففلق هامته، وهوى ﷺ عندها من على ظهر جواده إلى الأرض، وهو ينادي: يا أخاه أدرك أخاك، فأتاه الإمام الحسين ﷺ، فلما رآه بتلك الحالة انحنى عليه وبكى بكاءً عالياً وقال: وا أخاه! وا عباساه! الآن انكسر ظهري، وقلّت حيلتي، وشمّت بي عدوّي، ثمّ أنشأ يقول:

تعدّيتمّ يا شرّ قوم ببغيكم	وخالفتمّ دين النبيّ محمّد
أما كان خيرُ الرسل أوصاكم بنا	أما نحن من نجل النبيّ المسدّد
أما كانت الزهراء أمّي دونكم	أما كان من خير البرية أحمد
لعنتم وأخزيتم بما قد جنيتم	فسوف تلاقوا خزّ نار توقّد

وفي رواية: إنّ الإمام الحسين ﷺ لما جاء إلى مصرع أخيه أبي الفضل العباس ﷺ ورآه بتلك الحالة جلس عنده، وأخذ رأسه ووضعها في حجره، وأخرج السهم من عينه، ثمّ مسح الدم والتراب عن عينيه، وكان ﷺ به رمق، ففتح عينيه في وجه أخيه الإمام الحسين ﷺ وبكى، فقال له الإمام الحسين ﷺ بلوعة ورحمة: ما يُبيّك يا أخي يا أبا الفضل؟ فقال ﷺ بصوت منقطع ضعيف: وكيف لا أبكي، وقد جئتني ورفعت رأسي عن التراب وجعلته في حجرك، ولكن بعد ساعة من يأتي إليك ليرفع رأسك عن التراب ويضعه في حجره، ويمسح الدم والتراب عن وجهك؟ وبينما هو يكلمه وإذا به شفق شهقة وفارقت الدنيا روحه الطيبة، عندها بكى الإمام الحسين ﷺ ونادى: وا أخاه! وا عباساه!

[العباس عليه السلام وإصابة السهم عينه]

نقل عن المرحوم آية الله السيّد محمد إبراهيم القزويني أنّه كان يؤمّ الناس بصلاة الجماعة في صحن الروضة المقدسة لأبي الفضل العباس عليه السلام وكان يرقى المنبر بعد انقضاء صلاة الجماعة، الخطيب الشهير، والواعظ المعروف آنذاك، سماحة الشيخ محمد علي الخراساني، وفي ليلة من الليالي تعرض سماحة الشيخ الخراساني في منبره لطريقة استشهاد أبي الفضل العباس عليه السلام وذكر بالخصوص منها إصابة السهم عينه الكريمة، فبكى المرحوم آية الله السيّد القزويني على أثر حكاية سماحة الشيخ الخراساني هذا المصاب، بكاءً شديداً، وتأثر من ذلك تأثراً كبيراً، فلما نزل سماحة الشيخ الخراساني من المنبر قال له آية الله السيّد القزويني: شيخنا! أرجوا من سماحتكم أن لا تذكروا في منبركم مثل هذه المصائب العظيمة، والرزايا المفجعة والمشجية، التي يظنّ أنّه لا سند قويّ لها، ولا أصل ثابت يمدّها ظاهراً.

ولكن المرحوم آية الله السيّد القزويني نفسه، التقى سماحة الشيخ الخراساني في اليوم الثاني، وأخذ يعتذر من سماحة الشيخ، ويطلب عفوه من اعتراضه عليه يوم أمس، فلما سأله سماحة الشيخ الخراساني عن سبب الاعتذار، أجاب قائلاً: لقد رأيت البارحة في منامي أبا الفضل العباس عليه السلام، فتشرّفت بخدمته، وفزت بلقائه، وسعدت بتنبيهه عليه السلام إيّاي، فإنّه عليه السلام التفت إليّ مشيراً إلى ما جرى بيني وبينك بالأمس وقال مخاطباً إيّاي: أيّها السيّد كيف اعترضت على الشيخ الخراساني فيما ذكره من المصاب مع أنّك لم تكن حاضراً واقعة كربلاء، ولم تكن شاهداً ما جرى عليّ يوم عاشوراء؟ أعلم أيّها السيّد! إنهم لمّا قطعوا يديّ

غدرًا وغيلة، وظلمًا وعدوانًا، رشقوني بالسهم كرشق المطر، ورموني بالنبال رمي النار الشرر، فأصاب عيني سهم منها، ونبت في حدقتها، فحاولت اخراجه وإزاحته عن عيني، وحيث أنه لا يدلي حرّكت رأسي بشدّة، ليقع السهم منها، ولكن كلّما حرّكت رأسي لم يخرج السهم، وإنما وقعت العمامة من رأسي، عندها رفعت ركبتيّ وقربت رأسي حتّى أخرج السهم بركبتيّ، فإذا بي أفاعاً بضربة عمدو من حديد على رأسي، أدّت بي إلى أن أهوى من على ظهر جوادي إلى الأرض.. قال السيّد: عندها بكيت واشتدّ بكائي وعلّ أثره انتهت من نومي نادماً حزيناً، وعلمت أنّي كنت مشتبهاً في اعتراضي، مخطئاً في انتقادي، وأنا الآن أستغفر الله وأتوب إليه ممّا صدر مني.

[الإمام الحسين ﷺ بعد مقتل العباس ﷺ]

ثم إنّ الإمام الحسين ﷺ قام من عند مصرع أخيه أبي الفضل العباس ﷺ ورجع إلى المخيم منكسراً كئيهاً، حزيناً باكياً، وهو يكفكف دموعه بكّمه، ويكتم آثار الحزن عن وجهه، كي لا تراه النساء، ولا تعرف ما اعتراه، وقد تدافعت الرّجال على مخيمه، فنادى بصوت عال، يسمعه الجميع، ويعيه الكلّ، قائلاً: أما من مغيث يغيثنا؟ أما من مجير يجيرنا؟ أما من طالب حقّ ينصرنا؟ أما من خائف من النار فيذبّ عنا؟ فأتته ابنته سكينه، وأخذت بعنان جواده وقالت متسائلة: يا أبة! أين عمّي العباس؟ أراه قد أبطأ علينا بالماء؟ فقال لها وقد تمالك نفسه؟ بنية! استرجعي واضبري فإنّ عمّك قد قتل، فسمعتة السيّد زينب ﷺ فلم تملك نفسها حتّى صرخت ونادت: واأخاه! وابعاساه! واضيعتنا بعدك، فبكيت النسوة، وبكى الإمام الحسين ﷺ معهنّ، ونادى مواسياً لهنّ: واضيعتنا بعدك يا أبا الفضل!

نادى وقد ملأ البوادي صيحة	صمّ الصخور لهولها تتألم
أخيّ من يحمي بنات محمّد	إذ صرن يسترحمن من لا يرحم
ماخلت بعدك أن تشلّ سواعدي	وتكفّ باصري وظهري يقصم
هذا حسامك من يذلّ به العدي	ولواك هذا من به يتقدّم
هونت يابن أبي مصارع فتيتي	والجرح يسكنه الذي هو أّلم
فأكبّ منحنياً عليه ودمعه	صبغ البسيط كأنما هو عندم
قد رام يلثمه فلم ير موضعاً	لم يدمه عضّ السّلاح فيلثم

[بين الطيّارين : العباس وجعفر عليه السلام]

نعم، لقد شارك أبو الفضل العباس عليه السلام في شهادته، عمّه جعفر بن أبي طالب عليه السلام، وشابهه من حيث قطع يمينه وشماله قبل قتله، ولكن زاد ابن الأخ على عمّه: أن قطع العدوّ الحاقداً، رجلي أبي الفضل العباس عليه السلام، ورضخوا هامته بعد من حديد، وقطعوه بسوفهم إرباً إرباً، ولذلك كان الإمام زين العابدين عليّ بن الحسين السّجاد عليه السلام كلّما تذكّر عمّه العباس بكى، وتذكّر به عمّه جعفر بن أبي طالب عليه السلام وبكى عليه أيضاً، وذات مرّة - كما في أمالي الصدوق عن أبي حمزة الثمالي - وقع نظره عليه عليّ عبيد الله بن العباس بن أمير المؤمنين عليه السلام، فاستعبر ثمّ قال: «ما من يوم أشدّ على رسول الله ﷺ من يوم قتل فيه عمّه حمزة بن عبدالمطلب، أسد الله وأسد رسوله، وبعده يوم مؤتة، قتل فيه ابن عمّه جعفر بن أبي طالب عليه السلام، ولا يوم كيوم الحسين عليه السلام إزدلف إليه فيه ثلاثون ألف رجل، يزعمون أنّهم من هذه الأمتة، كلّ يتقرّب إلى الله بدمه، وهو يذكّرهم بالله فلا يتّعظون، حتّى قتلوه بغياً وظلماً وعدواناً، ثمّ قال: رحم الله عمّي العباس، فلقد آثر، وأبلى،

وفدئ أخاه بنفسه، حتَّى قطعت يده، فأبدله الله بهما جناحين يطير بهما مع الملائكة في الجنة، كما جعل لجعفر بن أبيطالب ﷺ، وإنَّ للعباس عند الله تبارك وتعالى منزلة يغبطه بها جميع الشهداء يوم القيامة».

ومن المعلوم: أنَّ كلمة «جميع» في قول الإمام زين العابدين ﷺ: «يغبطه بها جميع الشهداء» عامّة وشاملة، فتشمل غير المعصومين عامّة حتَّى مثل حمزة بن عبدالمطلب، وجعفر بن أبيطالب، فإنَّهم جميعاً يغبطون العباس بن علي ﷺ على منزله ومقامه عند الله في القيامة، وما ذلك إلَّا لعظيم بلائه، وشديد محنته، وكبير رزقته، حيث أنَّ جيش بني أميّة في كربلاء، نكّلوا به، ومثّلوا بجسمه وهو حيّ، وذلك حنقاً منهم عليه، وحقداً وغيظاً منهم له، وانتقاماً من شجاعته وشهامته، فإنَّهم من قساوتهم وضراوتهم، لم يكتفوا باغتياله والغدر به بقطع يمينه ويساره، وإنّما قطعوا رجله اليمنى، وبتروا رجله اليسرى، ورضخوا هامته، وقطّعوه إرباً إرباً، بعد أن رشقوه بالسهام حتَّى صار جلده كالقنفذ من كثرة النبال التي نبتت في جسمه.

[من أدلة قساوة بني أميّة]

ويدلّ على قساوة جيش بني أميّة، وأنَّهم نكّلوا بالعباس ﷺ ومثّلوا به وهو حيّ، وقطّعوه إرباً إرباً وهر بعدّه به رمق، أمور كثيرة نشير إلى واحدة منها وهي كالتالي:

جاء في التاريخ أنَّ مرقد أبي الفضل العباس ﷺ أصابه ذات مرّة خسف، واحتيج إلى التعمير والترميم، وكان ذلك في زمان العلامة السيّد محمّد مهدي بحر العلوم المتوفى أوائل القرن الثالث عشر الهجري القمري، والذي كان هو واحد من

كبار علماء الشيعة، وكان كثيراً ما يتشرف بزيارة الإمام المهدي صاحب العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه الشيف، وله المقام المرموق عند أهل البيت وشيعتهم، فأخبروا العلامة بذلك، فانتدب العلامة أحد المعمارين الماهرين لترميم المرقد الشيف، وجاء معه إلى روضة أبي الفضل العباس عليه السلام ونزلاً معاً في السرداب الذي يقع فيه القبر الطاهر، فلما وقع عين المعمار على القبر المبارك ورآه من حيث الحجم والمساحة أقل من الحجم والمساحة المتعارفة لبقية قبور الناس المتوسطين في الطول والقامة، بينما يلزم أن يكون قبر العباس عليه السلام مع ما اشتهر عن العباس عليه السلام من طول القامة، ورشادة الهيكل والهندام، أن يكون في الحجم والمساحة أكبر وأطول من بقية القبور المتعارفة، فتولد في ذهن المعمار سؤال حول هذا الموضوع الذي أثار تعجبه وحيرته، فالتفت إلى العلامة السيد بحر العلوم وقال له: أتأذن لي يا سيدي في السؤال عن موضوع بدر إلى ذهني وأشغل بالي منذ رأيت قبر العباس بن علي عليه السلام؟ فقال له العلامة وبكل رحابة: نعم تفضل واطرح سؤالك. فقال المعمار والتعجب ظاهر على ملامح وجهه ونبرات صوته: إن كل ما سمعناه وقرأناه عن أبي الفضل العباس عليه السلام هو: أنه كان رشيداً، طويل القامة، بحيث أنه إذا ركب الفرس المطهّم بقيت رجلاه تخطّان في الأرض خطأً، وهذا لا يتلائم مع صغر القبر وقصر مساحته طويلاً، وإنما يستدعي امتداد مساحة القبر في الطول، بصورة أكثر من القبور المتعارفة، ثم أضاف قائلاً: فما هو يا سيّدنا حلّ ما سمعناه وقرأناه وهذا الذي نراه بأمر أعيننا؟ طرح المعمار سؤاله على العلامة وبقي ينتظر الجواب على ذلك، لكنّه فوجيء حيث أنه لم يسمع من العلامة جواباً سوى رجعات صوت بكائه، وزفرات حنينه وأنيبه، فندم المعمار من سؤاله وأخذ يعتذر من العلامة على إزعاجه وإيكائه، فأجابه العلامة بعد بكاء طويل: إن ما سمعته وقرأته عن رشادة أبي الفضل العباس عليه السلام وطول قامته فهو صحيح، غير أن

جيش بني أمية القساة نكلوا بالعباس عليه السلام ومثلوا به، وبتروا يديه ورجليه، وقطعوه بسيوفهم إرباً إرباً، وسؤالك هذا عن صغر قبره ذكرني بما جرى عليه من المصائب والبلايا، وتبتهني على عظيم مصاب الإمام زين العابدين عليه السلام الذي جمع بيديه الشريفتين أشلاء عمه العباس عليه السلام ودفنه بنفسه الكريمة في هذا القبر الذي شقه له بيديه، فلم أتمالك نفسي وأخذتني العبرة وأجهشت بالبكاء.

[مع بني أسد]

نعم، إن صغر قبر أبي الفضل العباس عليه السلام مع ما روي من رشادة أبي الفضل العباس عليه السلام وطول قامته، يذكر بدناءة بني أمية وخسّتهم، حيث قطعوه بسيوفهم إرباً إرباً، ويشير إلى عظيم محنة العباس عليه السلام وجليل رُزته، كما ويوحى بثقل المصاب وشديد وطئته على الإمام زين العابدين عليه السلام الذي جاء إلى دفن الأجساد الطاهرة، دفن أبيه وأعمامه وإخوته وأهل بيته وأصحاب أبيه، وذلك بعد ثلاثة أيام من شهادتهم، حيث إن جيش بني أمية رحلوا من كربلاء ولم يدفنوا أبدان الشهداء، ولم يسمحوا لأحد بدفنها، فلما كان اليوم الثالث وأمن الناس شر بني أمية وابن زياد، أقبل بنو أسد نساءً ورجالاً ليدفنوا أجساد الشهداء، فلم يعرفوا الأبدان لمن هي، لأن بني أمية كانوا قد احتزوا الرؤس من الأبدان وأخذوها معهم هدية إلى الكوفة ومنها إلى الشام، إلى الطاغية يزيد بن معاوية، وبيناهم كذلك إذ أقبل عليهم - عن طريق الإعجاز - الإمام زين العابدين عليه السلام، فأخذ عليه السلام يعرفهم بالشهداء واحداً واحداً، وقام بنو أسد يساعده على دفنها، وذلك بعد أن ارتفع صوتهم بالبكاء والعيول، وسالت دموعهم على خدودهم كل مسيل، ونشرت النسوة الأسديّات الشعور، ولطنن الخدود.

[طوبى لأرض كربلاء]

ثم مشى الإمام زين العابدين عليه السلام إلى جسد أبيه، فاعتنقه وبكى بكاءً عالياً، وأتى إلى موضع القبر، ورفع قليلاً من التراب، فبان قبر محفور، وضريح مشقوق، فبسط كفيه تحت ظهره وقال: «بسم الله، وفي سبيل الله، وعلى ملة رسول الله، صدق الله ورسوله، ما شاء الله، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم» وأنزله وحده ولم يشاركه بنو أسد فيه، وقال لهم: «إنّ معي من يعينني».

ولما أقرّه في لحده، وضع خده على منحره المقدس وقال: «طوبى لأرض تضمّنت جسدك الطاهر، فإنّ الدنيا بعدك مظلمة، والآخرة بنورك مشرقة، أمّا الليل فمسهّد، والحزن سَرمَد، أو يختار الله لأهل بيتك دارك التي أنت بها مقيم، وعليك السلام يا ابن رسول الله، ورحمة الله وبركاته».

ثم كتب على تراب القبر بسبّابته: «هذا قبر الحسين بن عليّ بن أبي طالب، الذي قتلوه عطشاً غريباً».

[عند جسد العباس عليه السلام]

ثم إنّ الإمام زين العابدين عليه السلام التفت إلى بني أسد وقال: أنظروا هل بقي أحد؟ فقالوا: نعم، بقي بطل مطروح حول المسناة، فإنّ هناك على مقربة من العلقي جسداً آخر لم يدفن بعد، وهو جسد مودّر ومقطّع بالسيوف إرباً إرباً، بحيث كلّما حملنا جانباً منه سقط الآخر، فبكى عليه السلام لما سمع قولهم وقال بأنين وزفير: أتعرفون يا بني أسد جسد من هذا؟ إنّ جسد عمّي العباس عليه السلام، ثم مشى إليه، فلما وقع نظره عليه ألقي بنفسه على جسده يلثم نحره الطاهر وهو يقول:

«على الدنيا بعدك العفا يا قمر بني هاشم، وعليك مني السلام من شهيد محتسب ورحمة الله وبركاته» وشقّ له ضريحاً وانزله وحده كما فعل بأبيه، وقال لبني أسد: «إنّ معي من يُعيني».

[المعصوم لا يلي أمره إلا المعصوم]

لقد انتخب الإمام زين العابدين ﷺ لمواراة أجساد الشهداء اليوم الثالث من مقتل أبيه الإمام الحسين ﷺ ومن معه، وجاء بطريق المعجزة في ذلك اليوم إلى كربلاء - لأنّه ﷺ كان في تلك الأيام بحسب الظاهر مسجوناً مع بقيّة الأسرى في سجن ابن زياد بالكوفة - وإنّما انتخب اليوم الثالث وجاء فيه إلى كربلاء لعلمه بمجيء بني أسد نساءً ورجالاً إلى مصارع الشهداء في هذا اليوم وهم يحاولون مواراة الأجساد الطاهرة ودفنها، فيكونون خير أعوان له على هذه المهمة العظيمة، وأحسن شهود يشهدون هذا الواجب الشرعي المفروض.

وبالفعل فقد استعان الإمام زين العابدين ﷺ في دفن الشهداء الأبرار، ومواراة أجسادهم الطاهرة ببني أسد، ما عدا جسد أبيه الإمام الحسين ﷺ وجثمان عمّه أبي الفضل العباس ﷺ حيث قال ﷺ لبني أسد: «إنّ معي من يعيني» وانفرد هو بتجهيزهما، وقام لوحده بمواراتهما.

وهذا من الإمام زين العابدين ﷺ بالنسبة إلى أبيه الإمام الحسين ﷺ واضح لا غبار عليه، وذلك لأن المعصوم لا يواريه إلا المعصوم، فالإمام الحسين ﷺ معصوم، والإمام السجاد ﷺ معصوم مثله، فيلي أمره منفرداً، ويقوم بتجهيزه ومواراته لوحده، ولكن هذا بالنسبة إلى عمّه أبي الفضل العباس ﷺ وقيامه لوحده بتجهيزه، وانفراذه بمواراة جسده الطاهر مع انه ليس من المعصومين، ينبىء عن

عظيم مقام أبي الفضل العباس عليه السلام وعلو رتبته عند الله تعالى ، ورفيع منزلته ، وعلو شأنه عند أهل البيت عليهم السلام حتى أنه يجعله في مصاف المعصومين ، وفي مستوى أهل البيت عليهم السلام الطاهرين المطهرين ، وأنعم بأبي الفضل العباس عليه السلام ، فإنه أهل لذلك ، فلقد أثبت من خلال سيرته الطيبة ، وسلوكه الجميل ، ومواقفه الإنسانية المشرفة ، جدارته لهذا المقام المنيف ، وأهليته لهذه المنزلة الرفيعة ، ألا وهي : ولاية الإمام المعصوم أمره ، وتوليّه تجهيزه ومواراته ، وانفراده بكل ذلك قائلاً لبني أسد : «إنّ معي من يعينني» .

كما أنه يدلّ على تأهله لذلك - من ذي قبل - مشاركته أخاه الإمام الحسين عليه السلام في تفصيل أخيه الإمام الحسن المجتبي عليه السلام ، فإن الإمام الحسن عليه السلام معصوم ولا يغسله إلا معصوم وهو الإمام الحسين عليه السلام ، فمشاركة أبي الفضل العباس عليه السلام ومشاطرته أخاه في هذه المهمة العظيمة خير دليل على مكانة أبي الفضل العباس عليه السلام ومقامه الشامخ عند الله ورسوله والأئمة الأطهار صلوات الله عليهم أجمعين .

ولعله من أجل ذلك كلّ قال مرجع عصره ، وفقه دهره : الشيخ محمد طه نجف في كتابه (الاتقان) : «العباس بن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام أبو الفضل ، هو أجلّ من أن يذكر في هذا المقام ، بل المناسب أن يذكر عند ذكر أهل بيته المعصومين عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام» .

الخصيصة السادسة والعشرون :

« في أنه ﷺ المعروف بالشهيد »

الشهيد: هو المقتول في سبيل الله .

والشهيد: هو الحي أي: هو عند ربّه حيّ يُرزق .

وقيل: سَمِيَ الشهيد شهيداً، لأنّ الله وملائكته شهدوا له بالجنة، والشهادة تكون للأفضل فالأفضل من الأئمة، فأفضلهم من قتل في سبيل الله، مُيِّزُوا عَنْ الخلق بالفضل، وَبَيَّنَّ اللهُ أَنَّهُمْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ، فرحين بما آتاهم الله من فضله .

وقيل: سَمِيَ الشهيد شهيداً، لَأَنَّهُ حَيٌّ لَمْ يَمُتْ كَأَنَّهُ شَاهِدٌ، أي: حاضِر .

وقيل: لَأَنَّ مَلَائِكَةَ الرَّحْمَةِ تَشْهَدُهُ .

وقيل: لِقِيَامِهِ بِشَهَادَةِ الْحَقِّ فِي أَمْرِ اللهِ حَتَّى قَتَلَ .

وقيل: لَأَنَّهُ يَشْهَدُ مَا أَعَدَّ اللهُ لَهُ مِنَ الْكَرَامَةِ بِالْقَتْلِ، وقيل: غير ذلك .

[السماء ووسام : الشهيد]

وكيف كان: فَإِنَّ مِنْ عُرِفَ مِنْ قِبَلِ السَّمَاءِ بِالشَّهِيدِ، وَتَزَيَّنَ بِوَسَامِ سَمَاوِي رَفِيعِ الْمَسْتَوَى بِاسْمِ: الشَّهِيدِ وَتَوَفَّقَ لِحَمْلِ نِشَانِ الشَّهَادَةِ مِنْ بَيْنِ الشَّهَدَاءِ جَمِيعاً، هُمَا اثْنَانِ :

أحدهما: من أئمة أهل البيت عليه السلام المعصومين، وهو سيّد الشهداء، وأبو الأحرار، سبط رسول الله ﷺ وريحانته، وسيّد شباب أهل الجنة، الإمام الحسين عليه السلام، فإنّه هو الذي عُرف من بين الأئمة الأطهار من أهل البيت عليه السلام بالإمام الشهيد، مع أنّ الأئمة الأطهار من أهل البيت عليه السلام، بل المعصومين الأربعة عشر عليه السلام، ما عدا الإمام الثاني عشر المهدي المنتظر عجل الله تعالى ظهوره، كلّهم استشهدوا في سبيل الله تعالى كما في الخبر المأثور: ما منّا إلّا مقتول أو مسموم، فكّلهم عليه السلام شهداء، إلّا أنّ الذي أُطلق عليه اسم «الشهيد» من بينهم هو الإمام الحسين عليه السلام، فقد روي أنّ جدّه رسول الله ﷺ قال له: «أنت شهيد هذه الأمة».

ثانيهما: من ذوي أهل البيت، وخاصّة الأئمة الأطهار، وحامّة المعصومين الأربعة عشر عليه السلام، وتالي تلوهم، والمحلّق في أجوائهم ومصافهم، وهو حامل لواء الإمام الحسين عليه السلام وكبش كتيبته، والمواسي له نفسه، والمضحّي من أجله، بطل العلقمي، أبو الفضل العباس بن أمير المؤمنين عليه السلام، فلقد مرّ: أنّ الإمام زين العابدين عليه السلام كان كلّما تذكّر عمّه أبا الفضل العباس عليه السلام قال في حقّه: «... وإنّ للعباس عند الله تبارك وتعالى منزلة يغطه بها جميع الشهداء يوم القيامة» ومرّ أيضاً: من أنّ الإمام زين العابدين عليه السلام عندما جاء لمواراة جسد عمّه الطاهر أبي الفضل العباس عليه السلام بكى وألقى بنفسه عليه وأخذ يلثم نحره الشريف وهو يقول: «على الدنيا بعدك العفا يا قمر بني هاشم، وعليك منّي السّلام من شهيد محتسب ورحمة الله وبركاته» فإطلاق «الشهيد» من الإمام زين العابدين عليه السلام على عمّه أبي الفضل العباس عليه السلام هو: وسام سماوي رفيع المستوى وسم به عمّه، لأنّ المعصوم عليه السلام هو الذي بيده معايير السماء وموازن الوحي، وقد فوّض إليه تعالى جعل الحكم على المواضع، وإعطاء الحقّ لذوي الحقوق، ومنح الأوسمة السماوية لمستحقّيها، وأبو الفضل العباس عليه السلام هو من استحقّ وسام «الشهيد» منحة

من السماء، لعظيم بلائه في الله، وشدة إخلاصه لله، وكبير ولائه لأولياء الله، فمنحه عليه السلام «الشهيد» وذلك ليس مجرداً، وإنما مقروناً بكلمة «محتسب» أي: الشهيد الذي نوى بشهادته وجه الله تعالى، ورجى ثوابه وأجره، كما أنه ليس مجرد «الشهيد المحتسب» بل الشهيد المحتسب الذي يغبطه على منزلته، وعلوّ درجته، يوم القيامة، جميع الشهداء.

[العباس عليه السلام الشهيد المظلوم]

وكذلك كان أبو الفضل العباس عليه السلام، فإنّ موافقه المشرّفة في كربلاء، وفي يوم عاشوراء وغيرها لهي خير دليل على ما قاله الإمام زين العابدين عليه السلام في حقّ عمّه أبي الفضل العباس عليه السلام، وأجلّ برهان على جدارة أبي الفضل العباس عليه السلام بنيل هذا الوسام المنيف، وسام: «الشهيد المحتسب».

كما وقد وسمه الإمام الصادق عليه السلام بهذا الوسام العظيم أيضاً، وذلك حين خاطبه في زيارته المعروفة بقوله: «أشهد أنّك قُتلت مظلوماً» وقد مرّ تفسير الشهيد: بأنّه المقتول في سبيل الله، والإمام الصادق عليه السلام يشهد لعمّه أبي الفضل العباس عليه السلام بأنّه المقتول في سبيل الله، فابو الفضل عليه السلام إذن بشهادة الإمام الصادق عليه السلام هو: شهيد، وليس مجرد شهيد فحسب، بل هو: شهيد مظلوم، لأنّه كما مرّ: لم يأذن له أخوه الإمام الحسين عليه السلام في البراز إلى الميدان ومقاتلة الأعداء، وإنما أذن له في الإستسقاء، وطلب الماء للأطفال فقط، ومعلوم: أنّ الذي مهمّته طلب الماء والإستسقاء، ليس كالذي يهّمه القتال ومنازلة الأبطال، فإنّ من يهّمه القتال يتفرّغ له، بينما من يهّمه الإستسقاء وطلب الماء يتفرّغ للإستسقاء دون القتال، فلم يكن أبو الفضل العباس عليه السلام في كربلاء مقاتلاً حتّى يشف صدره من

الأعداء، ويذهب غيظ قلبه بالانتقام منهم، بل كان سقاءً، وقُتل من أجل الاستسقاء، فقتل مظلوماً.

أضف إلى ذلك: أنَّ الأعداء من دناءتهم وخسّتهم لم يبارزوه وجهاً لوجه، وإنما اغتالوه في كمين لهم، فقتلوه غيلةً وغدراً، ومن قساوتهم وغلظتهم لم يكتفوا بقتله بضربة وضربتين، وإنما قطعوه بسيفهم إرباً إرباً، بعد أن بتروا يديه وأبأنوا رجله، وأصابوا عينه، وخسفوا رأسه، وقتلوه مظلوماً، فصدق عليه: أنه الشهيد المظلوم، كما شهد له الإمام الصادق عليه السلام بذلك.

[الفارس إذا سقط من فرسه]

وجاء في كتاب «مقتل الحسين عليه السلام» للمقرّم: أنَّ العالم الفاضل، والخطيب البارع، الشيخ كاظم السبتي رحمه الله قال لي ذات مرّة: أتاني بعض العلماء الثقات وقال لي: إني رسولٌ من قِبَل العباس عليه السلام إليك، فقد رأيته عليه السلام في المنام يعتب عليك ويقول: إنَّ الشيخ كاظم السبتي لم يذكر مصيبي، ولم يتعرّض لها. فقلت له: يا سيدي ما زلت أسمعه يذكر مصائبك ويندبك بها، فقال عليه السلام: أعني هذه المصيبة، فإنّه لم يذكرها، ولم يتعرّض لها، قل له يذكر هذه المصيبة للناس ويقول لهم: «إنَّ الفارس إذا سقط من فرسه، يتلقّى الأرض بيديه، فإذا كانت السهام نابتة في صدره ويدها مقطوعتان، فماذا يتلقّى الأرض؟».

وهذا أيضاً يدلّ على شدة مظلومية أبي الفضل العباس عليه السلام، وكبير مصيبته، وعظيم رزيته، والمظلوم اضافة الى وجوب نصرته، واعانته على ظالمه، يستحبّ البكاء عليه وله - على ما في فقه الزهراء عليه السلام - كما ويستحب مشاركة المفجوعين به في بكائهم له، وذلك لتضمّنه تأييداً للمظلوم ونصرة له، وقد بكى

رسول الله ﷺ وأنّ وحنّ لبكاء عمّته صفية على أخيها حمزة وأنيها له، وحنينها عليه، وفي فضل زيارة الإمام الحسين ﷺ ورد: «... إنّ فاطمة ﷺ إذا نظرت إليهم ومعها ألف نبي، وألف صديق، وألف شهيد، ومن الكروبيين ألف ألف، يُسعدونها بالبكاء وإنّها تشهق شهقة، فلا يبقى في السماوات ملك إلّا بكى رحمة لصوتها..».

[مقام الشهيد وأجر الشهادة]

وهنا لا بأس بالإشارة إلى بعض ما لأبي الفضل العباس ﷺ وسائر الشهداء عامّة من الفضل عند الله تبارك وتعالى، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ﴾.

وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحياء عند ربّهم يُرزقون﴾ فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون* يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأنّ الله لا يضيع أجر المؤمنين*.

وقال رسول الله ﷺ: «أشرف الموت قتل الشهادة». وعن النبي ﷺ أنّه قال: «فوق كلّ برٍّ، حتّى يقتل الرجل في سبيل الله، فإذا قتل في سبيل الله عزّ وجلّ فليس فوقه برّ». وقال ﷺ: «إنّ أوّل من قاتل في سبيل الله: إبراهيم الخليل ﷺ حيث أسرت الروم لوطاً ﷺ فنفر إبراهيم ﷺ واستنقذه من أيديهم». وعنه ﷺ أنّه قال: «ما من قطرة أحبّ إلى الله من قطرة دم في سبيل الله، أو قطرة دم في جوف الليل من خشية الله». وعنه ﷺ أنّه قال: «وأجود الناس من جاد بنفسه وماله في سبيل الله».

وعن علي صلوات الله عليه أنه قال: «أول من جاهد في سبيل الله إبراهيم عليه السلام، أغارت الروم على ناحية فيها لوط عليه السلام فأسروه، فبلغ ذلك إبراهيم صلى الله عليه، فنفر فاستنقذه من أيديهم، وهو أول من عمل الرايات، عليه أفضل السلام».

وفي تهذيب الشيخ الطوسي مسنداً عن علي بن الحسين عليه السلام عن آبائه عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لشاهد سبع خصال من الله: الأولى: أول قطرة من دمه مغفور له كل ذنب. والثانية: يقع رأسه في حجر زوجته من الحور العين، وتمسحان الغبار عن وجهه وتقولان: مرحباً بك، ويقول هو مثل ذلك لهما. والثالثة: يكسى من كسوة الجنة. والرابعة: تبتدره خزانة الجنة بكل ريح طيبة أيهم يأخذه معه. والخامسة: أن يرى منزله. والسادسة: يقال لروحه: إسرح في الجنة حيث شئت. والسابعة: أن ينظر إلى وجه الله، وإنها لراحة لكل نبي وشهيد».

الخصيصة السابعة والعشرون :

« في أَنَّهُ ﷺ الصَّدِيق »

الصَّدِيق هو: الدائم التصديق، ويكون الَّذِي يُصَدِّق قوله بالعمل، وقيل: الصَّدِيق هو: المبالغ في الصدق، وقيل: كلٌّ من صَدَّق بكلِّ أمر الله لا يتخالجه في شيء منه شك، وصَدَّق النبي ﷺ، فهو صَدِيق، وهو قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ هُمْ الصَّدِيقُونَ وَالشَّهَادَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾.

هذا معنى الصَّدِيق من حيث اللغة وعلماء العربية، وأما مَنْ هو الصَّدِيق من حيث الإصطلاح القرآني، والسنة النبوية، وأحاديث أهل بيت رسول الله ﷺ؟ فهو على ما يلي:

قال الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرسله اولئك هم الصَّدِيقُونَ وَالشَّهَادَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرهم ونورهم ﴾.

وقال سبحانه: ﴿ ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الَّذِينَ أَنعَم الله عليهم من النَّبِيِّينَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشَّهَادَةُ وَالصَّالِحِينَ وَحَسَنَ اولئك رفيقاً ﴾.

وفي الخصال مسنداً عن النبي ﷺ أَنَّهُ قال: «الصَّدِيقُونَ ثلاثة: علي بن أبي طالب عليه السلام، وحبيب النجار، ومؤمن آل فرعون».

وفي عيون الأخبار مسنداً عن النبي ﷺ أَنَّهُ قال: «لكلِّ أمة صَدِيق وفاروق، وصَدِيق هذه الأمة وفارقوها: علي بن أبي طالب عليه السلام».

وفي روضة الكافي عن أمير المؤمنين عليه السلام قال في خطبته المعروفة بخطبة الوسيلة: «وإني النبا العظيم، والصديق الأكبر».

وفي شرح الآيات الباهرة مسنداً عن الإمام الصادق عليه السلام عن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال في كلام طويل: «والميت من شيعتنا: صديق شهيد، صدق بأمرنا، وأحبّ فينا، وأبغض فينا، يريد بذلك وجه الله، مؤمن بالله وبرسله، قال الله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشَّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾».

وفي محاسن البرقي مسنداً عن الإمام الحسين عليه السلام أنه قال: «ما من شيعتنا إلا صديق شهيد».

وفي مزار ابن قولويه، في زيارة عن الإمام الصادق عليه السلام بسند معتبر يعلمنا أن نزور بها عمّه أبا الفضل العباس عليه السلام يقول فيها: «السلام عليك أيها الولي الصالح، الناصح الصديق».

وفي زيارة أخرى يقول: «أشهد لك بالتسليم والتصديق».

[العباس عليه السلام هو الصديق لغة واصطلاحاً]

فأبو الفضل العباس عليه السلام هو الصديق من حيث اللغة، لأنه عليه السلام كان هو الدائم التصديق لله ولرسوله ولإمامه: الإمام الحسين عليه السلام. وهو الذي كان عمله يصدق قوله، وهو أيضاً كان المبالغ في الصدق، وأنه كان الذي لم يختلج في قلبه شك في كلّ ما أمر الله به.

وهو الصديق من حيث الإصطلاح أيضاً، لأنه عليه السلام كان النموذج الأفضل، والمصدق الأمثل - بعد الأئمة الأطهار عليهم السلام - لمن آمن بالله ورسوله، وأطاع الله

ورسوله، كما كان هو ﷺ أيضاً في مقدّمة الشيعة وطليعتهم، والسباق في متابعة أئمة أهل البيت ﷺ ومشايعتهم، لأنّ الشيعي هو مَنْ شايع عليّاً ﷺ والأئمة من بنيه الذين سمّاهم القرآن بأهل البيت ﷺ والتزم متابعتهم والسير على هداهم، وكيف لا يكون أبو الفضل العباس ﷺ كذلك، وهو ابن الإمام أمير المؤمنين ﷺ وأخو الإمامين الهاميين: الحسن والحسين ﷺ، وقد تلقى تربيته الأخلاقية والعلمية الراقية في أحضانهم ومدرستهم، ونال شهادته الثقافية والإنسانية العالية على أيديهم وبتأييدهم؟

إذن: فأبو الفضل العباس ﷺ هو الصديق بالمعنى العام الذي جاء للصديق في اللغة والإصطلاح، وذلك على ما عرفت.

وهو أيضاً الصديق بالمعنى الخاص للصديق، فقد شهد الإمام الصادق ﷺ - كما في الزيارة المأثورة عنه - بالصديق في خصوص أبي الفضل العباس ﷺ حيث يقول مخاطباً إياه: «السلام عليك أيّها الولي الصالح، الناصح الصديق» وفي زيارته الأخرى قال ﷺ: «أشهد لك بالتسليم والتصديق» ويقول في مكان آخر من الزيارة وهو يخاطبه أيضاً: «السلام عليك أيّها العبد الصالح، المطيع لله، ولرسوله، ولأمير المؤمنين، والحسن، والحسين، صلى الله عليهم وسلّم».

ففي الزيارة الاولى شهادة صريحة بكون ابي الفضل العباس ﷺ هو الصديق، كما ان في الفقرة الأولى من الزيارة الثانية شهادة خاصة لأبي الفضل العباس ﷺ بالتسليم والتصديق، فهو الصديق لغة، لمكان لفظه التصديق، وفي الفقرة الثانية من الزيارة شهادة خاصة لأبي الفضل العباس ﷺ بالإطاعة لله ولرسوله ولأوصيائه ﷺ، فهو الصديق اصطلاحاً أيضاً، لأنّ الصديق كما مرّ في اصطلاح القرآن والسنة النبوية وأحاديث أهل بيت رسول الله ﷺ هو: المطيع لله ولرسوله ولأوصيائه ﷺ.

[الحائزون على وسام: الصديق]

نعم، وسام «الصديق» بالخصوص، مُنح لشخصين من هذه الأمة هما كالتالي:

١ - الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)، فقد سمّاه رسول الله ﷺ بالصديق، ومنحه هذا الوسام العظيم، وذلك على ما عرفت في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّدِيقُونَ..﴾ وقوله سبحانه: ﴿وَمَنْ يَطْعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِيقِينَ﴾ حيث قال (عليه السلام): «الصديقون ثلاثة: علي بن أبي طالب، وحبيب النجار، ومؤمن آل فرعون». وقال (عليه السلام): «لكل أمة صديق وفاروق، وصديق هذه الأمة وفاروقها علي بن أبي طالب (عليه السلام)». وقال الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في خطبة الوسيلة: «وإني النبا العظيم، والصديق الأكبر». فالفائز الأول على وسام: الصديق، بل وسام: الصديق الأكبر، هو الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام).

٢ - أبو الفضل العباس بن أمير المؤمنين (عليه السلام)، حيث قد شهد له الإمام الصادق (عليه السلام) على ما عرفت في زيارته (عليه السلام) بالتسلم والتصديق، ومنحه هذا الوسام الرفيع، وأعطاه هذا النيشان المنيع، أعني: وسام «الصديق» ونيشانه، فيكون على هذا أبو الفضل العباس (عليه السلام) هو الفائز الثاني الذي حاز على وسام: «الصديق» ونيشانه، فهو إذن «الصديق» حقاً.

الخصيصة الثامنة والعشرون :

« في أنه ﷺ الفادي »

روي عن الإمام زين العابدين ﷺ أنه قال في حقّ عمّه أبي الفضل العباس ﷺ كلاماً جاء فيه: «رحم الله عمّي العباس، فلقد آثر، وأبلى، وفدى أخاه بنفسه». والكلام هنا في تفدية العباس ﷺ أخاه الإمام الحسين ﷺ بنفسه، حيث منه عُرف ﷺ بالفادي، علماً بأنّ الفادي من حيث المعنى اللغوي هو: مَنْ يقدّم ماله، أو يقدّم نفسه ودمه فداءً لغيره، حتّى يخلّصه به، ويقيه عبره من الأسر أو القتل، فكأنّه يشتري بذلك حياة غيره، ويخلّصه من الخطر المحدق به.

[الفداء العظيم]

قال الله تعالى في قصة إبراهيم الخليل ﷺ عندما أمره بذبح ابنه إسماعيل الذبيح ﷺ ثمّ عفى عن ذلك: ﴿وفديناه بذبح عظيم﴾ فلقد جاء في عيون الأخبار مسنداً عن الإمام الرضا ﷺ أنه قال: «لما أمر الله تعالى إبراهيم أن يذبح مكان ابنه اسماعيل، الكبش الذي أنزله عليه، تمنّى إبراهيم ﷺ أن يكون قد ذبح ابنه إسماعيل بيده، وأنّه لم يؤمر بذبح الكبش مكانه، ليرجع إلى قلبه ما يرجع إلى قلب الوالد الذي يذبح أعزّ ولده بيده، فيستحقّ بذلك أرفع درجات أهل الثواب على المصائب.

فأوحى الله عز وجل إليه: يا إبراهيم! مَنْ أَحَبَّ خلقي إليك؟
 قال: يا رب! ما خلقت خلقاً هو أَحَبُّ إليَّ من حبيبك مُحَمَّد ﷺ.
 فأوحى الله إليه: يا إبراهيم! أفهو أَحَبُّ إليك أو نفسك؟
 قال: بل هو أَحَبُّ إليَّ من نفسي.
 قال: فولده أَحَبُّ إليك أو ولدك؟
 قال: بل ولده.

قال: فذبح ولده ظلماً على أيدي أعدائه أوجع لقلبك، أو ذبح ولدك بيدك
 في طاعتي؟
 قال: يا رب! بل ذبحه على أيدي أعدائه أوجع لقلبي.

قال: يا إبراهيم! إنَّ طائفة تزعم أنَّها من أُمَّة مُحَمَّد ﷺ ستقتل الحسين ﷺ
 ابنه من بعده، ظلماً وعدواناً، كما يذبح الكبش، ويستوجبون بذلك سخطي.
 فجزع إبراهيم لذلك، وتوجَّع قلبه، وأقبل يبكي، فأوحى الله تعالى إليه: يا
 إبراهيم! قد قبلتُ جزعك على ابنك إسماعيل لو ذبحته بيدك، بجزعك على
 الحسين ﷺ وقتله، وأوجبْتُ لك أرفع درجات أهل الثواب على المصائب، وذلك
 قول الله عز وجل: ﴿وفديناه بذبحٍ عظيم﴾، فالفادي هنا في هذه القصة هو:
 إبراهيم الخليل ﷺ، والفداء هو: الكبش الذي أتى به جبرئيل ﷺ من الجنة،
 والمفدي هو: إسماعيل الذبيح ﷺ، فيكون إبراهيم الخليل ﷺ قد اشترى حياة ابنه
 إسماعيل الذبيح ﷺ بتفدية الكبش عنه.

ولكن في قصة كربلاء كان الفادي هو: أبو الفضل العباس ﷺ، والفداء هو:
 نفسه الزكية، ودمه الشريف، والمفدي هو: الإمام الحسين ﷺ، فيكون أبو الفضل
 العباس ﷺ قد اشترى حياة أخيه الإمام الحسين ﷺ بتفدية نفسه وبذل دمه عنه.

[العباس عليه السلام يُشبهه أباه]

ولقد أشبه أبو الفضل العباس عليه السلام في تفدية أخاه الإمام الحسين عليه السلام بنفسه، أباه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام حيث فدى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أخاه وابن عمه رسول الله ﷺ بنفسه، وذلك في ليلة المبيت، فقد روى الشيخ الطوسي في أماليه مسنداً عن الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله﴾ أنه قال: نزلت في علي عليه السلام حين بات على فراش رسول الله ﷺ. وفي شرح الآيات الباهرة وغيره من كتب التفسير: «إن النبي ﷺ لما أراد الهجرة، خلف علياً عليه السلام لقضاء ديونه وردّ الودائع التي كانت عنده وأمره ليلة خروجه إلى الغار وقد أحاط المشركون بالدار، أن ينام على فراشه قائلاً: أخبرك يا علي! إن الله يمتحن أوليائه على قدر إيمانهم ومنازلهم في دينه، فأشدّ الناس بلاءاً الأنبياء، ثم الأئمة فالأئمة، وقد امتحنك يا بن العمّ وامتحنني فيك بمثل ما امتحن به خليله إبراهيم عليه السلام والذبيح إسماعيل عليه السلام، فصبراً صبراً، فإنّ رحمة الله قريب من المحسنين. ثم ضمّه النبي ﷺ إلى صدره وبكى وجداً به، وبكى علي عليه السلام جشعاً لفراق رسول الله ﷺ، ثم أوصاه بوصاياه، وأمره في ذلك بالصبر حتّى صلّى العشائين، ثم خرج ﷺ في فحمة العشاء الآخرة والرصد من قریش قد أطافوا بداره. نام علي عليه السلام على فراش رسول الله ﷺ موطناً نفسه على القتل، فأوحى الله تعالى إلى جبرئيل وميكائيل: إني آخيت بينكما، وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر، فأیکما يؤثر صاحبه بحياته؟ فاختار كلّ منهما الحياة، فأوحى الله عز وجلّ إليهما: أفلا كنتما مثل علي بن أبي طالب عليه السلام آخيت بينه وبين محمد ﷺ فبات علي فراشه يفديه بنفسه، ويؤثره

بالحياة، اهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوه، فنزلا فكان جبرئيل عند رأسه، وميكائيل عند رجله، وجبرئيل يقول: بخّ بخّ، من مثلك يا عليّ بن أبيطالب؟ يباهي الله بك الملائكة، فأنزل الله عزّ وجلّ علىّ رسوله ﷺ وهو متوجّه إلى المدينة في شأن عليّ بن أبيطالب عليه السلام: ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله، والله رؤوف بالعباد﴾.

[القادي بزعم المسيحيين]

يزعم المسيحيون أنّ «القادي» هو المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، فإنّهم يقولون: «القادي» لقب السيّد المسيح الذي فدى البشر بدمه الكريم، ثمّ يرتبون علىّ زعمهم هذا غفران كلّ ما يرتكبونه من ذنوب وخطايا، ويبرّرون به جميع جرائمهم وجنایاتهم، بحجّة أنّ المسيح كُفّر بها عنهم، وهذا غير تام من وجوه:

١ - أنّ المسيح عليه السلام لم يُصلب ولم يقتل، وإنّما رفعه الله تعالى إليه، كما في القرآن الكريم: ﴿وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإنّ الذين اختلفوا فيه لفي شكّ منه، ما لهم به من علم إلاّ اتباع الظنّ وما قتلوه يقيناً بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً﴾ وفي تفسير مجمع البيان عن ابن عباس أنّه قال: «لما مسخ الله تعالى الذين سبّوا عيسى وأمه بدعائه، بلغ ذلك يهوذا وهو رأس اليهود، فخاف أن يدعو عليه، فجمع اليهود، فاتفقوا على قتله، فبعث الله تعالى جبرائيل يمنعه منهم، ويعينه عليهم، وذلك معنى قوله تعالى: ﴿وأَيّدناه بروح القدس﴾ فاجتمع اليهود حول عيسى، فجعلوا يسألونه فيقول لهم: يا معشر اليهود! إنّ الله تعالى يبغضكم، فساروا إليه ليقتلوه، فأدخله جبرائيل في خوخة البيت الداخل لها روزنة في سقفها، فرفعه جبرائيل إلى السماء، فبعث يهوذا رأس اليهود رجلاً من أصحابه

اسمه : طيطانوس ، ليدخل عليه الخوذة فيقتله ، فدخل فلم يره ، فأبطأ عليهم ، فظنوا أنه يقاتله في الخوذة ، فألقى الله عليه شبه عيسى ، فلما خرج على أصحابه ، قتلوه وصلبوه ، وقيل : ألقى عليه شبه وجه عيسى ، ولم يلتق عليه شبه جسده ، فقال بعض القوم : إن الوجه وجه عيسى ، والجسد جسد طيطانوس ، وقال بعضهم : إن كان هذا طيطانوس فأين عيسى ؟ وإن كان هذا عيسى ، فأين طيطانوس ؟ فاشتبه الأمر عليهم » ومع هذا الترديد والتشكيك من الذين تولوا القتل والصلب لا يثبت كون المقتول والمصلوب هو عيسى ﷺ وإن تواتروا وأجمعوا عليه ، وهو واضح لا غبار عليه ، فالقصة إذن من أساسها متزلزلة ومشكوك ، فلا يعتمد عليها ، إذ لا أساس رصين لها رأساً .

٢ - إن المسيح ﷺ بعد إخبار الله تعالى بعدم قتله ، لم يكن فادياً ، وإذا كان كذلك لم يصدق عليه لقب « الفادي » فبطل مزاعم المسيحيين .

٣ - إن « الفادي » على زعم المسيحيين بالمعنى الذي يصورونه للسيد المسيح ﷺ هو إسفاف بالسيد المسيح ﷺ وهبوط به من مستواه الرفيع ومقامه المنيع الذي هو هداية البشر ، إلى مستوى تكفير خطايا البشر ، الذي يكون هو خير مبرر لارتكاب البشر كل ما يشتهي من جرائم و جنيات ، وما يهواه من خطايا وذنوب ، والذي من جملتها ، بل ومن أكبرها وأعظمها جنائية هو : الإسفاف بالسيد المسيح ﷺ إلى مستوى تكفير خطايا البشر وتبريرها .

[الفادي لدى المسلمين]

بينما « الفادي » عند المسلمين هو : الإمام أمير المؤمنين ﷺ حيث فدى رسول الله ﷺ بنفسه ، ثم من بعده ابنه أبو الفضل العباس ﷺ الذي فدى أخاه

الإمام الحسين عليه السلام بنفسه .

وما كان فداء «الفادي» الأول إلا لخلاص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الأعداء، وبقائه سالماً قادراً على تبليغ رسالات الله، وهداية الناس إلى الله تعالى، وإلى دينه الحنيف، كما أنه لم يكن فداء «الفادي» الثاني إلا وقاءاً لابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي فدى دين الله بنفسه، وقدم دمه لإنقاذه وإبقائه، والحفاظ على أتعاب جدّه صلى الله عليه وآله وسلم، فأيقظ به عقول البشر وضائرهم، وأرهف عبره شعورهم وعواطفهم، ليدلّهم على الله، ويهديهم إلى دينه القويم، وصراطه المستقيم، وذلك كما قال فيه الإمام الصادق عليه السلام عند زيارته عليه السلام: «وبذل مهجته فيك، ليستنقذ عبادك من الجهالة، وحيرة الضلالة» .

[المقارنة بين الفاديين]

ومن المعلوم: أنّ هناك فرقاً كبيراً وواضحاً بين أن يكون «الفادي» مكفراً لذنوب البشر بدمه الكريم، كما يزعمه المسيحيون بالنسبة إلى السيّد المسيح عليه السلام، وبين أن يكون «الفادي» مضيئاً لدرب التائبين من البشر، وهادياً لهم إلى الطريق القويم، ودالاً إياهم على الصراط المستقيم، ومنقذاً لهم من ظلمات الجهل والجهالة إلى نور العلم والثقافة، ومن حيرة الباطل والضلالة إلى مرفأ الحق والهداية، وذلك على ما يعتقد المسلمون بالنسبة إلى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وابنه أبي الفضل العباس عليه السلام، فإنّ «الفادي» بالمعنى الأول الذي يزعمه المسيحيون بالنسبة إلى السيّد المسيح عليه السلام إضافة إلى أنّه إسفاف بالسيّد المسيح عليه السلام من مستواه الرفيع إلى هوة الحضيض هو: ترويج للظلم والجرم، والذنوب والخطايا، وتشجيع للجنة والظالمين، والعصاة والمذنبين، وتبرير لأعمالهم

السيّئة، وأفعالهم القبيحة، أليس من يعلم بأنّ سيّئاته وقبائحه مكفّرة، يتمادى في ظلمه وجوره وينغمر في السيّئات والقبايح ؟

بينما «الفادي» بالمعنى الثاني الذي يعتقده المسلمون بالنسبة إلى الإمام أمير المؤمنين ﷺ وابنه أبي الفضل العباس ﷺ، فإنّه إضافة إلى إعطاء الإمام وابنه ما يستحقّانه من المقام الذي خصّهما الله تعالى به هو: ترويج للعدل والإحسان، والمثل والقيّم، وتشجيع للمحسنين والمقسطين، والمؤثرين والمواسين، وترغيب في الأعمال الصالحة، والأفعال الحسنة، أليس من يرى إمامه، أو يرى ابن إمامه، يفدي نفسه للهدى والحق، ويبذل دمه لنصرة دين الله، ويضحّي بكلّ ما لديه لأجل هداية الناس إلى نور العلم والعدل، والخير والتقوى، يرغب في الخير والتقوى، ويضحّي من أجل تعميم القسط والعدل، وتعزيز المثل والقيّم ؟

الخصيصة التاسعة والعشرون :

« في أنه ﷺ المؤثر »

المؤثر من الإيثار وهو: تقديم الغير وتفضيله على النفس، وفي التنزيل قال الله تعالى عن لسان إخوة يوسف: ﴿لقد آثرك الله علينا﴾ أي: فضلك وقدمك، وآثرت فلاناً على نفسي، أي: قدمته وفضلته، وآثرتك إيثاراً، أي: قدمتك وفضلتك تفضيلاً، وهو مقابل الإستثمار، يقال: استأثر بالشيء على غيره، أي: خص به نفسه واستبد به، ورجل أثّر، أو أثّر أي: يستأثر على أصحابه ويفضل نفسه عليهم في نصيبه، والإستثمار هو الإنفراد بالشيء.

وبعبارة أخرى: الإيثار هو تقديم الغير على النفس، المعبر عنه بالرؤية الاجتماعية ومحبة الآخرين، بينما الإستثمار هو تقديم النفس على الغير، المعبر عنه بالأنانية والاستبداد الفردي.

[بين الأنانية وحب النفس]

أما الأثرة والإستثمار المسمّى بالأنانية: فهو من الصفات الرديئة، والخصال لذيمة، النابعة من حب النفس المفرط، وعبادة الذات المذموم، فإن حب النفس - بما هو هو - غريزة أصيلة في الإنسان، وصفة عريضة فيه، وقد أودعها الله تعالى فيه عن مصلحة وحكمة، لأن إليها يعود نشاط العمران على ظهر المعمورة، وإليها

يرجع السير الحثيث والإتساع المستمر في دائرة الحياة، من التقدم العلمي، والتطور الصناعي والإختراعات والاكتشافات التي طوّرت الحياة، كما أنّها أيضاً السبب لطلب الآخرة وإحرازها، والزحزحة عن الثّار والفوز بالجنّة.

إذن: فغريزة حبّ النفس - بما هي - من لوازم سعادة الإنسان وتقدّم الحياة وتطوّرها، وإنّما الخطر يكمن وراء تضخّم هذه الغريزة وتجبرّها، وخروجها عن حدّ الاعتدال الذي أَرادَه الله تعالى لها، إلى ما حرّمه الله تعالى عليها من الأثانيّة وعبادة الذات، التي قد تصل أحياناً إلى ادّعاء الربوبية كفرعون الذي كان يقول: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾، وكيزيد الذي كان ينشد: «لا خبر جاء ولا وحي نزل».

فإنّ عبادة الذات والعيش في إفرازاتها، حتّى لو كانت تلك الإفرازات حريراً، كالتي تفرزها دودة القزّ، منتهية إلى الإختناق الروحي، ومؤدّية إلى الموت المعنوي، فإنّ الأثاني ميّت في النَّاس حتّى وإن بلغ في الدنيا قمّة المُلْك والسلطان، وإنّ الأثانيّين في كلّ زمان فتنة ساحقة، ولعنة ماحقة، تحترق في سعيها المثل والقيّم، وتذوب في جحيمها الفضائل والمكارم، وتتبخر في مرضاتها مصالح الآخرين أفراداً وجماعات. وقد وصف الله تعالى الفارّين من معركة أحد، والتاركين رسول الله ﷺ وحده بين الأعداء، وصفاً يكشف عن داء الأثانية المتغلغل في نفوسهم، وعن مرض عبادة الذات المتعرّق في قلوبهم، حيث يقول تعالى: ﴿وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾.

[الأثانيون وخطرهم على الدين والمجتمع]

والأثانيون عندما يسلّطون أفكارهم الضيّقة على الدّين الإسلامي الحنيف، يمسحون نصوصه، ويحرّفون أصوله، ويفهمونه ثواباً بلا عمل، وثمرة بلا غرس،

أو عقاباً على الآخرين وحدهم، ونكالاً على الناس سواهم، دون أن يمسّهم منه لفتح، أو يصيبهم منه أذى، وذلك لأنّ الأتانيين محصورون في حدود أنفسهم وإثرتهم، ومقصورون على رؤية مصالحهم الفردية، ومنافعهم الذاتية، لا يفهمون من القرآن إلّا ما يشتهون ومن الإسلام إلّا ما يلبي أهوائهم ومصالحهم، وإنّ هذا لخطر كبير يهدّد كيان الأُمّة وينذر بفناء الدّين والدنيا معاً، ممّا يؤكّد على معالجة الاثرة منذ الطفولة المبكّرة، حتّى تنبت الناشئة وهي تنظر إلى نفسها وإلى غيرها بنظرة معتدلة، ورؤية متّزنة، لا جنف فيها ولا قصور.

ومن هنا يظهر سرّ التأكيد الشديد في الإسلام على تعديل هذه الغريزة، ويُعلم سبب الاهتمام الكبير من أئمة أهل البيت (عليه السلام) على تأطيرها وتحجيمها، وتركيتها وتهذيبها، ففي نهج البلاغة يقول الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)، في وصيّة له لابنه الإمام الحسن المجتبي (عليه السلام): «يا بني! اجعل نفسك ميزاناً بينك وبين غيرك، فأحبب لغيرك ما تحبّ لنفسك، وأكره له ما تكره لها، ولا تظلم كما لا تحب أن تُظلم، وأحسن كما تحب أن يحسن إليك، واستقيح من نفسك ما تستقيح من غيرك، وارض من الناس بما ترضاه لهم من نفسك، ولا تقل ما لا تعلم وقل ما تعلم، ولا تقل ما لا تحب أن يقال لك». وجاء فيما كتبه لعامله محمّد بن أبي بكر: «أحبّ لعامة رعيّتك ما تحبّ لنفسك وأهل بيتك، وأكره لهم ما تكره لنفسك وأهل بيتك، فإنّ ذلك أوجب للحجّة وأصلح للرعيّة».

فالإسلام يحذّر الناس من الأتانيّة ويدعوهم إلى الاعتدال، بل إلى الإيثار وتقديم الآخرين على أنفسهم، وأبو الفضل العباس (عليه السلام) هو أوّل ممثّل لما يدعو إليه الإسلام بعد الأئمة المعصومين (عليهم السلام) في كل مجال وخاصة في مجال الإيثار، وترك الاثرة.

[الإيثار في القرآن والحديث]

هذا بالنسبة إلى الإستثمار، وأمّا بالنسبة إلى الإيثار: فهو من الصفات الحسنة، والخصال الطيبة، ومن مكارم الأخلاق، ومعالي الآداب، فإنّ الإنسان قد يوجد بشيء وهو غنيّ عنه، فهذا هو الجود الممدوح، وقد يوجد بشيء وهو محتاج إليه، وهذا أفضل من الأوّل وهو: الإيثار، ولا يتحلّى بالإيثار إلاّ الأوحدي من الناس، كما أنّه لا يتّصف به إلاّ ذو حظّ عظيم، وقد زخر الكتاب، وكذلك فاضت السّنة النّبويّة، وأحاديث أئمة أهل البيت ﷺ بمدح الإيثار والتأكيد عليه، والثناء على من تحلّى به واتّخذه خلقاً له، ووعدت على ذلك الثواب الكبير، والأجر الجزيل، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾.

[نؤثر به ضيفنا]

جاء في شرح الآيات الباهرة في تفسير هذه الآية المباركة مسنداً: «إنّ رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فشكا إليه الجوع، فبعث رسول الله ﷺ إلى بيوت أزواجه، فقلن: ما عندنا إلاّ الماء، فقال ﷺ: من لهذا الرجل الليلة؟ فقال عليّ بن أبيطالب ﷺ: أنا يا رسول الله، وأتى فاطمة ﷺ فقال لها: عندك يا بنت رسول الله شيء؟ فقالت: ما عندنا إلاّ قوت الصبية، ولكنّا نؤثر به ضيفنا، فقال عليّ ﷺ: يا ابنة محمّد، نؤمي الصبية واطفئي السّراج، فلمّا أصبح غدا على رسول الله ﷺ فنزلت هذه الآية: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾.

[جبرئيل أنبأني بذلك]

وقال في شرح الآيات الباهرة مسنداً أيضاً: بينا عليّ عليه السلام عند فاطمة عليها السلام إذ قالت: إذهب إلى أبي فابغنا منه شيئاً، فقال عليه السلام: نعم، فأتى رسول الله ﷺ فأعطاه ديناراً وقال له: يا علي إذهب فابتغ به لأهلك طعاماً، فخرج من عنده فلقية المقداد بن الأسود، وقاما ما شاء الله أن يقوما وذكر له حاجته، فأعطاه الدينار وانطلق إلى المسجد فوضع رأسه فنام، فانتظره رسول الله ﷺ فلم يأت، ثم انتظره فلم يأت، فخرج يدور في المسجد فإذا هو بعليّ عليه السلام نائم في المسجد، فحرّكه رسول الله ﷺ فقعد، فقال: يا علي! ما صنعت؟ فقال: يا رسول الله! خرجت من عندك فلقيني المقداد بن الأسود، فذكر لي ما شاء الله أن يذكر، فأعطيته الدينار، قال رسول الله ﷺ: أما إن جبرئيل قد أنبأني بذلك، وقد أنزل الله فيك كتاباً: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾.

[أنت يعسوب المؤمنين]

وفي شرح الآيات الباهرة أيضاً عن أبي جعفر عليه السلام مسنداً قال: «أوتي رسول الله ﷺ بمال وحُلل، وأصحابه حوله جلوس، فقسّمه عليهم حتّى لم يبق منه حلّة ولا دينار، فلما فرغ منه جاء رجل من فقراء المهاجرين وكان غائباً، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: أيّكم يعطي هذا نصيبه ويؤثره على نفسه؟ فسمعه عليّ عليه السلام فقال: نصيبي، فأعطاه إياه، فأخذه رسول الله ﷺ فأعطاه الرجل، ثم قال: يا علي! إن الله جعلك سبّاقاً للخير، سخّاءاً بنفسك عن المال، أنت يعسوب المؤمنين، والمال يعسوب الظلمة، والظلمة هم الذين يحسدونك، ويبغون عليك، ويمنعونك حقك بعدي».

[أبشر يا علي !]

وفي الآيات الباهرة أيضاً مُسنداً عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنَّ رسول الله ﷺ لجالس ذات يوم وأصحابه جلوس حوله، فجاء علي عليه السلام وعليه سمل ثوب منخرق عن بعض جسده، فجلس قريباً من رسول الله ﷺ فنظر إليه ساعة، ثم قرأ: ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾ ثم قال رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام: أما إنَّك رأس الذين نزلت فيهم هذه الآية، وسيدهم وإمامهم، ثم قال رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام: أين خلعتك التي كسوتكها يا علي؟ فقال: يا رسول الله! إنَّ بعض أصحابك أتاني يشكو عريه وعري أهل بيته، فرحمته وآثرته بها على نفسي، وعرفت أنَّ الله سيكسوني خيراً منها. فقال رسول الله ﷺ: صدقت، أما إنَّ جبرئيل فقد أتاني يحدثني أنَّ الله اتخذ لك مكانها في الجنة حلّة خضراء من استبرق، وضيقها من ياقوت وزبرجد، فنعم الجواز جواز ربِّك بسخاوة نفسك، وصبرك على سملتك هذه المنخرقة، فابشر يا علي. فانصرف علي عليه السلام فرحاً مستبشراً بما أخبره به رسول الله ﷺ.

نعم، هناك روايات كثيرة في فضل الإيثار، ومدح المؤثرين، منها: قول رسول الله ﷺ: «أَيُّمَا امرئٍ اشتهى شهوة فردَّ شهوته، وآثر على نفسه (أي: آثر الله على نفسه) غُفر له».

وسئل عن الإمام الصادق عليه السلام أيُّ الصدقة أفضل؟ فقال عليه السلام: «جُهد المُقِلِّ، أما سمعت قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾».

[سيّد المؤثرين وإمامهم]

فسيّد المؤثرين وإمامهم بعد رسول الله ﷺ من المعصومين هو: الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

ثم إن سيّد المؤثرين وإمامهم بعد المعصومين عليه السلام هو: أبو الفضل العباس عليه السلام كما قال في حقّه الإمام زين العابدين عليه السلام وذلك في قوله المعروف: «رحم الله عمّي العباس، فلقد آثر» أي: آثر الله، وآثر دين الله، وآثر رسول الله ﷺ الذي كان يمثله الإمام الحسين عليه السلام على نفسه، وإخوته، وكلّ ما يملكه من غال ورخيص، وكما قال في حقّه الإمام الصادق عليه السلام وذلك في زيارته المأثورة عنه حيث جاء فيها: «أشهد أنّك قد بالغت في النصيحة، وأعطيت غاية المجهود» أي: أعطى أبو الفضل العباس عليه السلام كلّ ما في وسعه، وغاية ما يملكه من جدّ وجهد، من بذل نفسه وإخوته، وكلّ طاقاته وإمكاناته، ليشتري به صيانة دين الله، وسلامة حياة إمامه، الممثل لرسول الله ﷺ بين الناس في الأرض، والإمتداد الحقيقي له ﷺ في الأنعام، الإمام الحسين عليه السلام ولو كان ذلك في مقابل بقائه عليه السلام حيّاً بلحظات قليلة.

[نماذج من إيثار أبي الفضل العباس عليه السلام]

نعم، لقد آثر أبو الفضل العباس عليه السلام أخاه الإمام الحسين عليه السلام على نفسه منذ أيامه الأولى، فكان لا يجلس بين يدي أخيه الإمام الحسين عليه السلام إلا بعد أن يأذن له عليه السلام بالجلوس، ثم إذا جلس بعد الإذن له، جلس جلسة العبد بين يدي مولاه، والرقّ أمام سيّده.

وكان من إيثار أبي الفضل العباس عليه السلام أنّه كان يدعو أخاه الإمام الحسين عليه السلام

دائماً بمثل كلمة : سيدي، ومولاي، ويا ابن رسول الله ﷺ، وما أشبه ذلك، ولم يُعهد منه أن يدعو أخاه بكلمة : أخي، وصنوي، وما أشبه ذلك أبداً، إلا في موضع واحد وهو : حين مصرعه ﷺ .

وكان من إيثار أبي الفضل العباس ﷺ أيضاً أنه إذا حصل على شيء أثر به أخاه الإمام الحسين ﷺ وقدمه على نفسه، فقد قُدّم له ذات مرّة وهو في سنيّه الأولى عنقود من العنب الشهي، فأخذه واتّجه نحو باب الدار مسرعاً، فسألوه عما يريد، فأجاب : أريد أن أقدم هذا العنقود من العنب الشهي إلى سيدي ومولاي الإمام الحسين ﷺ، وكذلك فعل .

ومن إيثار أبي الفضل العباس ﷺ أيضاً : خروجه مع الإمام الحسين ﷺ من المدينة يحميه بنفسه، ويبقى أهل بيته بدمه، ويحمل لواءه بيده، ويدبّ عنه طول سفرته، بدءاً بالمدينة المنورة، ومروراً بمكة المكرمة، ومنازل الطريق بين الحجاز والعراق، وانتهاءً بكربلاء، على ما كان في السفر في ذلك الزمان من مشاقّ ومتاعب بصورة عامّة، وما كان في تلك السفرة من تهديدات ومخاوف بصورة خاصّة، فلقد كانت التحركات المشبوهة لبني أميّة تغطّي المنطقة، والرصد الأموي بجواسيسه وعيونه يعقب قافلة الإمام الحسين ﷺ ويراقبه من كثب، وقد أشار الإمام الحسين ﷺ عند خروجه إلى ذلك، فإنه لما خرج من المدينة قرأ قوله تعالى : ﴿ وخرج منها خائفاً يترقب ﴾ .

[من قِم الإيثار]

ولقد ارتقى أبو الفضل العباس ﷺ قُلّة الإيثار، وبلغ قمّته، وذلك حينما وصل موكب الإمام الحسين ﷺ إلى كربلاء، وخاصّة في الأيام الأخيرة، التي كانت

تقترب من يوم عاشوراء، وبالذات في الأيام التي منع بنو أمية فيها الماء وحرّموه على موكب الإمام الحسين عليه السلام حيث كان أبو الفضل العباس عليه السلام يؤثر أطفال أخيه الإمام الحسين عليه السلام بحصّته من الماء.

وعلى الأخص في اليوم الذي ورد فيه كزمان إلى كربلاء ومعه أمان من عبيد الله بن زياد للعباس عليه السلام وإخوته، وكزمان هذا كان مولى لعبد الله بن أبي المحل بن حزام وكانت أم البنين عمّته، فإن ابن أبي المحل هذا كان قد قدم إلى ابن زياد وتوسّط من نفسه لأبناء عمّته عنده، وأخذ لهم منه الأمان، وبعث به مع مولى له إليهم، فلما قدم كزمان برسالة الأمان إلى كربلاء قدّمها إلى أبي الفضل العباس عليه السلام وقال: هذا أمان من ابن زياد بعثه إليكم خالكم عبد الله، فقالوا له: أبلغ خالنا السلام وقل له: لا حاجة لنا في أمان ابن زياد، فإن أمان الله خير من أمان ابن سمية.

وعلى الخصوص في يوم تاسوعاء، وذلك حين ورد الشمر إلى كربلاء ومعه أيضاً أمان من ابن زياد للعباس عليه السلام وإخوته، وكذلك كان معه ما فيه تطميع لهم بإمارة الجيش، وإغراء لهم برتب عسكرية، وأوسمة ونياشين قيادية رفيعة المستوى، وغير ذلك من مغريات، فأقبل حتّى وقف على معسكر الإمام الحسين عليه السلام ونادى: أين بنو أختنا؟ أين العباس وإخوته؟ فأعرضوا عنه ولم يجيبوه، فقال لهم الإمام الحسين عليه السلام: أجيئوه ولو كان فاسقاً، فقاموا إليه وقالوا له: وما تريد يا شمر؟ فقال الشمر مراوغاً ومكاييداً لهم: يا بني أختي! أنتم آمنون، لا تقتلوا أنفسكم مع الحسين، والزمو طاعة أمير المؤمنين يزيد، ثم وعدهم ومناهم، وطمّعهم وأغراهم.

فقال له العباس عليه السلام وبكلّ صلابة وقوّة، ليقطع عنه مكره وخداعه، ويردّ عليه كيده ونفاقه: لعنك الله ولعن أمانك، أتؤمننا وابن رسول الله لا أمان له، وتأمّرنا أن ندخل في طاعة اللّعناء، وأولاد اللّعناء؟

فعرف الشمر فشله في مراوغته، وخيبته في نفاقه، فلم يتكلم معهم بشيء، ورجع خائباً مغضباً.

[العباس ﷺ يؤثر إمامه علي ولديه]

وخصوصاً إيثار أبي الفضل العباس ﷺ في يوم عاشوراء وذلك في موارد عديدة، منها: تقديم ولديه: محمداً وعبدالله، بين يدي الإمام الحسين ﷺ وإيثاره عليهما، وفدائهما له، فإنَّ أبا الفضل العباس ﷺ لما رأى أنَّه لا يملك شيئاً يؤثر به أخاه الإمام الحسين ﷺ ويقدمه فداءً له، سوى نفسه، وولديه، وإخوته، حاول أولاً أن يؤثر بولديه ويقدمهما فداءً لله بين يدي أخيه الإمام الحسين ﷺ وذلك لأنَّ للأولاد في قلب الإنسان من المحبة والعلقة ما لم يكن لأحد غيرهم. فالأولاد أعزَّ شيء على قلب الإنسان وأغلا شيء عنده، وفي الحديث الشريف: «أولادنا أكبادنا» وفي حكمة الشعر والنظم: «أولادنا أكبادنا تمشي على الأرض» ومعلوم: إنَّ فقد الأولاد، والإصابة بهم، من أعظم المصائب، وأشدَّ الفجائع على قلب الأب، وكلَّما كان المصاب أكبر، والفجيرة أعظم، وخاصة إذا كان في سبيل الله ونصرة الحق، كان الأجر أكبر، والثواب أعظم، ولذلك قدَّرت الروايات وعدَّت لفقد الأولاد والمصاب بهم من الأجر ما لم تقدِّره في فقد أحد والمصاب به، وأراد أبو الفضل العباس ﷺ أن ينال هذا الثواب العظيم، ويحصل على هذا الأجر الكبير، قبل أن يفوز هو بالشهادة، فقدَّم ولده وفلذة كبده: محمداً على نقل بعض، وولديه: محمداً وعبدالله، على نقل بعض آخر؛ فداءً بين يدي أخيه الإمام الحسين ﷺ وواسئ في هذه المصيبة الكبرى، والفجيرة العظمى، وهي مصيبة فقد الأولاد أخاه الإمام الحسين ﷺ، وأخته السيِّدة زينب ﷺ، كما أنَّه شاطر أخته السيِّدة زينب ﷺ في كتمان هذه المصيبة، وعدم الإعلان بها، فإنَّ السيِّدة زينب ﷺ لما قدَّمت

ولديها، وفلذتي كبدها: عوناً ومحمّداً، فداءً بين يدي أخيها الإمام الحسين عليه السلام احتسبتهما الله، فلم تحضر مصرعهما، ولم تجهر بالبكاء عليهما، ولم تذكرهما في شيء من مرانيهما، ولم تنوّه باسمهما، ولم تتطرّق لشيء يخصهما، أو يذكر بشهادتهما، كلّ ذلك تجلّداً منها وصبراً، وتفانياً ومواساةً، كي لا تمنّ على أخيها الإمام الحسين عليه السلام بهما، ولا يمسّ أخاها الضرّ من أجلهما، وكذلك كان أبو الفضل العباس عليه السلام بالنسبة إلى شهادة ولديه بين يدي أخيه الإمام الحسين عليه السلام حيث شاطر أخته السيّدة زينب عليها السلام في ذلك.

[إيثار العباس عليه السلام إمامه على إخوته]

ومنها: تقديم إخوته الثلاثة لأُمّه وأبيه، بين يدي الإمام الحسين عليه السلام، وإيثاره عليهم، فإنّ أبا الفضل العباس عليه السلام لما رأى كثرة القتلى من أهله قال لإخوته من أمّه وأبيه وهم: عبدالله، وعثمان، وجعفر: تقدّموا يا بني أمّي حتّى أراكم نصحتهم لله ولرسوله، والتفت إلى عبدالله وكان أكبر من عثمان وجعفر وقال: تقدّم يا أخي حتّى أراك قتيلاً واحتسبك، فكان أوّل من قتل من إخوته، وفي الأخبار الطوال: إنّ أبا الفضل العباس عليه السلام قال لإخوته: تقدّموا بنفسي أنتم وحاموا عن سيّدكم حتّى تموتوا دونه، فتقدّموا جميعاً وقتلوا.

وكم كان صعباً على قلب أبي الفضل العباس عليه السلام العطوف الذي زقّ العاطفة من أبيه، معدن العاطفة والحنان، وإمام الرّأفة والرحمة، الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أن يرى مصارع إخوته من أمّه وأبيه ويقف على أجسادهم المضّرّجة بالدماء، وأشلائهم المقطّعة بالسّيوف؟ ولكن الذي كان يهوّن الخطب، ويسهّل المصاب عليه، هو: أنّ أبا الفضل العباس عليه السلام كان يرى أنّ من واجبه الدّيني والأخلاقي أن يؤثّر أخاه الإمام الحسين عليه السلام على نفسه، وعلى إخوته، وعلى كلّ ما كان يحوطه برعايته من غال ورخيص، فإنّ الله تعالى قد جعل رسوله الخاتم المرسلين أولى

بالمؤمنين من أنفسهم، وجعل رسول الله ﷺ بأمر من الله علياً عليه السلام والأئمة الأحد عشر من بنيه عليه السلام أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وعلى المؤمنين أن يقدموهم على أنفسهم وأهلهم، وأن يؤثروهم على أولادهم وإخوتهم، وذويهم وعشيرتهم، وكذلك فعل أبو الفضل العباس عليه السلام، ولا يبعد أن يكون قد أوصاه أبوه أمير المؤمنين عليه السلام بذلك، وأوكل أمر إخوته من أمه وأبيه إليه ليحتسبهم، تحريضاً وتأكيذاً.

[العباس عليه السلام والإيثار الأخير]

ومنها: أنه لما رأى مصارع إخوته وذويه، ونظر إلى كثرة القتلى منهم، ضاق صدره، وسئم الحياة، فجاء إلى أخيه الإمام الحسين عليه السلام يطلب منه الإجازة ويستأذنه للبراز، ويريد منه السماح والإذن في الانتقام من الأعداء، فلم يأذن له الإمام الحسين عليه السلام ولم يرخصه بذلك، وطلب منه أن يستقي للأطفال والرضعان ماءً، فأثر أبو الفضل العباس عليه السلام إرادة أخيه الإمام الحسين عليه السلام على إرادته، وقدم طلب إمامه على طلبه، فترك النزال والقتال، وراح يستقي للنساء والأطفال، مستقبلاً مصاعب هذه المهمة برحابة صدر، وسعة باع، ولولا الختل وغدر الأعداء لأنجز أبو الفضل العباس عليه السلام مهمته هذه بنجاح كما أنجز التي كانت قبلها بنجاح أيضاً، ولما استطاع العدو أن يحول بينه وبين إيصال الماء إلى الخيام، فإن العدو الجبان كان قد كمن له في هذه المرة من وراء النخلة، واغتاله جبناً ولؤماً، حتى استشهد سلام الله عليه دون أن يوصل الماء إلى المخيم، مؤثراً أخاه على نفسه، وباذلاً دمه في نصرته، كما قال فيه الإمام زين العابدين عليه السلام: «رحم الله عمي العباس، فلقد آثر، وأبلى، وفدى أخاه بنفسه».

الخصيصة الثلاثون :

« في أنه ﷺ المواسي »

أحقّ النَّاس أن يُبكى عليه
أخوه وابن والده عليّ
ومن واساه لا يثنيه شيء
وقال آخر:

لم يذق الفرات أسوة به
لم ير في الدين يبلّ غلّة
والمرتضى أوصى إليه في ابنه
لذاك قد أسنده لدينه
هذا من الشرع يرى فعلته
ومثله الحسين لما ملك الماء
أمّ الخيام نافضاً لمائه
فكان للعباس فيه أسوة
مياماً بمائه نحو الخبا
وصنوه فيه الظّما قد ألها
وصيّة صدّته عن أن يشربا
وعن يقين فيه لن يضطربا
ومن صراط أحمد ما ارتكبا
فثقيل رحله قد نُهبّا
إذ عظم الأمر به واعصّوصبا
إذ فاض شهماً غير مفلول الشبا

وقال الشيخ جعفر بن نما الحلّي وهو يصف مواساة أبي الفضل العباس ﷺ :

حقيق بالبكاء عليه حزناً
وجاهد كلّ كفّار ظلوم
أبوالفضل الذي واسى أخاه
وقابل من ضلالهموا هداه

فداه بنفسه لله حتّى
تفرّق من شجاعته عداه
وجادله على ظمأ بماء
وكان رضا أخيه مبتغاه
وقال آخر:

لا تنس للعباس حسن مقامه
بالطف عند الغارة الشعواء
واسا أخاه بها وجاد بنفسه
في سقي أطفال له ونساء
ردّ الألوف على الألوف معارضا
حدّ السيوف بجهة غراء
وقال الشيخ محسن أبوالحب في مواساة أبي الفضل العباس عليه السلام في قصيدة
يحكي بها لسان حال العلقمي ومصرع العباس عليه السلام بجنبه:

جزى الله عني في المواساة عمهم
أبا الفضل خيراً لو شهدت أبا الفضل
لقد كان سيفاً صاغه بيمينه
عليّ فلم يحتج شباه إلى الصقل
إذا عدّ أبناء النبي محمّد
رآه أخاهم من رآه بلا فضل
ولم أر ضام حوله الماء قبله
ولم يرو منه وهو ذا مهجة تغلي
وما خطبه إلا الوفاء وقلّ ما
يرى هكذا خلأً وفياً مع الخلّ

[وسام : المواساة]

ومما يشهد لمواساة أبي الفضل العباس عليه السلام أن جاء في زيارته المعروفة،
المأثورة عن الإمام الصادق عليه السلام: «أشهد لقد نصحت لله، ولرسوله، ولأخيك، فنعم
الأخ المواسي» وهذا وسام - وأكرم به من وسام، وسم به الإمام الصادق عليه السلام عمّه
أبا الفضل العباس عليه السلام.

ولم يكن الإمام الصادق عليه السلام هو وحده الذي منح عمّه أبا الفضل العباس عليه السلام
هذا الوسام، بل اقتدى الإمام الهادي عليه السلام بأبيه: الإمام الصادق عليه السلام ووسم عمّه

العباس عليه السلام بهذا الوسام أيضاً، وذلك في الزيارة الصادرة عن الناحية المقدسة سنة مائتين واثنين وخمسين هجرية، حيث جاء فيها: «السلام على أبي الفضل العباس، المواسي أخاه بنفسه، الآخذ لغده من أمسه، الواقى له، الساعي إليه بمائه، المقطوعة يداه».

ومن المعلوم: إن حصول أبي الفضل العباس عليه السلام على وسام: «المواساة» من قبل إمامين همامين، معصومين مسددين، من قبل الله تبارك وتعالى، لهو خير دليل على بصيرة أبي الفضل العباس عليه السلام في دينه، ومعرفته بحق إمامه، وإخلاصه في مواساته له.

[الوصية بالمواساة، والوفاء بها]

بل كانت مواساة أبي الفضل عليه السلام وفاءً لما عاهد عليه أباه أمير المؤمنين عليه السلام، وتنفيذاً لوصيته عليه السلام التي أوصاه بها ليلة الحادية والعشرين من شهر رمضان، وذلك في اللحظات الأخيرة التي ودّع بها أمير المؤمنين عليه السلام أهل بيته وذويه، وأولاده وبنيه، فلقد جاء في التاريخ كما عن معالي السبطين وغيره: «إنه لما كانت ليلة إحدى وعشرين من شهر رمضان عام أربعين هجرية، أي: في الليلة الأخيرة من عمر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أخذ الإمام يوّدع أهل بيته، ويوصيهم بوصاياهم، فالتفت إلى ولده أبي الفضل العباس عليه السلام من بين أولاده، وقربه من نفسه، وضمه إلى صدره وقال له: ولدي عباس! وستقرّ عيني بك في يوم القيامة، ولدي إذا كان يوم عاشوراء، ودخلت الماء، وملكت المشرعة، فأياك أن تشرب الماء وأن تذوق منه قطرة، وأخوك الحسين عليه السلام عطشان». ولذا عندما قرب أبو الفضل العباس عليه السلام الماء من فمه، بعد أن ملك المشرعة تذكّر عطش أخيه، وجال في ذهنه وصية أبيه، فرمى الماء على الماء، وملاً القربة وخرج عطشاناً مواساة ووفاءً.

[مواساة العباس ﷺ للسيدة زينب ﷺ]

كما أن مواساة أبي الفضل العباس ﷺ كان وفاءً منه لما عاهد عليه أباه أمير المؤمنين ﷺ في حقّ أخته المبجّلة، عقيلة بني هاشم، السيدة زينب ﷺ وذلك في ليلة إحدى وعشرين من شهر رمضان أيضاً، أي: في ليلة استشهاد الإمام أمير المؤمنين ﷺ حيث كان ﷺ قد جمع خاصّته وذويه، وأولاده وبنيه للوداع معهم، فقد ورد: أن السيدة زينب ﷺ لما رأت أباه أمير المؤمنين ﷺ قد جمع أولاده وأهل بيته ساعة الاحتضار، وأخذ يودّعهم، ويوصيهم، ويعيّن الوصي والإمام من بعده عليهم، تقدّمت إليه وقالت بكلّ حزن وأسى على ما كانت تراه بأبيها وعلى ما أخبرها به من وقعة كربلاء: أريد يا أبتاه وأنت بعد في الحياة أن تختار لي من إخوتي من يواسيني في رخائي وشدّتي، ويكفلني في سفري وحضري.

فقال لها أمير المؤمنين ﷺ بكلّ عطف وحنان: هؤلاء إخوتك ورجال أهل بيتك، فاختاري منهم من تريدن، فإنّهم أكفاء لما ترومين.

ف قالت ﷺ وببصيرة كاملة: يا أبتاه! إنّ الحسن والحسين ﷺ أثمّتي وسادتي، وعلى أن أخدمهما وأقوم بحمايتهما، وأن أواسيهما وأوثرهما على نفسي، ولكنّي أريد من إخوتي من يخدمني ويواسيني، ويقوم بحمايتي وكفّالتي.

فقال ﷺ لها وهو يرقّ على حالها ومصايبها بأبيها: اختاري منهم من شئت. فأجالت السيدة زينب ﷺ ببصرها على إخوتها حتّى إذا وقع نظرها على أخيها أبي الفضل العباس ﷺ لم تتجاوزّه إلى غيره، وإنّما التفتت إلى أبيها أمير المؤمنين ﷺ وأشارت بيدها إلى أخيها أبي الفضل العباس ﷺ وقالت: يا

أبتاه! أريد أخي هذا.

عندها التفت الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إلى ولده أبي الفضل العباس عليه السلام وأشار عليه بالدنوّ منه، فلمّا دنا منه أخذ بيده ووضع يد السيّدّة زينب عليها السلام في يده وقال: ولدي عباس! عليك بأختك هذه، فإنّها بقيّة أمّها الزهراء عليها السلام فلا تقصّر في خدمتها ورعايتها، ولا تتوان في حفظها وحمايتها.

فقال أبو الفضل العباس عليه السلام وقد تحادرت دموعه على خديّه: يا أبتاه لأنعمنك عينا، ولأكوننّ عند حسن ظنك، فإنّي سأبذل قصارى جهدي، وغاية جدّي ومجهودي في حفظها وحراستها، وأرعى حرمتها وحقّها.

وهنا أخذ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يطيل النظر إلى ولده العباس عليه السلام وإلى ابنته السيّدّة زينب عليها السلام ويبكي من موقفهما وموافقتهما، وكأنّه يستعرض ما سيجري عليهما ويتذكّر ما سيصيبهما من الشهادة والأسر في كربلاء.

فكان أبو الفضل العباس عليه السلام نعم الأخ المواسي ليس لأخيه فحسب، بل لأخته أيضاً؛ فإنّه هو الذي واسى أخاه الإمام الحسين عليه السلام في عطشه، فلم يشرب الماء مع الحصول عليه والوصول إليه، كما أنّه واسى في نفس الوقت أخته المكرّمة عقيلة بني هاشم، السيّدّة زينب عليها السلام عطشها وظمأها أيضاً، إضافة إلى وفائه بالمهد لهما، وتنفيذه وصيّ أبيه بالنسبة إليهما صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

[أبوذر يواسي الرسول ﷺ]

وجاء في تفسير عليّ بن إبراهيم عند تفسير سورة التوبة في واقعة تبوك، وغيره من الكتب الأخرى: إنّ أباذر تخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك ثلاثة أيّام وذلك لأنّ جملة كان أعجف، وقد وقف عليه في بعض الطريق، فلمّا

أبطاً عليه تركه وأخذ متاعه وثيابه، فحمله على ظهره، ولحق برسول الله ﷺ ماشياً، فأدركه بعد ثلاثة أيام كاملة، وكان رسول الله ﷺ قد نزل في بعض منازل، فلما ارتفع النهار نظر المسلمون إلى شخص مقبل، فقالوا: يا رسول الله إن هذا الرجل يمشي على الطريق وحده، فقال رسول الله ﷺ: كن أباذر، فلما تأمله القوم قالوا: يا رسول الله هو والله أبوذر، فقال رسول الله ﷺ: أدركوه بالماء فإنه عطشان، فأدركوه بالماء، ووافى أبوذر رسول الله ﷺ ومعه إداوة فيها ماء، فقال له: يا أباذر! معك ماء وعطشت؟ فقال: نعم يا رسول الله! بأبي أنت وأمي، إنتهيت إلى صخرة عليها ماء السماء، فذقته فإذا هو عذب بارد، فقلت: لا أشربه حتى يشربه حبيبي رسول الله ﷺ. فقال له رسول الله ﷺ: رحمك الله يا أباذر! أنت المطرود عن حرمي بعدي لمحبتك لأهل بيتي، تعيش وحدك، وتموت وحدك، وتبعث وحدك، وتدخل الجنة وحدك، يسعد بك قوم من أهل العراق، يتولون غسلك وتجهيزك والصلاة عليك ودفنك، أولئك رفقاؤني في جنة الخلد التي وعد المتقون.

[الرسول ﷺ يشكر أباذر]

نعم، إن رسول الله ﷺ يشكر أباذر على مواساته، ويدعوه بقوله: رحمك الله يا أباذر، ويخبره بما يجري عليه من بعده في سبيل الله ومحبة رسوله وأهل بيته صلوات الله عليهم، ويبشّره والذين يقومون بتجهيزه بالجنة، كل ذلك جزاءً له على مواساته، وتقديراً له على إنسانيته، ومن المعلوم أن شكر رسول الله ﷺ أباذر إنما هو شكر الله على لسان رسوله ﷺ، فإن الرسول ﷺ لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

وقد شكر الله تعالى مواساة أبي الفضل العباس عليه السلام أخاه الإمام الحسين عليه السلام ولكن لا على لسان رسوله ﷺ إذ لم يكن الرسول ﷺ في الحياة، بل على لسان وصي رسوله الإمام الصادق عليه السلام وذلك في الزيارة المعروفة، المأثورة عنه عليه السلام في حق عمه أبي الفضل العباس عليه السلام حيث جاء فيها: «السلام عليك أيها العبد الصالح، المطيع لله ولرسوله ولأمير المؤمنين إلى أن يقول عليه السلام: أشهد وأشهد الله: أنك مضيت على ما مضى به البدريون، والمجاهدون في سبيل الله، المناصحون له في جهاد أعدائه، المبالغون في نصرته أوليائه، الذابون عن أحبائه، فجزاك الله أفضل الجزاء، وأكثر الجزاء، وأوفر الجزاء، وأوفى جزاء أحد ممن وفى ببيعته، واستجاب له دعوته، وأطاع ولادة أمره» وفي مكان آخر من الزيارة: «السلام عليك يا أبا الفضل العباس بن أمير المؤمنين إلى أن يقول: أشهد لقد نصحت لله ولرسوله ولأخوك، فنعم الأخ المواسي».

وعلى لسان الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام، وذلك حيث يقول عليه السلام في زيارة الناحية المقدسة على ما مر: «السلام على أبي الفضل العباس، المواسي أخاه بنفسه».

بل إن الله تعالى قد شكر العباس ابن علي عليه السلام على لسان رسوله ﷺ بلا واسطة، وذلك لما قد تواتر عند الفريقين من قول النبي ﷺ في حق الإمام الحسين عليه السلام: «حسين مني وأنا من حسين» فيكون مواساة أبي الفضل العباس عليه السلام لأخيه الإمام الحسين عليه السلام هو مواساة للنبي ﷺ، وإذا كان النبي ﷺ قد شكر - على ما عرفت - أباذر على مواساته، فهو لمواساة أبي الفضل العباس عليه السلام الذي كان أعظم من مواساة أبي ذر أكثر شكراً، وأكبر تقديراً.

[المواساة : سيّد الأعمال]

هذا وقد جاء فيما أوصى به النبي ﷺ علياً عليه السلام - علي ما في كتاب الخصال - أن قال له : « يا علي ! سيّد الأعمال ثلاث خصال : إنصافك الناس من نفسك ، ومواساتك الأخ في الله عزّ وجلّ ، وذكرك الله تبارك وتعالى على كلّ حال » .
وفي أمالي الطوسي عن الحذاء مسنداً قال : « قال أبو عبد الله عليه السلام : ألا أخبرك بأشدّ ما افترض الله على خلقه ؟ إنصافك الناس من أنفسهم ، ومواساة الإخوان في الله عزّ وجلّ ، وذكر الله على كلّ حال ، فإن عرضت له طاعة الله عمل بها ، وإن عرضت له معصية تركها » .

وفي الكافي عن الحسن البرّاز قال : « قال لي أبو عبد الله عليه السلام : ألا أخبرك بأشدّ ما فرض الله على خلقه ؟ قلت : بلى . قال عليه السلام : إنصاف الناس من نفسك ، ومواساتك أخاك ، وذكر الله في كلّ موطن ، أما إني لا أقول : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، وإن كان هذا من ذاك ، ولكن ذكر الله في كلّ موطن إذا هجمت على طاعة أو على معصية » .

[الوفاء من سمات المؤمنين]

كما أنّ صدق الوعد ، والوفاء بالعهد هو أيضاً من الخصال الحميدة ، والصفات الكريمة ، التي مدحها الله تعالى في كتابه وجعلها من صفات المؤمنين وعلاماتهم ، ومدح الملتزمين بها فقال : ﴿ واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد ﴾ . وفي الخصال عن أبي مالك مسنداً قال : « قلت لعليّ بن الحسين عليه السلام : أخبرني بجميع شرايع الدين قال عليه السلام : قول الحق ، والحكم بالعدل ، والوفاء بالعهد » .

وفي الخصال أيضاً عن أبي عبد الله عليه السلام مسنداً قال: «ثلاث لم يجعل الله لأحد من الناس فيهنّ رخصة: برّ الوالدين برّين كانا أو فاجرين، والوفاء بالعهد للبرّ والفاجر، وأداء الأمانة إلى البرّ والفاجر».

وفي الخصال أيضاً عن الإمام الرضا، عن آبائه عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ: من عامل الناس فلم يظلمهم، وحدثهم فلم يكذبهم، ووعدهم فلم يخلفهم، فهو ممّن كملت مروءته، وظهرت عدالته، ووجبت إخوته، وحرمت غيبته».

وفي كشف الغمّة مسنداً عن الإمام الرضا عن آبائه، عن علي عليه السلام قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: عدة المؤمنين نذر لا كفارة له».

وفي مشكاة الأنوار عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: «إنّا أهل البيت نرى ما وعدنا علينا ديناً كما صنع رسول الله ﷺ».

وأبو الفضل العباس عليه السلام هو فرع هذا البيت الطاهر، الذي يرى ما وعده ديناً عليه، ويعلم أنّ العهد حق للغير في ذمّته، ولا بدّ من الوفاء به والأداء إليه.

[من وفاء أبي الفضل عليه السلام]

ومن هنا يُعلم صحّة ما جاء في بعض المقاتل: من أنّ الإمام الحسين عليه السلام لما جاء ووقف على مصرع أخيه أبي الفضل العباس عليه السلام وأراد أن يحمله إلى المخيم حيث فسطاط الشهداء، أقسم عليه أبو الفضل العباس عليه السلام بحقّ جدّه رسول الله ﷺ أن يتركه في مكانه، معترفاً عن ذلك: بأنّه قد وعد سكينه بالماء وهو يستحي منها، حيث لم يستطع على الوفاء لها.

ويُعلم أيضاً صحّة ما روي: من أنّ أبا الفضل العباس عليه السلام لم يكن ليدعو يوماً

أخاه الإمام الحسين عليه السلام بكلمة: «يا أخى» أو «يا صنوي» أو «يا ابن والدي» أو ما أشبه ذلك، وإنما كان يدعو دائماً وأبداً بكلمة: «سيدي ومولاي» أو: «يا ابن رسول الله ﷺ» أو ما أشبه ذلك، وفاءً منه لإمامه، وتأدباً منه مع من جعله الله تعالى أولى به من نفسه، إلا في مكان واحد دعى أخاه بكلمة: «يا أخى» وهو حين هو من على ظهر جواده إلى الأرض.

وينقل أيضاً: إن ملكة الهند توصلت في حاجة لها بأبي الفضل العباس عليه السلام ونذرت إن قضى الله لها حاجتها أن تطلي منائر الروضة العباسية المباركة بالذهب، فقضى الله لها حاجتها ببركة أبي الفضل العباس عليه السلام، فعزمت على أن تبرّ نذرها وتفي بعهداها، فأخذت معها ذهباً كثيراً، واصطحبت في سفرها مهندسين ماهرين بارعين، واتّجهت نحو المشاهد المشرفة، والأعتاب المقدسة.

حتى إذا وصلت الملكة بموكبها إلى كربلاء المقدسة، وحاولت أن تبدأ عملية تطلية المنائر بالذهب، إذ قد تمّ إعداد كل شيء، واستعدّ المهندسون والعمال لأن يبدأوا عملهم في الصباح المبكر من يوم غد، لكن في نفس الليلة التي كان من المفروض أن يبدأ عمل التذهيب في صبيحتها، رأى سادن الروضة العباسية المباركة، أبا الفضل العباس عليه السلام في منامه، وهو يقول له ما معناه: إنني لا أرضى بتذهيب منائر روضتي، فإن منائر روضة سيدي الإمام الحسين عليه السلام مذهبة، ويلزم الاحتفاظ بالفرق بين روضة العبد وروضة سيده.

وفي الصباح المبكر وقبل أن يبدأ المهندسون عملهم، أقبل سادن الروضة العباسية المباركة، وأخبرهم بما قاله أبو الفضل العباس عليه السلام، وأدّى رسالته إليهم، فكفّوا عن العمل، وصرّوا الذهب الذي جاءت به ملكة الهند بحساب أبي الفضل العباس عليه السلام في مورد آخر، وبقي إلى يومنا هذا، الفرق الذي أراده أبو الفضل العباس عليه السلام لمنائر روضته، فارقاً مع منائر روضة أخيه الإمام الحسين عليه السلام.

نعم، إنَّ تأدب أبا الفضل العباس عليه السلام ووفائه لأخيه الإمام الحسين عليه السلام لم يكن مقصوراً على أيام حياته، بل بقي مستمراً حتى بعد شهادته عليه السلام، علماً بأنَّ الشَّهداء أحياء عند ربِّهم يرزقون، فكيف بشهيد يغطه جميع الشهداء يوم القيامة مثل أبي الفضل العباس عليه السلام؟ ومعه فلا عجب إذن من هذه القصة وأمثالها، ممَّا يدلُّ على وفاء أبي الفضل العباس عليه السلام وحسن ادبه مع أخيه الإمام الحسين عليه السلام، وكبير وفائه مع شيعته ومحبِّيه، وروَّاده وزائريه والآمِّين له والوافدين عليه.

الخصيصة الواحدة والثلاثون :

« في أنه عليه السلام الحامي والمحمي »

يقال : حاميت عنه محاماةً . أي : منعته من العدو ، ودافعت عنه ، فالحامي والمحمي هو الذي يمنع الإنسان من عدوه ويدافع عنه ، وأبو الفضل العباس عليه السلام كان خير حامٍ ومحامٍ لأخيه الإمام الحسين عليه السلام حتى أنه جاء في زيارة أبي الفضل العباس عليه السلام المأثورة عن الإمام الصادق عليه السلام أجمل الثناء على أبي الفضل العباس عليه السلام وأفضل المدح والدعاء له ، لحمايته عن أخيه الإمام الحسين عليه السلام ونصرته له ، وذلك حيث يقول عليه السلام : « فنعم الصابر المجاهد ، المحامي الناصر ، والأخ الدافع عن أخيه » .

وقال السيد جعفر الحلبي عن لسان الإمام الحسين عليه السلام وهو يندب أخاه أبا الفضل العباس عليه السلام لما وقف على مصرعه :

أأخي من يحمي بنات محمد إن صرن يسترحمن من لا يرحم ؟
ما خلعت بعدك أن تُشل سواعدي وتكف باصري وظهري يُقصم
وقال آخر :

أولست تسمع ما تقول سكينه عماه يوم الأسر من يحميني ؟
إذن ، فالعباس عليه السلام هو من شهد له الإمام الصادق عليه السلام والتاريخ ، وأقر له الشعراء والأدباء ، بالحماية عن أخيه الإمام الحسين عليه السلام والدفاع عنه ، ولا بأس

بأن نذكر هنا بعض تلك المواقف التي بدت فيها حماية أبي الفضل العباس عليه السلام ومحاماته عن أخيه الإمام الحسين عليه السلام جليّة وواضحة:

[العباس عليه السلام على باب الوليد]

لقد كان أبو الفضل العباس عليه السلام بمواقفه المحمودّة، وسيرته الطيّبة، قد احتلّ لنفسه في قلب أخيه الإمام الحسين عليه السلام مكاناً مرموقاً، ومنزلة رفيعة، بحيث صار مورد اعتماده، ومحلّ ثقته، ومن يعولّ عليه، ويطمئنّ إلى نجاته وحمايته، حتّى أنّه لَمّا مات معاوية وكتب يزيد إلى والي المدينة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، بأن يأخذ الإمام الحسين عليه السلام بالبيعة له، وإنّ أباي ضرب عنقه وأرسل برأسه إليه، أنفذ الوليد إلى الإمام الحسين عليه السلام في الليل واستدعاه، فعرف الإمام الحسين عليه السلام ما يريد، فدعى ثلاثين رجلاً من أهل بيته ومواليه - ولا شكّ أنّه كان على رأسهم أخوه الوفي أبو الفضل العباس عليه السلام - وأمرهم بحمل السلاح وقال لهم: إنّ الوليد قد استدعاني في هذا الوقت، ولست آمن أن يكلفني فيه أمراً لا أجيب إليه، وهو غير مأمون، فكونوا معي، فإذا دخلت إليه فاجلسوا على الباب، فإن سمعتم صوتي قد علا، فادخلوا عليه لتمنعوه عني.

وكان كما قال عليه السلام، فإنّ الوليد دعاه إلى بيعة يزيد فامتنع الإمام الحسين عليه السلام من ذلك وقال: إنّنا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، بنا فتح الله، وبنا يختم، ويزيد رجل شارب الخمر، وقاتل النفس المحرّمة، ومعلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله، ولكن نصبح وتصبحون، وننظر وتنظرون أيّنا أحقّ بالخلافة؟

وكان مروان حاضراً، فأشار على الوليد بحبس الإمام الحسين عليه السلام حتّى

يباع أو يضرب عنقه، وأغلظ الوليد في كلامه له عليه السلام، فعلا صوت الإمام الحسين عليه السلام مع مروان والوليد، فهجم على الوليد قصره كل من كان مع الإمام الحسين عليه السلام بالباب وقد شهبوا أسلحتهم وأحاطوا بالإمام الحسين عليه السلام يحمونه ويحامون عنه وأخرجوه إلى منزله.

ومن المعلوم: أن الأخ الحامي، والصنو المحامي، أعني: أبا الفضل العباس عليه السلام كان بلا شك هو قائد هؤلاء الثلاثين الذين دخلوا على الوليد لحماية الإمام الحسين عليه السلام والدفاع عنه.

[موقف العباس عليه السلام ليلة عاشوراء]

ثم إن الإمام الحسين عليه السلام لما جمع أصحابه وأهل بيته ليلة العاشر من المحرم وخطب فيهم خطبة أخبرهم فيها بأن القوم لا يطلبون سواه، وأنهم لو أصابوه لذهلوا عن غيره، أذن لهم بالانصراف عنه قائلاً: «ألا وإني أظن يومنا من هؤلاء الأعداء غداً، وإني قد أذنت لكم، فانطلقوا جميعاً في حلّ، ليس عليكم مني ذمام، وهذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً، وليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي، فجزاكم الله جميعاً خيراً، وتفرّقوا في سوادكم ومدائنكم». فكان أوّل من قام وأجاب، وبدأ القوم بالكلام، هو: أخوه أبو الفضل العباس عليه السلام، فإنه أجاب جواب الحامي الوفي، والمحامي الناقد البصير، جواباً فتح على الآخرين كيف يجيبون إمامهم: الإمام الحسين عليه السلام حتّى يرضى الله عنهم ورسوله، وعرفهم كيف يقفون من إمامهم: الإمام الحسين عليه السلام موقف النصح والوفاء، والنبل والشرف، لينالوا عزّ الدنيا وكرامة الآخرة، إنّه قام فقال: «لمَ تفعل ذلك؟ لنبقى بعدك؟ لا أرانا الله ذلك أبداً» وقام الآخرون وقالوا ما يشبه هذا الكلام، فأجابهم الإمام الحسين عليه السلام وهو

يشكرهم على معرفتهم وشعورهم الطيب، ويشني على إيمانهم وإخلاصهم البالغ، بقوله: «إني لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي، ولا أهل بيت أبر ولا أوصل من أهل بيتي، فجزاكم الله عني خيراً». وأبو الفضل العباس عليه السلام هو أول من فاز بهذا الوسام، وناله بكفاءة.

[يوم عاشوراء وبطولة العباس عليه السلام]

نعم، كان أبو الفضل العباس عليه السلام هو الحامي الكفوء، والمحامي الشجاع، والمدافع الجريء، الذي كان يجاهد بثبات، ويدافع بعزم وبصيرة عن أخيه الإمام الحسين عليه السلام، وعن أهل بيته وأسرته، بل عن كل معسكر الإمام الحسين عليه السلام، إذ كان معسكر الإمام الحسين عليه السلام آمناً بوجوده، مطمئناً إلى قيادته وحمايته، مفتخراً بنجدته وشهامته، فلقد جاء في تاريخ الطبري وغيره: إن أصحاب الإمام الحسين عليه السلام بعد الحملة الأولى التي استشهد فيها خمسون منهم، كان يخرج الإثنان والثلاثة والأربعة، وكلّ يحمي الآخر من كيد عدوّه، فكان ممّن خرج الجابريّان، وقاتلا حتّى قُتلا، والغفاريّان، فقاتلا معاً حتّى قُتلا، والحرّ الرياحي ومعه زهير بن القين يحمي ظهره فقاتلا ساعة، وكان كلّما شدّ أحدهما واستلحم، شدّ الآخر واستنقذه، حتّى قُتل الحرّ، وكان ممّن خرج أيضاً: عمرو بن خالد الصيداوي وسعد مولا، وجابر بن الحارث السلماني، ومجع بن عبد الله العائذي، فشدّوا جميعاً على أهل الكوفة، فلمّا أوغلوا فيهم عطف عليهم الناس من كلّ جانب وقطعهم عن أصحابهم، فندب إليهم الإمام الحسين عليه السلام أخاه أبا الفضل العباس عليه السلام فاستنقذهم بسيفه وقد جرحوا بأجمعهم، والشاهد هنا هو: في انتداب الإمام الحسين عليه السلام أخاه أبي الفضل العباس عليه السلام لهذه المهمة الصعبة، مهمة استنقاذ

المنقطعين، والأصعب منه هو: قوة أبي الفضل العباس عليه السلام على إنقاذهم من بين تلك الجموع التكدسة، والحشود الغفيرة، فإنه عليه السلام أنقذهم على ما بهم من جراح، وأثبت بذلك حمايته لأخيه ولمن كان مع أخيه.

[العباس عليه السلام واللقاء بين المعسكرين]

ثم إنه لما أراد الإمام الحسين عليه السلام أن يلتقي بعمر بن سعد ويتمّ الحجة عليه، أرسل إليه عمرو بن قرصة الأنصاري يطلب منه اللقاء به ليلاً بين المعسكرين، فلما جنّ الليل وحان وقت اللقاء خرج كلّ منهما في عشرين فارساً، حتّى إذا التقيا بين المعسكرين - وكان هذا هو اللقاء الأوّل من نوعه - أمر الإمام الحسين عليه السلام من معه أن يتأخّر إلّا أخاه أبا الفضل العباس عليه السلام وابنه عليّاً الأكبر عليه السلام، وفعل ابن سعد كذلك وبقي معه ابنه حفص وغلّامه دريد. عندها التفت الإمام الحسين عليه السلام - وقد حفّ به أخوه الحامي له، والمحمي عنه أبو الفضل العباس عليه السلام، وابنه الكميّ الوفيّ عليّ الأكبر - إلى ابن سعد وقال له: ويلك يا ابن سعد! أما تتقي الله الذي إليه معادك؟ أتقاتلني وأنا ابن من علمت؟ ذر هؤلاء القوم وكن معي، فإنه أقرب لك إلى الله تعالى.

فقال عمر بن سعد: أخاف أن تهدم داري.

فقال الإمام الحسين عليه السلام: أنا أبنها لك.

فقال عمر: أخاف أن تؤخذ ضيعتي.

فقال الإمام الحسين عليه السلام: أنا أخلف عليك خيراً منها من مالي بالحجاز، وفي رواية أنه عليه السلام قال له: أعطيك البغيضة، علماً بأنها كانت ضيعة عظيمة، فيها عين تتدقّق كعنق البعير، وبها نخل وزرّع كثير، وقد دفع معاوية فيها ألف ألف

دينار (أي مليون مثقال ذهب) ليشتريها، فلم يبيعها عليه السلام منه.

وهنا عندما انقطعت اعذار ابن سعد ابدى في جواب الإمام الحسين عليه السلام مقالة أبان فيها عن نفاقه الباطن، وكفره المكتوم، مقالة تكشف عن سوء نيته بالنسبة إلى نبيه وآل نبيه صلوات الله عليهم، وتعبر عن عدم غيرته على نبيه وعلى أهل بيته وحُرْمه، وعقائله ومخدراته، مقالة تبدي رضاه بسبي آل الرسول ﷺ وتخدير إمامته هو ونسائه، مع أن الله تعالى جعل الرسول ﷺ وأهل بيته عليهم السلام أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وأمرهم بأيموتوا دونهم، وأن يحفظوهم بأنفسهم وأموالهم، وأهلهم وعشيرتهم، لقد تجاهل ابن سعد كل أوامر الله تعالى بالنسبة إلى رسوله ﷺ وأهل بيت رسوله عليهم السلام وهو لم يكن ممن يجهلها، وانبرى يقول بكل صلافة: إن لي بالكوفة عيالاً وأخاف عليهم.

وهنا لما رأى الإمام الحسين عليه السلام شدة جفاء ابن سعد وعظيم صلافته، وتفضيل عياله على عيال رسول الله ﷺ وعيالات أهل بيته عليهم السلام، وهو ممن يعلم بوجوب حق ﷺ وأهل بيته عليهم السلام عليه، آيس منه ومن هدايته، وانقطع رجاؤه من انابته وأوبته إلى الحق، فتركه وانصرف وهو يقول: مالك ذبحك الله على فراشك عاجلاً، ولا غفر لك يوم حشرك، فوالله إنني لأرجو أن لا تأكل من بُرِّ العراق إلا يسيراً.

فأجاب ابن سعد وقد شغف قلبه حبّ الدنيا، وغطى عقله وعود حكومة الري، ولو كان بضمن قتل ابن بنت نبيه ﷺ وقال مستهزئاً: في الشعر كفاية عن البر. ولكن الإستهزاء بكلام المعصومين والناصحين، وعدم الإكتراث بنصائحهم ومواعظهم، لا يجزّ على الإنسان إلا الندم والحسرة، ولا يعود عليه إلا بالضلال والخسران المبين، وكذلك كان مصير ابن سعد فقد خسر الدنيا والآخرة.

[الراية في حماية العباس ﷺ]

ولما كان يوم عاشوراء وعبأ الإمام الحسين ﷺ أصحابه للقتال، أعطى الراية أخاه أبا الفضل العباس ﷺ وخصه بها من بين جميع أهل بيته وأصحابه، وإن هذا ليلدلّ على جدارة أبي الفضل العباس ﷺ بحماية الراية وحفظها، وكفائته في القيام بهذه المهمة، مهمة الدفاع والحماية عن معسكر الإمام الحسين ﷺ ومحاماته لهم. وبعد أن عبأ الإمام الحسين ﷺ أصحابه وأعطى الراية أخاه أبا الفضل العباس ﷺ دعا براحلته فركبها ونادى بصوت عال يسمعه جلهم قائلاً: «أيّها الناس اسمعوا قولي، ولا تعجلوا حتّى أعظكم بما هو حقّ لكم عليّ، وحتّى أعتذر إليكم من مقدمي عليكم، فإن قبلتم عذري، وصدقتم قولي، وأعطيتموني النّصف من أنفسكم، كنتم بذلك أسعد، ولم يكن لكم عليّ سبيل، وإن لم تقبلوا منّي العذر، ولم تعطوا النّصف من أنفسكم، فاجمعوا أمركم وشركاءكم، ثم لا يكن أمركم عليكم غمّة، ثم اقصوا إليّ ولا تنظرون، إنّ وليّ الله الذي نزل الكتاب وهو يتولّى الصّالحين». فلما سمعن النّساء هذا من الإمام الحسين ﷺ صحن وبكين، وارتفعت أصواتهنّ، فارسل الإمام الحسين ﷺ أخاه أبا الفضل العباس ﷺ وابنه عليّ الأكبر، وقال لهما: سكّتا هنّ، فلعمري ليكثر بكاؤهنّ.

فأقبلا إليهنّ واسكتاهنّ، ولما سكتن، واصل الإمام خطبته في الناس، واستمرّ في موعظته لهم.

وما كان انتخاب أبي الفضل العباس ﷺ لإسكات النسوة إلّا لجدارة أبي الفضل العباس ﷺ للقيام بهذه المهمة، ومكانته المرموقة عند النسوة، وإيمانهنّ بنجدته وحمايته، ودفاعه وذبه عنهنّ، ولذلك لما رأيته مقبلاً إليهنّ سكتن اطميناناً

إلى وجوده، وركوناً إلى حمايته لهم، ومحاماته عنهم، فلما طلب منهم السكوت حذر شماتة الأعداء وهو بشخصه حاضر بينهم، أطعنه وسكتن وسكن.

[إعداد العباس عليه السلام لكر بلاء]

وروي أن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام كان ذات يوم جالساً في مسجد النبي صلى الله عليه وآله بين أصحابه يحدثهم ويعظهم، ويبشّرهم وينذرهم، إذ جاء أعرابي وعقل راحلته على باب المسجد، ودخل معه صندوق، وأقبل نحو الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، فسلم على الإمام ووضع الصندوق بين يديه، ثم قَبَّلَ يدي الإمام وقال: جئتكَ يا أمير المؤمنين بهديّة.

فقال عليه السلام: وما هي هديّتك؟

قال: هديّتي في هذا الصندوق، ثم فتح الصندوق وإذا فيه شيء ملفوف، ففله فإذا هو سيف غضب من السيوف الجيدة، وله حمائل جميلة، وقدمه للإمام أمير المؤمنين عليه السلام، فأخذه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وشكره على هديّته، ثم أخذ يقلّب السيف بيده وينظر إليه، وهو يقول لمن كان معه من أصحابه: أيكم يستطيع أن يؤدّي حقّ هذا السيف فيكون حقيقاً بأن أهديه له؟ وبينما الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يكلم أصحابه، إذ دخل أبو الفضل العباس عليه السلام المسجد - وهو إذ ذاك لم يبلغ الحلم - وأقبل نحو أبيه أمير المؤمنين عليه السلام، فسلم عليه ووقف بين يديه متأدّباً وأخذ يطيل النظر إلى السيف الذي في يد أبيه، فأجاب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام سلام ولده، ثم أخذ ينظر إليه وهو يعيد مقالته ويقول: أيكم يستطيع أن يؤدّي حقّ هذا السيف فيكون جديراً بأن أهديه له؟

فقال أبو الفضل العباس عليه السلام: وما حقّ هذا السيف يا أبتاه؟

فقال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: ولدي عباس! حقّ هذا السيف هو: أن تحمي به أخاك الإمام الحسين عليه السلام وتحامي عنه.

فقال أبو الفضل العباس عليه السلام وبكلّ انشراح ورحابة: أنا لذلك يا أبتاه. فقال أمير المؤمنين عليه السلام وقد ابتهج بشجاعة ولده العباس وهشّ لبسالته ووفائه: نعم، أنت له، ثمّ أشار إليه بأن يدنو منه، فلمّا دنى منه قلّده إيّاه، فطال نجاد السيف على العباس فقصره له، ثمّ جعل ينظر إليه ويطيل نظره وهو يبكي ودموعه تتحادر على خديّه.

فقال له أصحابه: وما يبكيك يا أمير المؤمنين لا أبكي الله عينيك؟ فقال عليه السلام وقد اختنق بعبيرته: كأنّي بولدي هذا وقد أحاطت به الأعداء من كلّ جانب، وهو يضرب فيهم بهذا السيف يمنة ويسرة، ويحمي به أخاه الإمام الحسين عليه السلام ويحامي عنه، حتّى تقطع يداه في نصرته، ويقصف رأسه بعمد من حديد في حمايته والدفاع عنه، ثمّ بكى عليه السلام وبكى من كان حاضراً عنده من أصحابه.

الخصيصة الثانية والثلاثون :

« في أنه ﷺ ظهر الولاية »

لهفي له إذ رأى العباس منجداً	على التراب صريعاً عافر البدن
نادى بصوت يذيب الصخر يا عضدي	ويا معيني ويا كهفي ومؤمني
عباس قد كنت لي عضداً أصول به	وكنت لي جنة من أمنع الجن
عباس هذي جيوش الكفر قد زحفت	نحوي بثارات يوم الدار تطلبني
كسرت ظهري وقلت حيلتي وبما	لاقيت سرت ذووا الأحقاد والإحن
بذلت نفسك دوني للعدى غرضاً	حتى قضيت نقي الثوب من درن
بقيت بعدك بين القوم منفرداً	أقلب الطرف لا حام فيسعدني

[العباس ﷺ عضد الإمام الحسين ﷺ وظهره]

لقد كان أبو الفضل العباس ﷺ عضداً وظهراً لأخيه الإمام الحسين ﷺ، كما كان أبوه الإمام أمير المؤمنين ﷺ ومن قبله أبوطالب ﷺ عضداً وظهراً لرسول الله ﷺ، فقد جاء في التاريخ، وباعتراف من علماء الفريقين: أن عم النبي ﷺ أعني: أبا طالب ﷺ كان ظهراً لابن أخيه في كل موطن وموقف وقف فيه رسول الله ﷺ وما أكثر تلك المواقف والمواطن في التاريخ؟ وكان النبي ﷺ وهو يرى عمه أبا طالب ﷺ ظهراً له، يواصل طريقه بكل جدٍّ، ويستمر في تبليغ رسالات ربه بكل صلابه.

[أبوطالب ﷺ ظهر النبوة]

ثم إنه لما رأى المشركون أنّ رسول الله ﷺ لا يعتبرهم من شيء أنكروه عليه، ورأوا أنّ عمّه أبوطالب ﷺ قد حذب عليه، وقام دونه، فلم يسلمه لهم، مشى ملأ منهم إلى أبي طالب وقالوا له: يا أباطالب إنّ ابن أخيك قد سبّ آلهتنا، وعاب ديننا، وسفّه أحلامنا، وضللّ آباءنا، فإمّا أن تكفّ عنا، وإمّا أن تخلي بيننا وبينه. فقال أبوطالب ﷺ في جوابهم قولاً رقيقاً، وردّ عليهم ردّاً جميلاً، ثم بعث إلى رسول الله ﷺ والملاّ عنده، فلما دخل عليه رسول الله ﷺ قال له: يا ابن أخي! هؤلاء مشيخة قومك وسراتهم، وقد سألوك أن تكفّ عنهم وعن شتم آلهتهم، ويدعوك وإلهك.

فقال رسول الله ﷺ في جواب عمّه: يا عم! أفلا تدعوهم إلى ما هو خير

لهم؟

فقال أبوطالب ﷺ: وإلى ما تدعوهم يا ابن أخي؟

قال: أدعوهم - يا عم! - إلى أن يتكلّموا بكلمة تدين لهم بها العرب،

ويملكون بها العجم؟

فابتدر إليه أبوجهل من بين الملاّ قائلًا: ما هي وأبيك لنعطيكها وعشر

أمثالها؟

وهنا أجاب رسول الله ﷺ هذا السؤال بعد أن جلب انتباه الملاّ إليه،

وعطف مشاعرهم نحوه، بقوله: تقولون: «لا إله إلا الله».

فنفروا عند ما سمعوا ذلك وقالوا: سلنا غيرها.

فلما رأى رسول الله ﷺ نفورهم من الله تعالى، وعكوفهم على آلهتهم التي

لا تضرّ ولا تنفع، ولا تسمن ولا تغني من جوع، وأحسّ بعنادهم وتعصّبهم للباطل، وتغاضيهم وجحودهم للحق، التفت إليهم وقال: لو جئتموني بالشمس حتّى تضعونها في يديّ ما سألتكم غيرها.

فقاموا من عنده غضاباً، وولّوا على أدبارهم نفوراً، ولكن قبل أن يتفرّقوا التفت أبو طالب ﷺ إلى رسول الله ﷺ وقال على مسمع من أولئك القوم ومرأى منهم: يا ابن أخي أدع كما أمرت، ثم أنشأ يقول:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم	حتّى أوسد في التراب دفينا
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة	وابشر وقرّ بذاك منك عيونا
ودعوتني وعلمت أنّك ناصحي	ولقد صدقت وكنت ثمّ أمينا
ولقد علمت بأنّ دين محمد	من خير أديان البريّة دينا

وهكذا كان فإنّ المشركين لم يتمكّنوا من أن يصلوا بجمعهم إلى رسول الله ﷺ حتّى قبض أبو طالب ﷺ، فلمّا قبض نزل جبرئيل من عند الله تبارك وتعالى ليقول للنبي ﷺ: لقد فقدت من كان لك ظهراً، وعُدمت نصره ومظاهره، فلا مكان لك بعده في مكة.

[مع أبي طالب مرّة أخرى]

وفي مرّة أخرى مشى الملاء من قريش إلى أبي طالب ﷺ أيضاً وقالوا له: يا أبا طالب! إنّ لك سنّاً وشرفاً ومنزلة، وإنّا قد استنهيناك من ابن أخيك، فلم تنهه عنّا، وإنّا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا، وتسفيه أحلامنا، وعيب آلهتنا، حتّى تكفّه عنّا، أو ننازله وإيّاك في ذلك، حتّى يهلك أحد الفريقين.

وهنا لما سمع أبو طالب ﷺ مقالة القوم بعث إلى رسول الله ﷺ، فلمّا أقبل

رسول الله ﷺ التفت إليه عمّه أبوطالب ﷺ وقال له : يا ابن أخي ! إن قومك جاؤني وقالوا لي كذا وكذا، فما تقول ؟ فقال له رسول الله ﷺ وبكلّ عزم وحزم : يا عم ! والله لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري، على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله، أو أهلك فيه، ثم استعبر رسول الله ﷺ فبكى، ثم قام، فلما ذهب ناداه عمّه أبوطالب ﷺ قائلاً : اقبل يا ابن أخي، فأقبل عليه رسول الله ﷺ، فلما أقبل التفت إليه عمّه أبوطالب وهو يُطمئنه ويحمي ظهره بقوله : قل يا ابن أخي ما أحببت، فوالله لا أسلمك لشيء أبداً.

وكان كما قاله ﷺ فإنه مادام كان في قيد الحياة لم يُسلم رسول الله ﷺ لشيء أبداً، ولم يتجرّأ أحد من مشركي قريش ولا غيرهم على استئصاله وتصفيته، ولا على صدّه عن رسالته وكفّه عن تبليغها إلى الناس.

[الإمام أمير المؤمنين ﷺ ظهر النبوة والرسالة]

وكان الإمام أمير المؤمنين ﷺ يواصل خطى أبيه أبي طالب ﷺ ويسير بسيرته، فكان ﷺ ظهراً للنبي ﷺ في كلّ موطن وموقف وقف فيه رسول الله ﷺ كما كان أبوه أبوطالب ﷺ ظهراً له، فلقد كان هو ﷺ ربيب رسول الله ﷺ قبل البعثة يعني : كان ﷺ منذ أيامه الأولى عند رسول الله ﷺ وفي بيته، يتعلّم منه مكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال، كما كان تلميذ رسول الله ﷺ بعد البعثة، حيث أنّه ﷺ كان أوّل من آمن به وصدّقه، وآزره ونصره، وكان يصحبه مصاحبة الظل صاحبه، ويتبعه متابعة الفصيل أثر أمّه، ويرى نور الوحي حين ينزل على رسول الله ﷺ، ويسمع حسيس الملائكة، كما سمع رنة الشيطان جزعاً من نزول الوحي، ويشمّ ريح النبوة، حتّى قال له رسول الله ﷺ : إنك تسمع ما أسمع،

وترى ما أرى، إلا أنك لست بنبي، ولكنك لوزير، وإنك لعلئ خير.

ولقد زخر تاريخ الإسلام الناصع بمواقف الإمام أمير المؤمنين عليه السلام المشرفة، تجاه الإسلام وتجاه رسول الله ﷺ حيث كان للإسلام عوناً وناصرًا، ولرسول الله ﷺ ظهراً وحامياً، فذلك موقفه المشرف يوم الدار ويوم الإنذار، وتلك تضحيته العظيمة ليلة المبيت وليلة الهجرة، وذلك مقامه البطولي يوم بدر وأحد، ويوم الأحزاب وخيبر، وتلك منزلته العظيمة يوم تبوك، ويوم نزول سورة براءة ويوم المباهلة، ويوم غدير خم، وكثير غيرها من المواقف المشرفة التي بدت منها واضحة كون الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ظهراً للنبي ﷺ، وثبت منها للتاريخ أنه عليه السلام كان ظهراً للنبوة والرسالة، وأنه لولا مواقفه العظيمة تلك، لاندرس اسم النبي ﷺ وسنته وسيرته، ولانمحت معالم النبوة، وآثار الرسالة والوحي.

[العباس عليه السلام يواصل خطى أبيه]

وكما كان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يواصل خطى أبيه أبي طالب عليه السلام، ويسير بسيرته بالنسبة إلى حماية النبي ﷺ ومظاهرتة له، فكذلك كان أبو الفضل العباس عليه السلام يواصل خطى أبيه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ويسير بسيرته بالنسبة إلى حماية الإمام الحسين عليه السلام وكونه ظهراً له، وكيف لا يكون أبو الفضل العباس عليه السلام ظهراً لأخيه الإمام الحسين عليه السلام وقد وُلد - على ما مرّ - من أجل ذلك؟ فإنّ أباه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام كما عرفت كان قد اقترح على أخيه عقیل بن أبي طالب عليه السلام أن يشير عليه بالزواج من امرأة ولدتها الفحولة من العرب أي: بأن تكون من بيت معروف، بالشجاعة والفروسيّة، والنبل والكرامة، حتّى تلد له ولداً غيوراً وشجاعاً، يكون عضداً وظهراً للإمام الحسين عليه السلام، فأشار عليه عقیل

بالزواج من فاطمة بنت حزام الوحيدة الكلاية، المكتاة بأمّ البنين ﷺ، فتزوجها الإمام أمير المؤمنين ﷺ فولدت له بنين أربعة، أولهم وأكبرهم، العباس بن أمير المؤمنين ﷺ، وإنما سمّاه أبوه أمير المؤمنين ﷺ باسم: العباس مع أنّ العباس من حيث اللغة هو: الأسد الذي تهرب منه الأسود خوفاً وذعراً، ليكون حافزاً له على الشجاعة والشهامة، ومذكراً له بالبطولة والبراعة، فيكون اسماً على مسمى، ويقوم بنصرة أخيه الإمام الحسين ﷺ في كل موطن وموقف، وخاصة في موقف كربلاء ويوم الطف.

ومعلوم: أنّ الإمام أمير المؤمنين ﷺ الذي كان - على ما عرفت - يفكر في إعداد من يكون ظهراً للإمام الحسين ﷺ وذلك قبل ولادة ابنه العباس ﷺ، بل وقبل أن يتزوج من أمّ العباس: أمّ البنين ﷺ، كم كان يسعى بعد أن وُلد له العباس ﷺ في أن يؤدّبه ويربّيه على إكبار أخيه الإمام الحسين ﷺ، ويمهّده ويعدّه ليكون للإمام الحسين ﷺ عضداً وظهراً، ويعلمه ويوصيه بأن لا تؤثر فيه المغريات، ولا تستهويه الأطماع، وأن لا يؤثر على أخيه الإمام الحسين ﷺ شيئاً، ولا يقدّم على حماية أخيه ونصرته أحداً.

فكان أبو الفضل العباس ﷺ هو خير تلميذ لأفضل أستاذ في هذا المجال، حيث أنّه ﷺ طبق كلّ ما تعلّمه من أستاذه تطبيقاً حرفياً، ونقّذ كلّ وصاياه تنفيذاً دقيقاً وصحيحاً، ولم يتخلّف عمّا تلقّاه من تعليم ووصايا قيد شعرة، ولم يبتعد عنها بمقدار أنملة، وإنما أدّى كلّ ما كان عليه تجاه أخيه الإمام الحسين ﷺ، وكان له وبأحسن ما يكون، وأفضل ما يمكن، عضداً وظهراً، فكان بذلك ظهراً للولاية والإمامة، كما كان أبوه الإمام أمير المؤمنين ﷺ ظهراً للنبوّة والرسالة.

[حديث زهير لأبي الفضل عليه السلام]

ولقد مرّ أنّ شمر بن ذي الجوشن قد طمع في أن يستهوي أبا الفضل العباس عليه السلام ويغريه بالأمان الذي عرضه عليه، والمنصب الذي جاء به من ابن زياد إليه، ليدخله فيما دخل فيه هو من ظلمات الظالمين وعبوديتهم، ظاناً بأنّ أبا الفضل العباس عليه السلام ممّن يستبدل النور بالظلام، والحقّ بالباطل، والهدى بالضلال، والآخرة بالدنيا، ولكن ما راعه إلا أن رأى أبا الفضل العباس عليه السلام - حين عرض عليه الأمان، ومناه بالجاه والمقام - يزمجر في وجهه زمجرة الأسد الباسل، ويزأر على مزاعمه وأباطيله زئير الليث الغضبان، ويرمي شباكه وخداعه بشرر أنفاسه الغاضبة رمي البركان قواصف النيران، وقواذف الجحيم، ويصرخ بوجهه معلناً عن كلمته الخالدة، ومقاتله الشامخة: ألا لعنك الله يا شمر ولعن أمانك، أتؤمننا وابن رسول الله ﷺ لا أمان له؟ وتأمرنا بأن نترك من خلقنا الله لأجله، وأن ندخل في طاعة اللعناء وأولاد اللعناء؟ ثمّ عرض عليه أبو الفضل العباس عليه السلام أن ينتقل هو إلى معسكر الإمام الحسين عليه السلام وله جائزة عند جدّه رسول الله ﷺ، فأعرض الشمر بوجهه عن أبي الفضل العباس عليه السلام وعمّا طرحه عليه، وتضائل ذلاًّ وصغاراً، ورجع بخسة وخفّة، وهو يجرّ ذيول الخيبة والفشل، والمذلة والهوان.

ورجع أبو الفضل العباس عليه السلام مع إخوته مرفوعي الرأس إلى معسكر الإمام الحسين عليه السلام، وأخبروا سيدهم وإمامهم الحسين عليه السلام بالخبر، فقام عندها زهير بن القين من بين معسكر الإمام الحسين عليه السلام وأقبل نحو أبي الفضل العباس عليه السلام وجلس إليه، وأخذ يحدثه حديثاً تاريخياً صادقاً، ويذكره بقصة حقيقة واقعية، وهو

يشكره ويمدحه على موقفه البطولي من الشمر وأمانه، ويحضه ويشجعه على نصرته الإمام الحسين ﷺ والذب عنه، ويقول له: ألا أحدثك بحديث وعيته؟ قال له العباس ﷺ: بلى حدثني به.

قال زهير: أعلم يا أبا الفضل! إن أباك أمير المؤمنين ﷺ لما أراد أن يتزوج بأُمّك أمّ البنين طلب من أخيه عقيل بن أبي طالب ﷺ وكان عارفاً بأنساب العرب وأخبارها، أن يختار له امرأة ولدت الفحولة من العرب وذوو الشجاعة منهم، ليتزوجها فتلد له غلاماً، فارساً شجاعاً، وشهماً مقدماً، ينصر الإمام الحسين ﷺ بطف كربلاء، ويكون له عضداً وظهراً، وقد ادّخرك أبوك لمثل هذا اليوم، فلا تقصّر عن نصرته أخيك وحماية أخواتك.

[السيدة زينب ﷺ تلتقي أخاها العباس ﷺ]

كان هذا - كما سبق - هو حديث زهير للعباس ﷺ وتشجيعه لأبي الفضل ﷺ على حمايته لإخيه الإمام الحسين ﷺ، وحراسته أخواته عقائل بني هاشم، وبنات الرسالة، وهناك خبر آخر يقول: إن السيدة زينب ﷺ إلتقت أخاها أبا الفضل العباس ﷺ بعد ذلك أيضاً، فتقدّمت إليه تشجعه على موقفه المشرف من أخيه الإمام الحسين ﷺ، وتحرضه على الصمود في موقفه ذلك، والثبات على نصرته إمامه والذب عنه، وهي في نفس الوقت تشكره وتثني عليه وعلى وفائه ومواساته، وثباته وشجاعته، كما أنّها ﷺ أخذت تذكره بما كان من اهتمام أبيها الإمام أمير المؤمنين ﷺ بهذا اليوم، وبقضية كربلاء، وقلقه ﷺ ممّا يجري فيها على ولده السبط من شدائد ومصاعب، وعلى بناته عقائل بني هاشم من رزايا ومصائب، وتخبره أيضاً عن أنّ أباها ﷺ قد تزوّج على أثر ذلك بامرأة من أشجع

العرب، حتّى تلد له غلاماً شجاعاً يكون عضداً لأخيه الإمام الحسين عليه السلام وظهراً له وعوناً، فكان هو يعني: أبا الفضل العباس عليه السلام نتيجة ذلك الزواج وثمرته، وعليه: فيكون هو الذي قد أعدّه أبوه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لهذا اليوم، وأدّخره لنصرة الإمام الحسين عليه السلام وحماية عقائله، ثمّ إنّها عليه السلام عَقِبَتْ كلامها ذلك بقولها له: أخي يا أبا الفضل! الخيام خيامك، والنساء إخوتك، فلا تقصّر عنا بنصرتك.

[العباس يُعلن مظاهرته]

وهنا لما سمع أبو الفضل العباس عليه السلام كلام زهير وما قصّه به عليه، كما في الخبر الأوّل، وكذلك سمع ما قالت له السيّدّة زينب عليها السلام وحدثته به كما في الخبر الثاني، ثارت غيرته الهاشميّة، وتفجّرت همّته العلويّة، فتمطّى في ركابه حتّى قطعه، ثمّ التفت إلى زهير - على الخبر الأوّل - وقال له وبكلّ عزم وحزم، وشدة وصلاية: تشجّعني يا زهير في هذا اليوم! فوالله لأريّنك شيئاً ما رأيته، كما أنّه عليه السلام التفت إلى أخته عقيلة الرسالة والإمامة السيّدّة زينب عليها السلام وقال لها ما يطمئنها ويشدّ قلبها ويسكن روعها وخوفها.

وهكذا كان أبو الفضل العباس عليه السلام، فلقد أرى زهيراً وغير زهير ما لم يروه في حياتهم، وأتى بما لم يسمعوا به في التاريخ الغابر ولا التاريخ المعاصر، بل ولا يمكن أن يُسمع بمثله في المستقبل والزمان الآتي، إنّهُ وقف لأخيه الإمام الحسين عليه السلام مواقف بطوليّة رائعة، أعلن فيها مظاهرته العمليّة والقوليّة لأخيه الإمام الحسين عليه السلام ولأهل بيته عليه السلام، حتّى أصبح معسكر الإمام الحسين عليه السلام آمناً مطمئناً إلى مظاهرته وحمايته، وأصبح معسكر يزيد خائفاً ساهراً، وقلقاً مضطرباً من شدة بأسه، وكبير عزمه وهمّته، إنّهُ كان في مجابهة الأعداء كفوءاً، وفي كشف

الموكّلين بالشريعة جسوراً، وكان كلّما طلب الماء واستقى لأطفال أخيه وذراري رسول الله ﷺ نفى عسكر الشريعة عن الفرات مع كونهم آلافاً مؤلفاً حتّى قيل إنهم كانوا عشرة آلاف فكان في ذلك كما قال الشاعر في حقّه :

يلقى الرّماح بنحره فكأنّما في ظنّه عود من الرّيحان
ويرى السيوف وصوت حديدها عرساً تجلّيه عليه غواني
وكان في مقارعة لهم ومنازلته إيّاهم وذلك كلّما أراد استنقاذ أحد، أو كشفهم عن معسكر الإمام الحسين ﷺ كما قال الآخر في حقّه :

وقع العذاب على جويش أميّة من باسل هو في الوقايح معلم
ما راعهم إلّا تقحّم ضيغم غيران يعجم لفظه ويُدمدم
عبست وجوه القوم خوف الموت والعباس فيهم ضاحك متبسّم
قلب اليمين على الشمال وغاص في الأوساط يحصد في الرّؤس ويحطم
قسماً بصارمه الصقيل وإنّني في غير صاعقة السّما لا أقسم
لولا القضا لمحى الوجود بسيفه والله يقضي ما يشاء ويحكم
وعلق على ذلك في معالي السبطين قائلاً: لعمر الله لو لم يكن ما جرى على اللوح من أن يستشهد أبو الفضل العباس ﷺ في يوم عاشوراء، فينكسر بفقده ظهر الإمام الحسين ﷺ وينال درجة الشهادة، لأفنى العباس بسيفه معسكر يزيد، ولمحى بصارمه جيش بني أميّة جميعاً.

[تحريض العباس ﷺ الهاشميين على المظاهرة]

وجاء في معالي السبطين عن بعض الكتب، حديث جميل عن مظاهرة أبي الفضل العباس ﷺ لأخيه الإمام الحسين ﷺ وذلك عن لسان السيّد زينب ﷺ،

فإنها روت قائلة: لما كانت ليلة عاشوراء خرجتُ من خيمتي لأتفقّد أخي الإمام الحسين (عليه السلام) وأنصاره، وقد أفرد له خيمة، فوجدته جالساً وحده وهو يناجي ربه ويتلو القرآن، فقلت في نفسي: أفي مثل هذه الليلة يُترك أخي وحده؟ والله لأمضينَ إلى إخواني وبني عمومي وأعاتبهم على ذلك، فأتيتُ إلى خيمة أخي أبي الفضل العباس (عليه السلام) فسمعت منها همهمة ودمدمة، فوقفتُ على ظهرها ونظرت فيها، فوجدتُ بني عمومي وإخواني وأولاد إخواني مجتمعين كالحلقة وبينهم أخي أبو الفضل العباس بن أمير المؤمنين (عليه السلام) وقد جثى على ركبتيه كالأسد على فريسته وهو يخطب فيهم خطبة ما سمعت مثلاً إلا من أخي الإمام الحسين (عليه السلام)، فأضغيتُ إليه فسمعته يقول في آخرها: يا إخواني! ويا بني إخواني! ويا بني عمومي! إذا كان الصباح فما تقولون؟ وما أنتم عاملون؟ فقالوا في جوابه قوله رجل واحد: نحن رهن إشارتك، وتحت قيادتك، والأمر إليك فانظر ماذا ترى؟ فقال أبو الفضل العباس (عليه السلام) وهو يشكرهم على شعورهم ويشني على معرفتهم: إنا نعدّ من أهل البيت، وهؤلاء الأصحاب يعدّون قوماً غرباء، والحمل الثقيل لا يقوم إلا بأهله، فإذا كان الصباح فعلينا أن نكون أوّل من يبرز للقتال ومجابهة الأعداء، ولا ندع الأصحاب يتقدّمون علينا في هذا المجال، ويسبقونا في هذه المهمة الشريفة، وحتى لا يقول أحد من الناس: بأنهم قدّموا أصحابهم وأنصارهم للقتل، فلمّا قتلوا بأجمعهم عالجوا الموت بأسيا فهم ساعة بعد ساعة، ولما وصل أبو الفضل العباس (عليه السلام) في كلامه إلى هذا الموضع، قام بنو هاشم وسلّوا سيوفهم وهزّوها في وجه أبي الفضل العباس (عليه السلام) تأييداً له وهم يقولون: الرأي رأيك، ونحن على ما أنت عليه. فشكرهم أبو الفضل العباس (عليه السلام) على ذلك وأثنى عليهم.

[مع حبيب بن مظاهر]

قالت السيِّدة زينب ﷺ : فلما رأيت كبير اهتمامهم ، وشدة عزمهم ، سكن قلبي ، واطمأنت نفسي ، ولكن خنقني العبرة ، فأردت أن أرجع إلى أخي الإمام الحسين ﷺ وأخبره بذلك فسمعت من خيمة حبيب بن مظاهر هممة ودمدمة ، فاقتربت منها ووقفت بظهرها ونظرت فيها فوجدت الأصحاب على نحو بني هاشم مجتمعين كالحلقة وبينهم حبيب بن مظاهر يقول لهم : يا أصحابي لم جئتم إلى هذا المكان ؟ تكلّموا وأوضحوا كلامكم رحمكم الله ، فقالوا بأجمعهم : جئنا لنصر ابن بنت نبيّنا غريب فاطمة ﷺ ، فقال لهم : لم تركتم حلائلكم وطلّقتن نساءكم ؟ فقالوا : لذلك . فقال : فإذا كان الصّباح فما أنتم فاعلون ؟ قالوا : الرأي رأيك ، والأمر إليك ، فانظر ماذا ترى ؟ قال : أرى أنّه إذا جاء الصّبح وبدأ القتال أن نكون أوّل من يبرز بين يدي الإمام الحسين ﷺ ولا ندع هاشميّاً يتقدّمنا ، فإنّه من الصعب علينا أن نرى هاشميّاً مضرّجاً بدمه وفينا عرق يضرب ، ولئلا يقول النّاس : إنهم قدّموا ساداتهم للقتال وبخلوا عليهم بأنفسهم وأرواحهم ، وهنا قام الأصحاب وسلّوا سيوفهم وهزّوها في وجه حبيب وهم يهتفون في تأييده قائلين : الرأي رأيك يا حبيب ، نحن على ما أنت عليه ، فشكرهم حبيب وأثنى عليهم .

قالت السيِّدة زينب ﷺ : ففرحت من ثباتهم وعزمهم ، ولكن خنقني العبرة ، فانصرفت عنهم وأنا باكية ، وإذا أنا بأخي الإمام الحسين ﷺ قد اعترضني ، فسكّت وتبسّمت ، فقال ﷺ : أخيه زينب ! فقلت : لبيك يا أخي يا أبا عبدالله ! فقال ﷺ : أخيه أراك متبسّمة مع أنّي ما رأيتك منذ خروجنا من المدينة متبسّمة فما هو سبب تبسّمك ؟ قلت : يا أخي ! رأيت من إخوتي وبني هاشم والأصحاب كذا وكذا وقصصت عليه خبرهم ، فقال ﷺ : إعلمي يا أخيه ! إنّ هؤلاء أعواني وأنصاري من عالم الذرّ ، وبهم وعدني جدّي رسول الله ﷺ .

الخصيصة الثالثة والثلاثون :

« في أنه ﷺ قائد الجيش »

القائد من القوْد، والقوْد نقيض السَّوق، يقال: قاد البعير أي: جرّه خلفه، وفي الحديث - كما عن لسان العرب - قريش قادة ذادة: أي: يقودون الجيوش، وقادة جمع قائد، وروي: إنَّ قُصَيًّا قَسَمَ مكارمه، فأعطى قوْد الجيوش عبد مناف، ثمَّ ورثها من بعده ابنه هاشم، ثمَّ عبد المطلب، ثمَّ أبو طالب، ثمَّ رسول الله ﷺ، ثمَّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

هذا وقد جاء في كتاب الخصال أنَّ رسول الله ﷺ قال لعلي عليه السلام: «يا علي! سألت ربِّي فيك خمس خصال... خامستها: أن يجعلك قائد أُمّتي إلى الجنَّة، فأعطاني».

وفي نوارد الراوندي مسنداً عن رسول الله ﷺ أنه قال: «والمجاهدون في الله تعالى قوَاد أهل الجنَّة».

وفي كتاب الاختصاص عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «وأنا قائد المؤمنين إلى الجنَّة».

وفي خطبة فاطمة الزَّهراء عليها السلام أنها قالت في وصف كتاب الله القرآن الكريم: «قائد إلى الرِّضوان اتباعه».

وفي كتاب فقه الزَّهراء عليها السلام: «يجب أن يكون القائد بحيث يقود أتباعه إلى الرِّضوان، وإلى السَّعادة».

وكذلك كان أبو الفضل العباس، ﷺ، فإنه كان قائد جيش الإمام الحسين ﷺ وعميد عسكره، وقد قاد كل أفراد جيشه ببصيرة ومعرفة، وفي ظلّ إمامة أخيه الإمام الحسين ﷺ المنصوص على إمامته من جدّه رسول الله ﷺ إلى حيث رضوان الله، والسعادة الأبدية، فأوردهم جنان الخلد، ونعيم الأبد، وأكسبهم عزّة الدارين، وشرف الدنيا والآخرة.

[العباس ﷺ وقيادة الجيش والقافلة]

نعم، إنّ الإمام الحسين ﷺ لما أصبح في يوم عاشوراء، وعباً أصحابه للقتال والمنازلة - بعد أن صلّى بهم صلاة الغداة - أعطى الراية لأخيه أبي الفضل العباس ﷺ وذلك بعد أن كان قد عقدها له في يوم خروجه من مدينة جدّه رسول الله ﷺ فقد جعله بها قائداً لقافلته يومذاك، وجعله بها في يوم عاشوراء قائداً على جيشه، وعميداً لعسكره، فلما شبّ القتال بين الفريقين، وألهب نيرانها قائد جيش يزيد عمر بن سعد، الذي لم تؤثر فيه مواعظ الإمام الحسين ﷺ وأصحابه، وباع آخرته بدنياه غيره، فإنه تقدّم ورمىّ بسهم نحو معسكر الإمام الحسين ﷺ وقال: اشهدوا لي عند الأمير بأنّي أول من رمى، ثمّ تبعه جيشه ورموا معسكر الأمام الحسين ﷺ بالسهام كالطر، فإنه لما نشب القتال، وشبّ نيرانها، أثبت أبو الفضل العباس ﷺ نبوغه في فنون الحرب، وتفوّقه في إنجاز مهمّة القائد، وتأهله لإدارة المعسكر والجيش وأمور القيادة.

كما وأثبت كفاءته لهذا المنصب الرفيع، وجدارته بإدارة هذا المقام المنيع، كيف لا وقد تدرب في معسكر أبيه الإمام أمير المؤمنين ﷺ، وتعلّم على يديه فنون الحرب، وأساليب القتال والمنازلة؟ ولذلك استطاع أن يقف بجيشه القليل أمام جيش العدو الكثير، وقفة الأسد الباسل أمام هجمة الثعالب الجبانة، فقد كانت

النسبة بين جيش الإمام الحسين عليه السلام بقيادة أبي الفضل العباس عليه السلام، وبين جيش يزيد بقيادة ابن سعد، أقلّ من نسبة الواحد إلى الالف - حسب بعض المصادر - ومع ذلك استطاع جيش الإمام الحسين عليه السلام بقيادة أبي الفضل العباس عليه السلام الرشيدة، وإدارته الحكيمة، الصمود أمام ذلك السيل الجارف، والتصديّ لتلك الجموع الغفيرة، والتحدّي لها، والاستهانة بها، والتوطين على مقارعتها ومنازلتها بما لا نظير له في تاريخ الحروب، ولا سابق له في ميادين النضال والكفاح، فإنّ أبا الفضل العباس عليه السلام منذ الصباح المبكر من يوم عاشوراء، وحتى لحظة الشهادة، وساعة الدواع والرحيل، لم يهدأ لحظة ولم يسكن آنأً، وإنّما كان في سعي دائم، وحركة دائبة، وكفاح مستمرّ، ونضال متواصل، بين إنقاذ الجرحى من محاصرة الأعداء، وبين صدّ هجوم العدو على مخيم النساء، وبين الدفاع عن معسكر الإمام الحسين عليه السلام ومطاردة المهاجمين والمتسلّلين، وبين الإِسْتِقاء وإيصال الماء إلى العطاشى والظمّانين، وفي كلّ ذلك رافعاً اللّواء بكفه، مجابهاً العدو ببأسه وصموده، مروّعاً لهم بشجاعته وشهامته، حتّى سلب العدو الأمن والأمان، والراحة والإطمئنان.

[من آثار حسن القيادة]

ثمّ إنّ أبا الفضل العباس عليه السلام - وعلى أثر حسن قيادته - لمّا رأى قلّة الأنصار، وندرة أفراد معسكر أخيه الإمام الحسين عليه السلام، قدّم إخوته من أمّه وأبيه للشهادة بين يدي الإمام الحسين عليه السلام، واحتسبهم في الله، لينال بذلك ثواب الصابرين، وأجر الناصحين المخلصين.

ثواب الصابرين لصبره على مصابهم وافتجاعه بهم.

وأجر الناصحين لنصحه إياهم بالشهادة بين يدي إمامهم الإمام الحسين عليه السلام ونيلهم بذلك الفوز في الدنيا والآخرة.

ثم إنه عليه السلام لما أراد الرخصة لنفسه، والإذن من سيده وإمامه الإمام الحسين عليه السلام للمبارزة والقتال، لم يأذن له الإمام الحسين عليه السلام معللاً ذلك بقوله له: «أنت صاحب لوائي، ومجمع عددي، والعلامة من عسكري» وهذا التصريح من الإمام الحسين عليه السلام يثبت لأبي الفضل العباس عليه السلام أنه كان قائد جيش الإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء، وعميد عسكره.

وكذلك يدلّ عليه ما جاء في بعض الروايات: من أن الإمام الحسين عليه السلام لما حضر عند مصرع أخيه أبي الفضل العباس عليه السلام وأراد حمله إلى الفسطاط المعدّ للشهداء - وذلك بحسب الرواية - التفت أبو الفضل العباس عليه السلام وهو في لحظاته الأخيرة، إلى أخيه الإمام الحسين عليه السلام وأقسم عليه بحق جدّه رسول الله ﷺ أن يتركه في مكانه، ولا يحمله إلى المخيم حيث فسطاط الشهداء، معبراً عذره عن ذلك بصوت ضعيف ونبرات متقطّعة قائلاً: أنا كبش كتيبك، ومجمع عددك، والعلامة من عسكرك.

عندها تركه الإمام الحسين عليه السلام في مكانه وجزّاه خيراً وقال له: جزيت عن أخيك خيراً، فلقد نصرته حيّاً وميتاً.

وهذا الاعتذار من أبي الفضل العباس عليه السلام لعدم حمله إلى فسطاط الشهداء، قد تشابه تماماً مع تعليل الإمام الحسين عليه السلام في عدم الإذن له بالبراز ومقاتلة الأعداء، وأقلّ ما يدلّ عليه هذا هو: قيادة أبي الفضل العباس عليه السلام لجيش الإمام الحسين عليه السلام، وأنعم به قائداً.

نعم لقد كان أبو الفضل العباس عليه السلام قائد جيش الإمام الحسين عليه السلام وعميد عسكره، وكان من حسن قيادته العسكرية، وجميل فنونه الحربيّة، أن زرع

الخوف والذعر في قلب معسكر يزيد وجيش بني أمية، وبعثر جمعهم، وفرّق جماعتهم، فلقد ضرب الأعناق، وحصد الرؤوس، وأطار الأيدي والأرجل، وترك جيش العدو العنيد بأرقامه الكبيرة، وأعداده الفيرة، وأفواجه الضخمة، يموج بعضه في بعض، وذلك على قلة أفراد جيشه عليه السلام، وندرة تعداد عسكره.

كما أنّه عليه السلام أبقي الراية مرفوعة، واللواء مرفرفاً خفّافاً، حتّى اللحظات الأخيرة من حياة الجيش وبقاء أفرادهِ، فإنّه مادام كان هناك في معسكر الإمام الحسين عليه السلام فرداً من أفراد الجيش حيّاً، وجنديّاً من جنود المعسكر الحسيني مدافعاً، أبقي أبو الفضل العباس عليه السلام اللواء عالياً مرفرفاً، والراية الشامخة خفّافة، تروّع الأعداء وتخوفهم، وتؤمّن الأحباء وتطمئنهم، فإنّ الراية - بحسب الأعراف العسكرية - ما دامت تخفق، واللواء مادام يرفرف، يبقى العدو خائفاً مرعوباً، ونائباً بعيداً، لا يتجرأ على الإقتراب والمداهمة، أو الإكتساح والإبادة، المتعقبة للسلب والنهب، ثمّ الأسر والسبي.

ومن أجل تحقيق ذلك كلّهُ، أي: من أجل أن لا يقترب الأعداء من مخيم الإمام الحسين عليه السلام، وأن لا يتجرّؤا على مداهمة خيام النساء والأطفال، وأن لا يفكّروا في اكتساح معسكر الإمام الحسين عليه السلام وإيادته جميعاً، ليتسنى لهم السلب والنهب، ثمّ الأسر والسبي، حافظ أبو الفضل العباس عليه السلام على إبقاء الراية عالية مرفرفة، واللواء منشوراً خفّافاً، ما كان به رمق، ومادام قلبه ينبض بالحياة، وهذا إن دلّ على شيء، فإنّه يدلّ بالإضافة إلى قوّة إيمان أبي الفضل العباس عليه السلام وشدة إخلاصه، يدلّ على كفاءة أبي الفضل العباس عليه السلام لقيادة جيش الإمام الحسين عليه السلام، وجدارته بحمل لوائه، والتزامه برايته عليه السلام، وكفى به فخراً وشرفاً، وعزة وكرامة.

الخصيصة الرابعة والثلاثون :

« في أنه ﷺ المستجار »

أجار الرجل إجاره: خَفَرَه وأَمَنَه، وأَغَاثَه وأنقذه. واستجار به: إستغاث به والتجأ إليه. واستجاره: سأله أن يجيره، وفي التنزيل العزيز: ﴿وإن أحدٌ من المشركين استجارك فأجزه حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه﴾ قال الزجاج: المعنى: إن طلب منك أحد من أهل الحرب أن تجيره من القتل إلى أن يسمع كلام الله فأجزه، أي: أَمَنَه، وعَرَفَه ما يجب عليه أن يعرفه من أمر الله تعالى الذي يتبين به الإسلام، ثم أبلغه مأمنه لئلا يصاب بسوء قبل انتهائه إلى مأمنه.

وكيف كان: فإنَّ أبا الفضل العباس ﷺ قد حصل على وسام «المستجار» للدَّور الذي كان له ﷺ في معسكر الإمام الحسين ﷺ وخاصة في يوم عاشوراء، فلقد استجار به جميع أفراد الجيش الذين كانوا تحت قيادته ﷺ، ولجأ إليه كل من كان في معسكر أخيه الإمام الحسين ﷺ، بل استجار به وبحسب الظاهر حتَّى أخوه الإمام الحسين ﷺ.

[العباس ﷺ الركن الوثيق]

ففي معالي السبطين أنَّ الإمام الحسين ﷺ بكى على أخيه أبي الفضل العباس ﷺ بعد مصرعه وأنشأ يقول:

أخي يا نور عيني يا شقيقي	فلي قد كنت كالركن الوثيق
أيا ابن أبي نصحت أخاك حتّى	سقاك الله كأساً من رحيق
أيا قمراً منيراً كنت عوني	على كلّ النوائب في المضيق
فبمدك لا تطيب لنا حياة	سنُجمع في الغداة على الحقيق
ألا لله شكوائى وصبري	وما ألقاه من ظمأً وضيق

[العطشان الذي جاد بالماء]

وفي جلاء العيون نسب السيّد عبدالله الشبرّ الأبيات التالية إلى الإمام الحسين عليه السلام وذلك عندما وقف على مصرع أخيه أبي الفضل العباس عليه السلام فإنّه بكى وأنشأ يقول:

أحقّ الناس أن يُبكى عليه	فتى أبكى الحسين بكرىء
أخوه وابن والده عليّ	أبو الفضل المضرج بالدماء
ومن واساه لا يثنيه شيء	وجاد له على عطش بماء

[أبو الفضل عليه السلام ووسام المستجار]

وفي معالي السبطين عن منتخب التواريخ: إنّ الشيخ الأزري رحمة الله عليه لما كان ينظم في أبي الفضل العباس عليه السلام قصيدته الهائية المعروفة، وألّتي فاقت في قوتها معلّقة لبید، ووصل في نظمه إلى قوله: «يوم أبو الفضل استجار به الهدى» يعني: إنّ يوم عاشوراء يوم استجار الإمام الحسين عليه السلام فيه بأخيه أبي الفضل العباس عليه السلام، توقّف في ذلك، وفكّر في نفسه بأنّه لا يكون قد غالى بذلك في حقّ أبي الفضل العباس عليه السلام وقال بما لا يناسب مقام الإمام الحسين عليه السلام، وعلى

أثره تصوّر أنّ هذا المصراع من البيت لعلّه لا يكون مقبولاً عند الإمام الحسين ﷺ ،
ولذلك توقّف في نظم مصراعه الآخر ولم يكمل البيت محاولاً تعديله أو حذفه ،
فلما جتّه الليل ونام رأى في منامه الإمام الحسين ﷺ وهو يثني على مصراعه
الذي نظمه ويقول له : لنعم ما قلت يا أزري ! وأحسنّت وأجّدت ، ثمّ أضاف ﷺ
قائلاً : نعم لقد استجرت بأخي أبي الفضل العباس ﷺ يوم عاشوراء ، وذلك حين
اشتدّ الضرّ وعظم البلاء ، ثمّ قال له : أفلا أكملت البيت وأتممته وقلت بعده :
«والشمس من كدر العجاج لثامها» يعني : إني استجرت به حين اغبرت الأرض
والسما ، من كثرة العجاج وشدة الغبار ، المثار من وقع الخيل وهجوم الأعداء
حتّى صارت حجاباً للشمس ولثاماً لها ، واحتجبت بذلك عن الأبصار .
وبعبارة أخرى : أراد الإمام الحسين ﷺ أن يستجير بأخيه أبي الفضل
العباس ﷺ في ذلك اليوم العصيب ، يوم عاشوراء الرهيب ، ليمنح أخاه وسام :
«المجير والمستجار» لأنّه ﷺ رآه أهلاً لذلك ، وعرفه جديراً بهذا التقدير
والإمتنان .

[الرسول ﷺ ومسألة الإستجارة]

وفي التاريخ أنّ رسول الله ﷺ قد استجار بأحد شخصيّات مكّة يدعى :
المطعم بن عدي ، وذلك بعد فقدّه عمّه أبا طالب ﷺ ، فإنّه لما مات عمّ النبي ﷺ
أبو طالب ﷺ اشتدّ بلاء قريش على رسول الله ﷺ فخرج إلى الطائف ومعه زيد
بن حارثة مولاه ، رجاء أن يؤووه وينصروه على قومه ، ويمنعوه منهم ، فاجتمع
بهم في ناديتهم ودعاهم إلى الله ، فلم يرفههم من يجيبه ، أو يؤويه وينصره ، ونالوه
مع ذلك بأشدّ الأذى ، ونالوا منه ما لم ينل منه قومه . فأقام ﷺ بينهم عشرة أيّام لا

يدع أحداً من أشrafهم إلّا جاءه وكلمه، فما كان جوابهم إلّا أن قالوا له: أخرج من بلادنا، واغروا به سفهاءهم يرمونه بالحجارة حتّى شجّوا رأسه وأدموا رجله، فخرج ﷺ من الطائف متّجهاً إلى مكّة ونزل في الطريق بنخلة وأقام بها أياماً، فقال له زيد بن حارثة: كيف تدخل مكّة وتعود إلى قريش وقد أخرجوك منها؟ فقال ﷺ: يا زيد! إنّ الله جاعل لما ترى فرجاً ومخرجاً، وإنّ الله ناصر نبيّه، ومظهر دينه، ثمّ انتهى ﷺ إلى مكّة فأرسل رجلاً من خزاعة إلى المطعم بن عدي ليقول له: أدخل في جوارك؟ فقال: نعم، ودعا بنيّه وقومه فقال: ألبسوا السلاح وكونوا عند أركان البيت، فإنّي قد أجزتُ محمّداً. فدخل رسول الله ﷺ ومعه زيد بن حارثة، حتّى انتهى إلى المسجد الحرام، فقام المطعم بن عدي على راحلته فنادى: يا معشر قريش! إنّني قد أجزتُ محمّداً، فلا يهيجه منكم أحد، فأنتهى رسول الله ﷺ إلى الركن فاستلمه، وصلى ركعتين، وأنصرف إلى بيته والمطعم بن عدي وولده محدقون به بالسلاح حتّى دخل بيته ﷺ. وفي مكّة عاد رسول الله ﷺ إلى تبليغ رسالات ربّه كما كان عليه من قبل وهو في إجارة المطعم بن عدي وحمايته، فإذا كان رسول الله ﷺ قد استجار بأحد شخصيات مكّة وهو: المطعم بن عدي، في هذه القصة، فإنّ الإمام الحسين عليه السلام قد استجار بأخيه أبي الفضل العباس عليه السلام، فأنعم بأبي الفضل عليه السلام مجيراً ومستجاراً.

[المُجير لكلّ من استجار به]

نعم لقد أصبح أبو الفضل العباس عليه السلام بعد أن استجار به أخوه الإمام الحسين عليه السلام ومنحه وسام «المستجار» مستجاراً لكلّ ملهوف ومكروب، ومجيراً لكلّ ضعيف ومغلوب، فليس هناك من استجار به في مهمّ، إلّا وتيسّر له مهمّه، ولا

استغاث به مستغيث في ملّة إلّا وانجلى عنه ملّمته، ولا التجأ إليه خائف إلّا وأمن، ولا أُمّة مؤمّل حاجة إلّا وبلغ أمله وقضيت له حاجته.

وتاريخ مرقد أبي الفضل العباس ﷺ ويوميات روضته المباركة، بل ساعاتها ولحظاتها مليئة بهذه الكرامات، وحافلة بهذه العنايات والألطف، وقد نظم الشعراء قصائد مطوّلة وكثيرة في هذا المجال نشير إلى مقطع منها للسيّد صالح الحلّي رحمه الله قال وهو يصف استشفاء أحد المؤمنين يدعى باسم «سعيد» به ﷺ وحصوله على الشفاء الكامل :

فحبانا منه منحه	بأبي الفضل استجرنا
ألم القلب وجرحه	وطلبنا أن يداوي
بعد سقم ثوب صحه	فكسسا الله سعيده
قرحة القلب بفرحة	بدّل الرّحمن منه

الخصيصة الخامسة والثلاثون :

« في أنه ﷺ الوافي »

وقاه يقيه وقاية أي : صانه ومنعه من الأذى . وقيت الشيء أقيه : إذا صنته وسترته عن الأذى ، وفي التنزيل العزيز : ﴿ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ ﴾ أي : كفاهم الله ، ومنع منهم أهوال يوم القيامة وشدائده ، وفي الكتاب الحكيم : ﴿ مَا لَهُمْ مِنْ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴾ أي : من دافع ، ووقاه الله أي : حفظه ، والتوقية : الكلاءة والحفظ .
إذن : فالوافي من حيث اللغة هو : من يقوم بعملية الحفظ والوقاية ، والمنع والصيانة ، ويشغل بالدفع والكفاية ، والاغاثة والإعانة ، وفي ثواب الوافي روايات نذكر بعضها :

ففي الحديث الشريف عن رسول الله ﷺ أنه قال : « من أغاث أخاه المؤمن ، حتّى يخرجـه من همّ وكربة وورطة ، كتب الله له عشر حسنات ، ورفع له عشر درجات ، وأعطاه ثواب عتق عشر نسـمات ، ودفع عنه عشر نقمات ، وأعدّ له يوم القيامة عشر شفاعات » .

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : « عونك الضعيف من أفضل الصدقة » .

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال : « ما من مؤمن يعين مؤمناً مظلوماً ، إلّا كان أفضل من صيام شهر ، واعتكافه في المسجد الحرام ، وما من مؤمن ينصر أخاه وهو يقدر

على نصرته، إلا نصره الله في الدنيا والآخرة».

وعن أبي عبدالله ﷺ أيضاً قال: «نزعك القذاة، عن وجه أخيك، عشر حسنات، وتبسمك في وجهه حسنة، وأوّل من يدخل الجنة أهل المعروف».

وعن أبي عبدالله ﷺ أيضاً أنه قال: «من أغاث أخاه المؤمن اللهفان اللهفان عند جهده، فنفس كربته، أو أعانه على نجاح حاجته، كانت له بذلك اثنتان وسبعون رحمة لأفراع يوم القيامة وأهواله».

وأبو الفضل العباس ﷺ قد فاز بما بشرت به هذه الروايات من أجر وثواب، إذ كان هو «الواقي» بنفسه ودمه بالنسبة إلى أخيه الإمام الحسين ﷺ وذلك بكلّ ما لكلمة «الواقي» من معنى، كما كان أبوه أمير المؤمنين ﷺ هو «الواقي» بكلّ ما للكلمة من معنى أيضاً بالنسبة إلى أخيه رسول الله ﷺ حتّى أنّه نزلت في حقّه آية الذكر الحكيم وهي تشهد له بالوقاية عن رسول الله ﷺ ليلة المبيت، وتثني عليه قائلة: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾.

[«الواقي» وسام أبي الفضل ﷺ]

نعم، لقد حصل أبو الفضل العباس ﷺ على أثر إخلاصه في حفظ معسكر الإمام الحسين ﷺ وكلاءة مخيم النساء والأطفال: بنات رسول الله ﷺ وذريّته الاطبيين، وصيانة رسول الله ﷺ في ذريّته ودينه، على وسام: «الواقي» وكفى به شرفاً وعزّاً، وفخراً وكرامة.

فلقد جاء في إحدى زياراته ﷺ المروية عن الإمام الصادق ﷺ أن قال: تقف عند مرقده الشريف وتقول: «السلام عليك أيّها الوليّ الصّالح، النّاصح الصّدّيق، أشهد أنّك آمنت بالله، ونصرت ابن رسول الله، ودعوت إلى سبيل الله،

وواسيت بنفسك، وبذلت مهجتك، فعليك من الله السلام التام. ثم قال: تنكبّ على القبر المنيف وتقول: بأبي وأُمّي يا ناصر دين الله، السلام عليك يا بن أمير المؤمنين، السلام عليك يا ناصر الحسين الصديق، السلام عليك يا شهيد بن الشهيد، السلام عليك منّي أبداً ما بقيت، وصلى الله على محمّد وآله وسلّم». فإنّه يستفاد من هذه الزيارة أنّ أبا الفضل العباس عليه السلام قد حصل على أوسمة رفيعة، ونياشين عالية، وهي تتضمّن على وسام: «الواقى».

ولقد جاء في الزيارة الصادرة عن الناحية المقدسة سنة مائتين واثنين وخمسين هجرية المنقولة في البحار عن كتاب الإقبال مسنداً عن الإمام الهادي عليه السلام المشتملة على أسماء الشهداء وبعض أحوالهم ما يلي: «السلام على أبي الفضل العباس بن أمير المؤمنين، المواسي أخاه بنفسه، الآخذ لغده من أمسه، الفادي له، الواقى» وهنا كما رأيت تصريح من الناحية المقدسة بمنح أبي الفضل العباس عليه السلام وسام: «الواقى» وقد ناله عليه السلام بكفائة وجدارة.

ثم إنّ هناك أوسمة قيّمة أخرى نالها أبو الفضل العباس عليه السلام بجدارة وكفائة، حتّى صار يُعرف بها ويُدعى إليها، مثل: «الساعي» و«المستعجل» و«المصفي» وغير ذلك نشير إليها باختصار:

«الساعي»

سعى يسعى سعاية: إذا عمل، ومضى في مهمّة ومشى فيها، وباشر انجازها وتحصيلها، والساعي هو من يقوم بذلك، ولقد عُرف أبو الفضل العباس عليه السلام بالساعي، لسعيه عليه السلام في إنجاز مهمّة الإستقاء وطلب الماء لمعسكر الإمام الحسين عليه السلام، وخاصّة لأهل بيته وعيالاته بنات رسول الله صلى الله عليه وآله وذريّته، ولسعيه عليه السلام في حماية أخيه الإمام الحسين عليه السلام وحماية أهل بيته وذويه، وأصحابه

وأنصاره، بل ولسعيه في حفظ دين الله وكتابه، والذبّ عن رسول الله ﷺ وذريّته، ونصرة الحقّ ومعالمه، حتّى وسمه الإمام الهادي علي بن محمّد ﷺ في زيارة الناحية المقدسة، المنقولة في البحار، والمشملة على أسماء الشهداء، بوسام: «الساعي» وذلك حيث يقول ﷺ فيها: «السلام على أبي الفضل العباس بن أمير المؤمنين، المواسي أخاه بنفسه، الآخذ لغيره من أمسه، الفادي له، الواقى، الساعي».

وخاطبه قبل ذلك الإمام الصادق ﷺ في زيارته المعروفة قائلاً: «أشهد أنّك لم تهن، ولم تنكل، وأنّك مضيت على بصيرة من أمرك» كناية عن شدة سعي أبي الفضل العباس ﷺ وعظيم وفائه بعهد مع سيّده وإمامه الإمام الحسين ﷺ، وكبير معرفته بالله ورسوله وولاية أئمة الحق، ونفوذ بصيرته بأمر دينه ودينه، وآخرته وعقباه، فهنيئاً لأبي الفضل العباس ﷺ وسام «السّاعي» فإنّه قد ناله بجدارته وكفائه، ولو ذعية والمعيّة.

[أجر الساعي وثوابه]

وهناك روايات تعرّضت لبيان ثواب الساعي وأجر الماشي في حوائج الناس، فكيف الساعي بين يدي إمامه، والماشي في قضاء حوائجه، وإنجاز مهمّاته، كأبي الفضل العباس ﷺ؟ ونحن نشير إلى بعضها:

في الكافي مسنداً عن أبي عبد الله ﷺ أنّه قال: «من سعى في حاجة أخيه المسلم طلب وجه الله، كتب الله عزّ وجلّ له ألف ألف حسنة، يغفر فيها لأقاربه وجيرانه، وإخوانه ومعارفه...».

وفي الكافي أيضاً مسنداً عن أبي الحسن ﷺ أنّه قال: «إنّ لله عبداً في

الأرض يسعون في حوائج الناس، هم الآمنون يوم القيامة، ومن أدخل على مؤمن سروراً فرّح الله قلبه يوم القيامة».

وفي الكافي أيضاً مسنداً عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: «من مشى في حاجة أخيه المسلم، أظله الله بخسمة وسبعين ألف ملك، ولم يرفع قدماً إلا كتب الله له حسنة، وخطّ عنه بها سيئة، ويرفع له بها درجة، فإذا فرغ من حاجته كتب الله عزّ وجلّ له بها أجر حاجّ ومعتبر».

وفي الكافي أيضاً مسنداً عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لأنّ أمشي في حاجة أخ لي مسلم، أحبّ إليّ من أن أعتق ألف نسمة، وأحمل في سبيل الله على ألف فرس مسرّجة ملجمة».

وفي الإختصاص عن الصادق عليه السلام أنه قال: «مشي المسلم في حاجة المسلم خير من سبعين طوافاً بالبيت الحرام».

وفي الكافي مسنداً عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ما من مؤمن يمشي لأخيه المسلم في حاجة إلا كتب الله عزّ وجلّ له بكلّ خطوة حسنة، وخطّ بها عنه سيئة، ورفع له بها درجة، وزيد بعد ذلك عشر حسنات، وشفّع في عشر حاجات».

«المستعجل»

العَجَل والعَجَلَة: السرعة خلاف البطء، وفي التنزيل العزيز: ﴿وَلَوْ يَعْلَمُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ﴾ أي: لو عجل الله للناس الشرّ إذا دعوا به على أنفسهم عند الغضب وعلى أهلهم وأولادهم، واستعجلوا به كما يستعجلون بالخير فيسألونه الخير والرحمة، لقضي إليهم أجلهم أي: ماتوا وهلكوا ولكن الله تعالى لا يعجل لهم الهلاك، بل يمهّلهم حتّى يتوبوا. وقد دعي أبو الفضل العباس عليه السلام بالمستعجل وعرف به، لأنّه عليه السلام يسرع في إغاثة الملهوف، وإعانة

الضعيف، وإسعاف المحتاجين والزماني، فإنه ما توّسل به إلى الله تعالى أحد، ولا استشفع به متشفّع، ولا أمله مؤمل، إلّا ورجع بقضاء حاجته، وقبول شفاعته، وتحقيق آماله وأمانته، حتّى دعي عليه السلام على أثر ذلك باسم «المستعجل» وعرف به.

«المصفّي»

صفا يصفو صفاءً: إذا خلص من الكدر، ونقي ممّا لا خير فيه، واستصفيت الشيء: إذا استخلصته، وأصفى الشاعر: إذا انقطع شعره ونقد، واستصفى ماله: إذا أخذه كلّهُ.

وكيف كان: فإنّ «المصفّي» الذي هو اسم فاعل من صفّى يصفّي تصفية، يقال لمن يقوم بعملية التصفية والتنقية، والقطع والحسم، والإستخلاص والأخذ، وحيث أنّ أبا الفضل العباس عليه السلام عُرف باستخلاص قضية المتنازعين عند مراجعتهم إليه من الكدر، وإنقاء نزاعهما من الشبهة، وأخذ الظالم الجاحد للحق من المتنازعين أخذاً شديداً يقطع به مادّة النزاع، دُعي باسم: «المصفّي».

نعم إنّه اشتهر في الناس وخاصة عند أهل القرى والأرياف القاطنين في العراق بأنّ أبا الفضل العباس عليه السلام هو خير من يقطع مادّة النزاع ويحسمها من أصلها، وذلك بأخذ الظالم، والإنّقام من الجاحد للحق، والمنكر له من المتنازعين، ولذلك إذا حدث لهم نزاع وتشاجر، ولم يرضخ الظالم من المتنازعين للحق، ولم يعترف به ويخضع له، جاؤوا بالقضية إلى أبي الفضل العباس عليه السلام، فيأتون إلى روضته المباركة، ويدخلون حرمة الشريف، ويطلبون من المتّهم في القضية الذي يصرّ على الجحود والإنكار أن يحلف بأبي الفضل العباس عليه السلام على برائته، فالمتّهم حينئذ يرى نفسه أمام الواقع الصريح الذي لا مفرّ منه، والحقّ الواضح الذي لا غبار عليه، فهو إمّا بريء في نفسه، أو ظالم منكر

للحقّ، وبكلّ صورة سوف ينقطع النزاع وينحسم، وذلك لأنّه إن كان بريئاً حلف ولم يمسّه سوء، فيُعلم أنّه كان بريئاً ممّا اتُّهم به، وإن كان واقعاً غير بريء فهو إمّا أن يحلف أو لا يحلف، فإن تعقّل واشترى خزي الدّنيا عن عذاب الآخرة لم يحلف خوفاً من أبي الفضل العباس عليه السلام فيعترف بالحقّ ويرضخ له، وإن جازف بنفسه وباعها بخزي الدنيا وعذاب الآخرة حلف، فيؤخذ بذنبه، ويعاقب على جنايته، ويُنتقم منه، وأحياناً كثيرة يقضى عليه من طريق الغيب، لكرامة أبي الفضل العباس عليه السلام على الله، ومنزلته عنده، انتصافاً للمظلوم المعتدى عليه، وانتقاماً من الظالم الجاحد للحق.

هذا إن كان «المصفي» على وزن اسم الفاعل، وإن كان على وزن اسم المفعول وقلنا: «المصفي» فإنّ معناه: الخالص والمخلص والمستخلص، أي: إنّ الله تبارك وتعالى قد استخلص أبا الفضل العباس عليه السلام واتّخذه خالصاً له، وجعله من عباده المخلصين، وهو مقام رفيع، ووسام عظيم، لا يناله إلا ذو حظّ عظيم، كأبي الفضل العباس عليه السلام.

الخصيصة السادسة والثلاثون :

« في أنه ﷺ سفير أخيه الإمام الحسين ﷺ »

السفير هو الرسول المصلح الذي يمثل أحد طرفي القضية الدائرة بين فئتين، ويقوم بينهما بعملية السفارة والوساطة، والتنسيق والوفاق. ومعلوم أنه كلما كانت القضية الدائرة بين الطرفين، أكبر أهمية وحساسية، وأعظم دوراً وفاعلية، كما لو كانت حيوية ومصيرية، كانت السفارة فيها أصعب وأعقد، وكان السفير فيها أكبر مسئولية وأعظم عبأً وحملًا. فيلزم أن يكون السفير بمستوى القضية، بل فوق مستواها.

إذن: فالقضايا المصيرية المهمة تتطلب سفيراً أميناً كريماً، وعالمًا حازماً، وشجاعاً شهماً، وأبياً وفتياً، وأبوالفضل العباس ﷺ هو من قد تجمعت فيه كل خصال السفير الناجح والرسول الصالح، ولم يكن هناك في كربلاء أحد أجدر منه وأفضل، ولذلك اختاره أخوه الإمام الحسين ﷺ لمهمة السفارة بينه وبين جيش بني أمية عندما زحف الجيش بقيادة ابن سعد نحو مخيم الإمام الحسين ﷺ مساء يوم التاسع من محرّم الحرام سنة إحدى وستين للهجرة.

[تاسوعاء وأهم واقعة فيها]

لقد سجّل التاريخ في صفحاته، ودوّنت كتب المقاتل في طياتها، وقائع

مهمة وقعت في اليوم التاسع من محرّم الحرام، ذلك اليوم العصيب المسمّى بيوم تاسوعاء، وسُمّي تاسوعاء لأنّه - على ما قيل - اسم لليوم التاسع من السنة، إذ شهر محرّم الحرام أوّل شهور السنة، وتاسعه تاسع أيّام السنة، ويقال لليوم التاسع منها تاسوعاء، ولليوم العاشر منها عاشوراء.

وعليه: فلعلّ الواقعة التالية من بين وقائع يوم تاسوعاء التي سوف نتعرّض لذكرها قريباً إنشاءً لله تعالى تكون من أهمّ تلك الوقائع وقعاً، وأعظم تلك القضايا عظة ودرساً، وعبرة وحكمة، وذلك لأنّها كشفت عن علوّ مقام أبي الفضل العباس عليه السلام عند الله ورسوله، وعن كبير منزلته ومكانته لدى أخيه وإمامه الإمام الحسين عليه السلام، وذلك عندما زحف الجيش الأموي نحو المخيم الحسيني حيث خاطبه الإمام الحسين عليه السلام بقوله: «يا عباس! إركب بنفسي أنت يا أخي، حتّى تلقاهم وتقول لهم: ما لكم؟ وما بدا لكم؟ وتسالهم عمّا جاء بهم؟».

كما أنّ هذه الواقعة كشفت عن تولّي أبي الفضل العباس عليه السلام منصب السفير وأداء مهمة السفارة عن أخيه الإمام الحسين عليه السلام وإحراز كفائته لها، وجدارته بها، فقد أثبت كونه سفيراً ناجحاً، ورسولاً موفقاً، استطاع عبر سفارته تحقيق ما قام بالسفارة من أجله، وتمكّن بوساطته إنجاز ما توسّط له من مهامّه.

كما ان هذه الواقعة كشفت أيضاً عن اهتمام رسول الله ﷺ والأئمّة من أهل بيته عليهم السلام بالقرآن وتلاوته، والصلاة وإقامتها، والدعاء وإكثاره، والإستغفار وملازمته، واللّجاء إلى الله تعالى والابانة إليه، وتبليغ رسالات الله إلى النّاس والإستمرار فيه، والتوجيه إلى المعنويّات والدار الآخرة والإصرار عليها، والتضحية من أجل الله ودينه والإستقامة فيها، وإلى غير ذلك من الدروس والعظات، والعبر والحكم، الكامنة في طيّات هذه الواقعة المهمة، التي اتّفقت للإمام الحسين عليه السلام في كربلاء، وفي يوم تاسوعاء، من سنة إحدى وستين هجرية

على هاجرها آلاف التحية والسلام. والواقعة هي على ما جاءت في معالي السبطين كالتالي :

[إطلالة تاسوعاء]

أطلّ يوم تاسوعاء بوقائعه المؤلمة، وحوادثه المفجعة، على الإمام الحسين ﷺ، ونشرت الشمس أشعتها الباهتة والكثيية من شدة الرزايا والمصائب على ربوع كربلاء، فقد حوَّصر في هذا اليوم - كما عن الإمام الصادق ﷺ - الإمام الحسين ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم بكربلاء، واجتمع عليه خيل أهل الشام، وأناخوا عليه، وفرح ابن مرجانة وعمر بن سعد، بتوافر الخيل وكثرتها، واستضعفوا فيه الإمام الحسين ﷺ وأصحابه، وأيقنوا أنه لا يأتي الإمام الحسين ﷺ ناصر، ولا يمدّه أهل العراق بعدّة وعدد. ثم بكى الإمام الصادق ﷺ وقال: بأبي المستضعف الغريب.

نعم، في هذا اليوم اجتمعت عدّة أهل الشام، وكثر جمعهم، وتوافرت كثرتهم، ونزل شمر بن ذي الجوشن على ما روى الصدوق عليه الرّحمة في أربعة آلاف ومعه كتاب من عبيد الله بن زياد.

وفي القمقام: قال سعد بن عبيدة: كنّا في حرّ شديد في ذلك اليوم، وقد دخلنا الماء مع عمر بن سعد للنزهة والتبريد، وبيننا نحن كذلك إذ جاء إلى ابن سعد رجل وأسرّ إليه ما نخص علينا نزهتنا واستجمامنا، إنّه همس في أذنه قائلاً: إنّ ابن زياد قد بعث إليك شمر بن ذي الجوشن ليرى ما أنت صانعه مع الإمام الحسين، فإنّ رآك متوقفاً في قتاله ومنازلته ضرب عنقك، وتصدّى هو بنفسه لقيادة الجيش وإمارة العسكر، فانظر في أمرك، وأعدّ له عدّتك.

وما أن علم ابن سعد بالخبر حتى خرج من الماء وتعبّل في حرب الإمام الحسين عليه السلام، فركب من ساعته، ونادى في معسكره بأعلى صوته مراوغة ومخادعة بقوله: يا خيل الله اركبي، وبالجنة ابشري، معلناً بذلك عن بدأ القتال، وانطلاق الحرب والمناوشة، وزحف الجيش نحو معسكر الإمام الحسين عليه السلام ومخيّمه، فركبوا وزحفوا نحوه عليه السلام وكان الوقت بعد العصر من يوم تاسوعاء.

[زحف الجيش الأموي]

اقترب الجيش الأموي الزاحف، إلى معسكر جيش بني هاشم الرابض، وذلك في حين كان سيّد المعسكر: الإمام الحسين عليه السلام جالساً أمام خيمته، محتبياً بسيفه، خافقاً برأسه على ركبتيه، فسمعت السيّدّة زينب عليها السلام الصيحة والهيجة، فأسرعت نحو أخيها الإمام الحسين عليه السلام لتعلمه بالخطر، الذي أصبح يهدّدهم، فلما رأت أختها بتلك الحالة بعيداً عن الخطر المحدث به، دنت منه وقالت: أخي يا أبا عبد الله! أخي يا أخي! أما تسمع هذه الأصوات قد اقتربت منا؟ عندها رفع الإمام الحسين عليه السلام رأسه، واستوى جالساً، وقال: أخيه زينب! كنت قد غفوت الساعة فرأيت رسول الله ﷺ في غفوتي ونومي وهو يقول لي: إنك تروح إلينا. وفي اللهوف: قال عليه السلام: إنني رأيت الساعة جدّي محمداً ﷺ، وأبي عليّاً، وأُمّي فاطمة، وأخي الحسن، وهم يقولون لي: يا حسين! إنك رائح إلينا عن قريب، وفي بعض الروايات: إنك رائح إلينا غداً.

وما أن سمعت السيّدّة زينب عليها السلام رؤيا أخيها الإمام الحسين عليه السلام، حتى بكّت وأعولت، ولطمت وجهها وخدّها، وصرخت وصاحت: واويلاه.

فقال لها الإمام الحسين عليه السلام بشفقة ورحمة وهو يسكتها ويسكنها: ليس

الخصيصة السادسة والثلاثون : في أنه ﷺ سفير أخيه الإمام الحسين ﷺ ٢٧٣

الويل لك يا أخيه، بل لأعدائك، أُسكتي رحمك الله كي لا يشمت القوم بنا، فسكتت ﷺ وسكنت.

[السفارة بين الجيشين]

وهنا تقدم أبو الفضل العباس ﷺ إلى أخيه الإمام الحسين ﷺ وأخبره بأنّ الجيش الأموي قد زحف نحوهم قائلاً: يا أخي! تدأتانا القوم وزحفوا نحونا. فنهض الإمام الحسين، ﷺ ثم قال: يا عباس! اركب بنفسي أنت يا أخي! حتّى تلقاهم وتقول لهم: ما لكم؟ وما بدا لكم؟ وتسالهم عمّا جاء بهم؟ فركب أبو الفضل العباس ﷺ وأتى القوم في نحو من عشرين فارساً، فيهم زهير بن القين، وحبيب بن مظاهر، فجاء حتّى إذا وقف عليهم قال: ما بدا لكم؟ وما تريدون؟

فأجابوه بقولهم: قد جاءنا أمر الأمير بأن نعرض عليكم أن تنزلوا على حكمه، أو نناجزكم.

فقال لهم أبو الفضل العباس ﷺ: إذن مكانكم، لا تعجلوا حتّى أرجع إلى أبي عبد الله ﷺ فأعرض عليه ما ذكرتم، وأخبره بما قلتم.

كان لكلام أبي الفضل العباس ﷺ هذا، وقعاً شديداً على قلوب القوم، وتأثيراً كبيراً في إرعاب نفوسهم، حيث أنّهم لم يتجرّؤا بعده على مواصلة زحفهم نحو معسكر الإمام الحسين ﷺ، وإنّما أحجموا ووقفوا وهم يقولون: نعم، ألقه واعلمه بالخبر، ثمّ القنا بما يقول لك، واعلمنا به.

فرجع أبو الفضل العباس ﷺ إلى أخيه الإمام الحسين ﷺ يخبره الخبر، ووقف أصحابه يخاطبون القوم ويكلّمونهم.

[حبيب وزهير يعظان القوم]

ثم التفت حبيب بن مظاهر إلى زهير بن القين وقال له : يا زهير ! كلم القوم
إن شئت ، وإن شئت كلمتهم أنا .

قال زهير : يا حبيب ! أنت بدأت بهذا ، فكن أنت الذي تكلمهم .

فتقدم حبيب بن مظاهر وخاطب القوم بقوله : أما والله ! لبئس القوم عند الله
غداً قوم يقدمون عليه وقد قتلوا ذرية نبيّه ، وعترته ، وأهل بيته ، وعباد أهل هذا
المصر ، المتهجدين بالأسحار ، الذاكرين الله كثيراً .

فقاطعه عزرة بن قيس قائلاً : إنك يا حبيب لتزكي نفسك ما استطعت .

فأجابه زهير بقوله : يا عزرة : إن الله قد زكاها وهداها ، فاتق الله يا عزرة
وخفه ، فإنني لك من الناصحين ، أنشد الله يا عزرة أن تكون ممن يعين الضلال على
قتل النفوس الزكية .

فقال له عزرة شامتاً به وطاعناً فيه : يا زهير ! ما كنت عندنا من شيعة أهل
هذا البيت ، إنما كنت أنت عثمانياً .

فأجابه زهير قائلاً : أفلمست تستدلّ بموقفي هذا على أنني منهم ؟ ثم أضاف :
أما والله ما كتبت إليه كتاباً قطّ ، ولكن الطريق جمع بيني وبينه ، فلما رأيته ذكرت به
رسول الله ﷺ ومكانه منه ، وعرفت ما يقدم عليه من عدوّه وحزبكم ، فرأيت أن
أنصره ، وأن أكون في حزبه ، وأن أجعل نفسي دون نفسه ، حفظاً لما ضيّعتم من حقّ
الله ، وحقّ رسوله ﷺ .

[السفير الناجح والسفارة الموفقة]

وبينما كان زهير يناقش عزرة، وحبيب ينصح القوم ويعظهم، ويأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر إذ وصل أبو الفضل العباس ﷺ إلى أخيه الإمام الحسين ﷺ وأخبره بما قاله القوم، فقال له الإمام الحسين ﷺ : ارجع يا أخي إليهم، فإن استطعت أن تؤخّرهم إلى غد، وتدفعهم عنّا العشيّة، لعلنا نصليّ لرَبِّنا الليلة، وندعوه، ونستغفره، فهو يعلم أنّي قد كنت أحبّ الصلاة له، وتلاوة كتابه، وكثرة الدعاء والاستغفار.

فمضى أبو الفضل العباس ﷺ إلى القوم واستمهلهم تلك الليلة، وكانت ليلة جمعة، فتوقّف عمر بن سعد في ذلك، وفي المنتخب: إنّهُ التفت إلى شمر بن ذي الجوشن وقاله له: ما تقول يا بن ذي الجوشن؟

فقال شمر بن ذي الجوشن: أمّا أنا فلو كان الأمر إليّ وكنت أنا الأمير، ما كنت أمهلهم، ولا أنظرهم ساعة، فكيف بليلة؟

فقاطعهم عمرو بن الحجاج الزبيدي قائلاً: ويلكم! والله لو أنّهم كانوا من الترك والديلم، وسألونا مثل ذلك لأجبناهم، فكيف وهم آل محمّد؟

وهنا التفت ابن الأشعث: قيس، إليه وقال له: لا تجبهم إلى ما سألوك، فلعمري ليصبحنّك بالقتال غدوة.

فردّ على قيس مجيباً له بقوله: والله لو أعلم أن يفعلوا ما أخّرتهم العشيّة. ثمّ استقرّ رأيهم أخيراً على أن يمهلوهم تلك الليلة. فرجع أبو الفضل العباس ﷺ من عند القوم ومعه رسول من قبل عمر بن سعد، حتّى إذا وصلا إلى الإمام الحسين ﷺ قام ذلك الرسول حيث يسمع الصوت ونادى قائلاً: إنّنا قد

أجلناكم إلى غد، فإن استسلمتم سرحنا بكم إلى ابن زياد، وإن أبيتتم فإننا لسنا بتارككم، ثم انصرف.

وفي أمالي الصدوق: إن ابن سعد أمر مناديه أن ينادي في الناس: إنا قد أجلنا حسيناً وأصحابه يومهم وليلتهم، فرجع على أثره كل من الجيشين إلى معسكرهم ومخيّمهم.

وهكذا استطاع أبو الفضل العباس عليه السلام أن يؤدّي سفارته بأحسن وجه، وأن يقوم بوساطته خير قيام، حيث أنه لم يجد القوم بعد عرضه عليه السلام عليهم إمهال ليلة، إلا النزول إلى عرضه، والسماح بإمهالهم، والقبول لإظهارهم، وتركهم وشأنهم في تلك الليلة التاريخية الحاسمة، ليلة عاشوراء المصيرية الصارمة.

[من أحداث ليلة عاشوراء]

غربت شمس تاسوعاء، ولملمت ذيولها الباهتة من الأفق، وغابت في المجهول، ولاح سواد ليلة عاشوراء على أفق كربلاء، وأخذ الظلام يغزو كل ثغر ومكان، حتّى أصبح الكون مظلماً وكأنّه قد طبّق بأجنحة حالكة سوداء، وستور قاتمة دكناء، ولاذ كلٌّ إلى وكره ومأمنه، ومأواه ومستراحه، غير ابن بنت رسول الله ﷺ وأهل بيته وأصحابه، وعقائل بني هاشم وذراري رسول الله ﷺ فإنهم قد جنّ عليهم الليل، وغطّاهم سواده وظلامه، ولا وكر لهم ولا مأمن، ولا مستراح ولا مأوى.

نعم، في هذه الليلة التاريخية الصعبة، والظروف القاسية المروّة، لم يرتبك الإمام الحسين عليه السلام أو ينشغل عمّا بهمّ أمر دينه ودنياه، وحاشاه أن يرتبك وينشغل فإنّه عليه السلام إمام معصوم، قد أذهب الله عنه الرجس وطهره تطهيراً، بل إنّه كما كان

الخصيصة السادسة والثلاثون : في أنه ﷺ سفير أخيه الإمام الحسين ﷺ ٢٧٧

يفكر في أمر آخرته، كان يفكر في أمر دنياه أيضاً، وهذا هو ما أكد عليه الإسلام، وطبقه الإمام الحسين ﷺ في أصعب ظروفه تعليماً لنا وحنة علينا.
ولذلك فإنه ﷺ قسم ليلته تلك : ليلة عاشوراء الرهيبة، إلى ثلاثة أقسام :

[القسم الأول : الاجتماع بالأصحاب]

١ - خصَّص الإمام الحسين ﷺ قسماً من ليلة عاشوراء للاجتماع بأصحابه، واختبارهم، ورفع البيعة عنهم، وإتمام الحجة عليهم بقوله لهم : «يا قوم اعلموا أنكم خرجتم معي، لعلكم أني أقدم على قوم بايعوني بالسنتهم وقلوبهم، وقد انعكس الأمر، لأنه استحوز عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله، والآن ليس لهم قصد سوى قتلي، وقتل من يجاهد بين يدي، وسبي حريمي بعد سلبهم، وأخشى أنكم ما تعلمون، أو تعلمون وتستحيون، والخدع عندنا أهل البيت محرمة، فمن كره منكم ذلك فليصرف، فإن الليل ستير، والسبيل غير خطير، والوقت ليس بهجير، ومن واسانا بنفسه، كان معنا في الجنان، نجياً من غضب الرحمن، وقد قال جدِّي رسول الله ﷺ : ولدي الحسين يقتل بطف كربلاء غريباً وحيداً، عطشاناً فريداً، فمن نصره فقد نصرني، ونصر ولده الحجة عجل الله تعالى فرجه، ولو نصرنا بلسانه، فهو في حزبنا يوم القيامة».

وما أن أتمَّ الإمام الحسين ﷺ كلامه إلّا وتفرَّق كثير ممَّن كان قد جاء مع الإمام الحسين ﷺ لطلب الدنيا، ولم يبق معه إلّا نيف وسبعون رجلاً ممَّن صحبه ﷺ لطلب الآخرة، إضافة إلى من كان معه ﷺ من أهل بيته، وإخوته، وشبَّان بني هاشم.

وفي رواية أخرى أن الإمام الحسين ﷺ خطب ليلة عاشوراء في أهل بيته

وفيمن بقي معه من أصحابه، وقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه، وصلى على رسوله وأهل بيته الطاهرين: «أما بعد: فإنني لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي، ولا أهل بيت أبرّ وأوصل من أهل بيتي، فجزاكم الله عني خيراً، ألا وإنني لا أظنّ يوماً لنا من هؤلاء، ألا وإنني قد أذنت لكم، فانطلقوا جميعاً في حلّ، ليس عليكم حرج مني ولا ذمام، هذا الليل قد غشيكم، فاتخذوه جملاً». وهنا لما أتمّ الإمام الحسين عليه السلام كلامه، قام إليه بنو هاشم وعلى رأسهم، والناطق عنهم أبو الفضل العباس عليه السلام وقال: «لِمَ نفعل ذلك يا ابن رسول الله! لنبقى بعدك؟ لا أرانا الله ذلك أبداً» ثمّ قام الأصحاب وقال كلّ منهم كلاماً أظهر فيه وفاؤه بعهدده، وافتخاره بالشهادة بين يديه عليه السلام.

فجزّاهم الإمام الحسين عليه السلام خيراً، وانصرف إلى مضربه وخيمته.

وكان من نتائج هذا الاجتماع والاختبار: أنّ الإمام الحسين عليه السلام لما التقى بأخته عقيلة بني هاشم السيّدة زينب عليها السلام وسألته عن وفاء أصحابه له قائلة: أخي يا أبا عبد الله! هل استعلمت من أصحابك تياتهم، فإنني أخشى أن يسلموك عند الوثبة، واصطكاك الأسنة؟ فأجابها الإمام الحسين عليه السلام مطمئناً لها، ومشفقاً عليها، وهو يبكي ويقول: أما والله! لقد لهزتهم وبلوتهم، وليس فيهم إلّا الأثوس الأقس، يستأنسون بالمنيّة دوني، استيناس الطفل بلبن أمّه.

[القسم الثاني: التخطيط العسكري]

٢ - وخصّص الإمام الحسين عليه السلام قسماً ثانياً من ليلة عاشوراء للتخطيط العسكري، وترسيم سبل الذبّ والدفاع عن النفس، وصدّ هجوم القوم إذا بدأوا الحرب في الصّباح عليهم، وتنظيم جبهة واحدة للمقابلة والمواجهة، وتهيئة

معدّاتهم وإصلاحها وصلحها. فقد دعا الإمام الحسين ﷺ أصحابه، وأمرهم بأن يقربوا بيوتهم بعضها من بعض، وأن يدخلوا أطناب الخيام بعضها في بعض حتّى يحتوي معسكره على أقلّ مساحة ممكنة من الأرض.

ثمّ أمرهم بأن يحفروا خندقاً حول الخيام، وفي كلّ أطراف المعسكر، ما عدا طرف واحد وهو طرف المواجهة، ثمّ أمر أن يملأوه بالقصب والحطب، حتّى يكون جاهزاً عند الصباح لإضرار الثّار فيه، فيكون بذلك خطّاً دفاعيّاً لهم، يقيهم من هجوم الأعداء من كلّ الجوانب، ويحفظهم من محاصرة القوم لهم من كلّ الأطراف، وليكون دفاعهم عن أنفسهم على جبهة واحدة، ومن طرف واحد.

وقد كانت هذه الخطة، خطة عسكريّة ناجحة، تحكي عن نبوغ مخطّطها، وحكمة طرّاحها، وتفصح عن حنكة مؤسّسها، وتجربته العسكريّة العالية، ومعرفته الفائقة بفنون الحرب والقتال، فإنّ العدو لما بدأ القتال صباح يوم عاشوراء، دار حول الخيام وفكّر في محاصرة معسكر الإمام الحسين ﷺ في أوّل لحظات الحرب، والقضاء على معسكر الإمام الحسين ﷺ في الجولة الأولى من بدء القتال، لكنّهم لما واجهوا الخندق المضطرم بالثّار حول الخيام فشلوا ورجعوا خائبين، وخسروا وعادوا أدلّة صاغرين.

نعم، هكذا خطّط الإمام الحسين ﷺ لحفظ معسكره وصيانة مخيمه، وذلك بعد أن سلّم حراسة المخيم، ومحافظة المعسكر كلّ إلى عضده وظهره، وأخيه وصنوه، قمر العشيرة، وكبش الكتيبة، الذي كانت ترتعد فرائص الأعداء من اسمه، وترتجف قلوبهم من رسمه: أبي الفضل العباس ﷺ، فكان ﷺ من أكبر مهامّه في تلك الليلة العصيبة هو حفظ المعسكر، وحراسة مخيم النساء، ولعلّ لقاء السيّد زينب ﷺ به، وإيقافه على أنّه الذي أدّخره أبوه الإمام أمير المؤمنين ﷺ لهذه الليلة ولهذه الأيّام، وتشجيعه على نصره أخيه الإمام الحسين ﷺ، وحماية

أخواتها عقائل بني هاشم، وحراستهم من الأعداء، كان قد اتفق في هذه الليلة بالذات. كما أنَّ الإمام الحسين عليه السلام وكذلك الأصحاب، دخلوا بعد ذلك خيامهم، وأخذوا يعدّون سيوفهم ويصلحونها، ويهيّئون عتادهم ويصقولونها، وكان الإمام الحسين عليه السلام يصلح سيفه ويعالجه وهو ينعى نفسه ويقول:

يا دهر أف لك من خليل كم لك بالإشراق والأصيل
من صاحب وطالب قتيل والدهر لا يقنع بالبديل
وإنما الأمر إلى الجليل وكلّ حيّ سالك سبيل

[القسم الثالث: الإشتغال بالعبادة والتلاوة]

٣- وخصّص الإمام الحسين عليه السلام قسماً ثالثاً وأخيراً من ليلة عاشوراء، للعبادة والتوجّه إلى الله تعالى، وذلك بالصلاة، وبتلاوة القرآن، وبالدعاء والإستغفار، واقتدى به كلّ أصحابه وأهل بيته، وفي طليعة أصحابه وأهل بيته: أخوه العبد الصّالح، المطيع لله ولرسوله، أبو الفضل العباس عليه السلام، فإنّه إلى جانب حراسته، كان قد شارك الأصحاب في ابتهالهم ولجنّتهم إلى الله تعالى. فقاموا يصلّون، ويتلون القرآن، ويدعون ويستغفرون، حتّى كان لهم على أثر ذلك دويّ كدويّ النحل، فقد روى السيّد ابن طاووس في لهوفه قائلاً: «وبات الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه تلك الليلة، ولهم دويّ كدويّ النحل، ما بين راع وساجد، وقائم وقاعد، فعبر إليهم في تلك الليلة من معسكر عمر بن سعد اثنان وثلاثون رجلاً» يعني: التحقوا بهم وفازوا بالشهادة والجنّة مع الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه، وذلك على أثر عبادتهم وصلاتهم الّتي كانوا يصلّونها لله تعالى، وإخلاصهم فيها، وتوديعهم لها، لإيقانهم بالشهادة والسعادة غدأ، في يوم عاشوراء.

الخصيصة السابعة والثلاثون :

« في أنه ﷺ صاحب العصمة الصغرى »

العصمة في كلام العرب : المنع ، وعصمة الله عبده : أن يعصمه ويمنعه ممّا يوبقه ويهلكه ، وعصمه يعصمه عصماً : منعه ووقاه ، وفي التنزيل العزيز : ﴿ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ ﴾ أي : لا مانع ، واعتصم فلان بالله : إذا امتنع به ، والعصمة : الحفظ ، يقال : عصمته فاعتصم ، اعتصمتُ بالله : إذا امتنعت بلطفه من المعصية .

إذن : فالعصمة من حيث اللغة هي : الحفظ والوقاية ، والصّون والمنع ، ومن حيث الإصطلاح هي : قوّة معنويّة ، وملكة روحيّة ، يهبها الله لمن يشاء من عباده ، يحفظه بها من العيوب والذنوب ، ومن الخطأ والزلل ، ويقيه عبرها من السهو والنسيان ، ومن العثرات والهفوات ، لكن لا على وجه يسلب منه الاختيار ، بل على وجه يبقى له حقّ الاختيار محفوظاً ، وذلك لأنّ الاختيار هو من لوازم التكليف ، فإذا سلب منه الاختيار كان معناه : سلب التكليف عنه ، والحال أنّ المعصومين ﷺ مكلفون بالتكاليف الشرعية كسائر الناس ، فتكليفهم دليلٌ على أنّ العصمة التي جعلها الله تعالى فيهم غير سالبة لاختيارهم .

إذا عرفنا معنى العصمة ، فلا بدّ لنا أن نعرف بعدها أنّ العصمة على قسمين : ذاتيّة واجبة ، وعرضيّة مكتسبة .

[العصمة الكبرى وأصحابها]

أما القسم الأول من العصمة، وهي العصمة الذاتية الواجبة: فهي العصمة الكبرى، التي جعلها الله تعالى في ذات الأنبياء وأوصيائهم، وأوجبها لهم، وجبلهم عليها، وخصهم بها، حتى قال تعالى وهو أصدق القائلين، وأعدل المخبرين، في محكم كتابه، ومُبرم خطابه، وهو يخبر عن نبيّه الكريم، ورسوله المصطفى، خاتم أنبيائه، وسيدّ رسله، محمد بن عبدالله ﷺ، وعن ابنة نبيّه، الصديقة الكبرى: فاطمة الزهراء ﷺ، وعن أوصياء نبيّه، الطيبين الطاهرين: أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ﷺ والأئمة الأحد عشر من ذريّته بدءاً بالإمام المجتبى وختماً بالإمام المهدي ﷺ، ويصفهم بالعصمة في هذه الآية الكريمة من سورة الأحزاب القائلة:

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ .

وإنما جعل الله تعالى العصمة في ذات أنبيائه وأوصيائهم، وجبلهم عليها، وأوجبها لهم وزيتهم بها، وخصّ من بينهم: المعصومين الأربعة عشر ﷺ بأعلى درجاتها، وأرقى مراقبها، لأنّ الله تعالى خولّ نبيّه الكريم وأهل بيته الطاهرين حقّه وشريعته، وفوض إليهم ولايته ودينه، وجعلهم أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وأمر الناس بطاعتهم والانقياد لهم، فإذا لم يكونوا مع ذلك كلّ معصومين من الزلل والخلل، والسهو والنسيان، كان معناه: إيقاع الناس في الخطأ والإشتباه، وسوقهم إلى الضلال والفساد، وحاشا لله أن يفعل ذلك، فإنّ الله تعالى حكيم، ولا يفعل الحكيم ما يخالف الحكمة .

هذا مضافاً إلى أنّ الله تبارك وتعالى جعل مهمّة النبي ﷺ أداء الرسالة وتبليغها، وجعل مهمّة أوصيائه والأئمة ﷺ من بعده، حفظ تلك الرسالة

وحراستها، فإذا لم يسلح الله تعالى نبيه الكريم وكذلك أوصيائه والأئمة الطاهرين من بعده بالعصمة، لم يكن أحد منهم مصوناً من الإشتباه والنسيان، والزيادة والنقصان، وإذا احتمل في حقهم ذلك لعدم عصمتهم، انعدمت الثقة بهم ومما جاؤا به، وسلب الاطمينان إليهم وبما قالوه، وبذلك تبطل الشرايع والأديان، وتنسخ الإمامة والوصاية والنبوات. ونسخ الإمامة والنبوات، وبطلان الشرايع والأديان خلاف حكمة الله تعالى، ونقضاً لغرض الله الحكيم، فلا بد إذن من كون النبي ﷺ وأوصيائه والأئمة من أهل بيته ﷺ من بعده معصومين، وفي أرقى مراقبي العصمة، وأرفع درجاتها، وأعلى قممها.

[الصورة التي لن تراها]

ولقد أجاد الشيخ كاظم الأزري في قصيدته التي يصف فيها عصمة النبي ﷺ وأهل بيته ﷺ حيث يقول:

معقل الخائفين من كل خوف	أوفر العرب ذمة أوفاه
مصدر العلم ليس إلا لديه	خبر الكائنات من مبتداه
فاض للخلق منه علم وحلم	أخذت منهما العقول نهها
نُهِت باسمه السماوات والأرض	كما نُهِت بصبح ذكاه
وغدت تنشر الفضائل عنه	كل قوم على اختلاف لغاه
طربت لاسمه الثرى فاستطالت	فوق علوية السما سفلاها
تلك نفس أعزها الله قدراً	فارتضاها لنفسه واصطفاه
حاز من جوهر التقدس ذاتاً	تاهت الأنبياء في معناها
لا تجل في صفات أحمد فكراً	فهي الصورة التي لن تراها

أَيَّ خَلَقَ اللَّهُ أَعْظَمَ مِنْهُ	وَهُوَ الْغَايَةُ الَّتِي اسْتَقْصَاهَا
قَتَّبَ الْخَافِقِينَ ظَهراً لِبَطْنٍ	فَرَأَى ذَاتَ أَحْمَدَ فَاجْتَبَاهَا
لَسْتُ أَنْسَى لَهُ مَنَازِلَ قَدَسٍ	قَدْ بَنَاهَا الثَّقَنِي فَأَعْلَا بَنَاهَا
وَرَجَالاً أَعَزَّةً فِي بَيْوتٍ	أَذْنُ اللَّهِ أَنْ يُعْمَرَ حِمَاهَا
سَادَةً لَا تَرِيدُ إِلَّا رِضَى اللَّهِ	كَمَا لَا يَرِيدُ إِلَّا رِضَاهَا
خَصَّهَا عَنْ كَمَالِهِ بِالْمَعَانِي	وَبِأَعْلَى أَسْمَائِهِ سَمَاهَا
لَمْ يَكُونُوا لِلْعَرْشِ إِلَّا كُنُوزاً	خَافِيَاتٍ سَبْحَانَ مَنْ أَبْدَاهَا
كَمْ لَهُمْ أُنْسٌ عَنِ اللَّهِ تُنْبِي	هِيَ أَقْلَامُ حِكْمَةٍ قَدْ بَرَاهَا
وَهُمُ الْأَعْيُنُ الصَّحِيحَاتُ تَهْدِي	كُلَّ عَيْنٍ مَكْفُوفَةٍ عَيْنَاهَا
عُلَمَاءُ أُنْمَةٍ حُكَمَاءُ	يَهْتَدِي النُّجُومُ بِاتِّبَاعِ هِدَاهَا
قَادَةُ عِلْمُهُمْ وَرَأْيُ حُجَاهِهِمْ	مَسْمَعَا كُلِّ حِكْمَةٍ مَنْظَرَاهَا
مَا أَبَالِي وَلَوْ أَهْيَلْتُ عَلَى الْأَرْضِ	السَّمَاوَاتِ بَعْدَ نَيْلِ وَلَاهَا

[العصمة الصغرى وأربابها]

وَأَمَّا الْقِسْمُ الثَّانِي مِنَ الْعَصْمَةِ، وَهِيَ الْعَصْمَةُ الْعَرْضِيَّةُ الْمَكْتُسِبَةُ: فَهِيَ الْعَصْمَةُ الَّتِي نَالَهَا أَوْلِيَاءُ اللَّهِ الْمَخْلُصُونَ بِجَدِّهِمْ وَجَهْدِهِمْ، وَحَصَلَ عَلَيْهَا عِبَادَةُ اللَّهِ الصَّالِحُونَ بِتَعَبِهِمْ وَعَنَائِهِمْ، وَهُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ عَرَفُوا اللَّهَ تَعَالَى حَقَّ مَعْرِفَتِهِ، وَأَيَقَنُوا بِهِ عَيْنَ الْيَقِينِ، فَأَحْسَوْهُ بِكُلِّ وَجُودِهِمْ وَكِيَانِهِمْ، وَلَمَسُوهُ بِقُلُوبِهِمْ وَأَرْوَاحِهِمْ، فَأَمَنُوا بِهِ أَخْلَصَ الْإِيمَانِ، وَأَذْعَنُوا لَهُ غَايَةَ الْإِذْعَانِ، وَسَلَّمُوا إِلَيْهِ مِنْتَهَى التَّسْلِيمِ، وَتَوَكَّلُوا عَلَيْهِ أَصْدَقَ التَّوَكُّلِ.

إِنَّهُمْ عَلِمُوا بِأَنَّهُ تَعَالَى مُطَّلِعٌ عَلَيْهِمْ فَاسْتَحْيُوا مِنْ أَنْ يَعْصُوهُ، وَأَيَقَنُوا بِأَنَّهُ

قادر عليهم فهابوا من أن يخالفوه، إنهم اطمأنوا إلى أنه تعالى سيحاسبهم على ما عملوه فأحجموا إلا عن البرّ والإحسان، وعرفوا بأنه سيؤاخذهم على ما قالوه فسكتوا إلا عن المعروف والخير، وحسبوا بأنه سيجازيهم على كل صغيرة وكبيرة، فعملوا بما أمر الله به حتىّ المستحبات فكيف بالواجبات والفرائض؟ واجتنبوا عمّا نهى الله عنه حتىّ المكروهات فكيف بالمعاصي والمحرمات؟

إنهم لم يفكروا في شيء إلا في عظمة الله وكبريائه، وعزّته وقدرته، وعلمه وحكمته، وحلمه وغضبه، ورأفته ورحمته، وآثاره وصنعه، وآلانه ونعمه، فأروه أهلاً للعبادة فعبدوه، وأهلاً للشكر فشكروه، وأهلاً للتعظيم والتقديس فعظّموه وقدّسوه.

إنهم عرفوا أنّ الدنيا والهوى، والنفس والشیطان، عدوّاً لهم، فاتّخذوهم عدوّاً، فرغبوا عن الدنيا، وخالفوا أهواهم، وروّضوا أنفسهم على التقوى، وعصوا الشيطان، وأطاعوا الرّحمن، ونفعوا عباد الله، وخدموا خلق الله، وأرضوا بذلك الرّحمن، وأرغموا أنف الشيطان.

إنهم اطمأنوا إلى أنه تعالى طيبهم فاتّبعوا وصفته، وحكيهم فانتهجوا حكمته، وربّهم وخالفهم فعملوا برضاه واجتنبوا سخطه وغضبه، ورازقهم وهادئهم، فأحبّوه وأخلصوا له في حبّه، وأحبّوا من أمر الله تعالى بحبّهم ومودّتهم، وأبغضوا من أوجب الله تعالى بغضهم وعداوتهم، وأطاعوا من فرض الله تعالى طاعتهم، وخالفوا من أمر الله تعالى بمخالفتهم، ونصروا الله ودينه، وكانوا مع رسوله وأهل بيته، فقدّموهم على أنفسهم، وبذلوا أرواحهم وقاءاً لهم، واستشهدوا بين أيديهم.

[العباس عليه السلام وسام العصمة]

وليس هذه المواصفات التي ذكرناها كلّها إلّا معنى العصمة، وقد نالها أبو الفضل العباس عليه السلام بجدارة وكفاءة، واكتسبها لنفسه بهمة واجتهاد، واتّصف بها بكلّ قوّة وصلابة.

أليس هو الذي أطاع الله وكان مع الصادقين مع ريحانة رسول الله ﷺ وسبطه الإمام الحسين عليه السلام، وعصى الهوى والشيطان لما عرض عليه الإمارة والأمان، فلعن أمانه وخداعه، وفخّه ومكره؟

وأليس هو الذي رغب عن الدّنيا، ورؤّض نفسه على التقوى، وواسى أخاه العطشان، فلم يشرب من الماء وهو على الماء، مع عظيم عطشه، وشدة ظمائه، فنال بذلك وسام: «المواسي» كما جاء في زيارته عليه السلام: «فنعم الأخ المواسي»؟

وأليس هو الذي قدّم دمه، وبذل نفسه في نصرّة الله وكتابه، وحماية رسول الله وذريّته، وطاعة إمامه وولّيه، ومضى شهيداً محتسباً، حميداً طيباً، حتّى قال في حقّه الإمام الصادق عليه السلام كما في الزيارة المأثورة عنه عليه السلام وهو يلعن قاتليه: «فلعن الله أمة قتلتك، ولعن الله أمة ظلمتك، ولعن الله أمة استحلّت منك المحارم، وانتهكت حرمة الإسلام» وهل ينتهك بقتل كلّ أحد حرمة الإسلام؟ طبعاً لا، إلّا من نال وسام العصمة بكفاءة، وحصل عليها بجدّ وجهد، كأبي الفضل العباس عليه السلام، فإنّه بقتله، وهكذا بقتل الإمام المعصوم الذي جعل الله العصمة في ذاته، وأوجبها له في جبلّته، كالإمام الحسين عليه السلام يتمّ انتهاك حرمة الإسلام. فهذه الفقرة من الزيارة إذن تشير إشارة ضمنيّة واضحة إلى أنّ أبا الفضل العباس عليه السلام هو من أصحاب العصمة الصغرى، وأنّه قد نال بجدارة العصمة من القسم الثاني، فنهياً لأبي الفضل

العباس ﷺ وسام: «العصمة الصفري».

ولقد أجاد الشيخ محمد رضا الأزري وهو يصف عصمة أبي الفضل العباس ﷺ وشجاعته ومواساته في قصيدته ويقول :

يوم أبو الفضل استجار به الهدى	والشمس من كدر المجاج لثامها
والبيض فوق البيض تحسب وقعها	زجل الرعود إذا اكفهر غمامها
فحمن عرينته ودمدم دونها	ويذب من دون الشرى ضرغامها
من بأسل يلقي الكتيبة باسمها	والشوس يرشح بالمنية هامها
وأشم لا يحتل دار هزيمة	أو يستقل على النجوم رغامها
أولم تكن تدري قريش أنه	طلأ كل ثنية مقدامها
بطل أطل على العراق مجلياً	فاعصوبت فرقا تمور شامها
وشأى الكرام فلا ترى من أمة	للفخر إلا ابن الوصي إمامها
هو ذاك موئلها يرى وزعيمها	لو جل حادتها ولد خصامها
وأشدّها بأساً وأرجحها حجاً	لو ناص موكبها وزاغ قوامها
من مقدم ضرب الجبال بمثلها	من عزمه فتزلزلت أعلامها
ولكم له من غصبة مضرية	قد كاد يلحق بالسحاب ضرامها
ثم انبرى نحو الفرات ودونه	خلبات عادية يصل لجامها
فهنا لكم ملك الشريعة وأتكن	من فوق قائم سيفه قمقامها
فأبت نقيبته الزكية رياءها	وحش ابن فاطمة يشب ضرامها

الخصيصة الثامنة والثلاثون :

« في أنه عليه السلام كان عالماً فاضلاً، وفقياً كاملاً »

لقد ورد في الخبر: «إنّ العباس بن علي عليه السلام زُقّ العلم زقاً» واشتهر أيضاً قولهم: «أنه كان من فقهاء أولاد الأئمة عليهم السلام» وهذا يدلّ على أنّ من خصائص أبي الفضل العباس عليه السلام، وامتيازته على معاصريه من سائر بني هاشم وغيرهم هو: تفوّقه في العلم والمعرفة، والفضل والكمال، وذلك لملازمته عليه السلام لثلاثة من الأئمة المعصومين عليهم السلام وتلمّذه عليهم، وطلب العلم لديهم.

وكان أوّل هؤلاء المعصومين الذين لازمهم أبو الفضل عليه السلام وتلمّذ عليهم هو: أبوه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وهو الذي روي عنه أنّه قال: «يُرْخَى الصبي سبعا، ويؤدّب سبعا، ويستخدم سبعا، وينتهي طوله في ثلاث وعشرين، وعقله في خمس وثلاثين، وما كان بعد ذلك فبالتجارب» وقال رسول الله ﷺ قبل ذلك: «الولد سيّد سبع سنين، وعبد سبع سنين، ووزير سبع سنين، فإن رضيت أخلاقه لإحدى وعشرين، وإلّا فاضرب على جنبه، فقد أعذرت إلى الله تعالى» وفسّر ذلك حفيده الإمام الصادق عليه السلام المروي عنه قوله: «دع ابنك يلعب سبع سنين، ويؤدّب سبعا، وألزمه نفسك سبع سنين، فإن فلع وإلّا فلا خير فيه» وفي رواية أخرى أنّه عليه السلام قال: «احمل صبيّك حتّى يأتي عليه ست سنين، ثم أدّبه في الكتاب ست سنين، ثم ضمّه إليك سبع سنين فأدّبه بأدبك، فإن قبل وصلح وإلّا فخلّ سبيله» وجاء في الخبر: «العلم في - وفي نسخة: من - الصغر كالنقش في الحجر»،

بخلاف العلم في الكبر فإنه ليس كذلك.

فالإمام أمير المؤمنين ﷺ نظراً إلى أنه هو إمام علم النفس والاجتماع، والتربية والتعليم، والأخلاق والآداب، وقد أدرك عنده نجله أبو الفضل العباس ﷺ أربعة عشر عاماً من عمره، فعلى فرض أنه تركه يلعب سبباً، فقد أدبه سبباً، وعلمه من علومه ما يجب أن يعلمه فيها، وثقفه بثقافته ما يلزم تثقيفه بها، وذلك في هذه السنوات السبع المهمة من عمر أبي الفضل العباس ﷺ.

[السنوات السبع الثانية من عمر الإنسان]

وعليه: فإن السبع الثانية من عمر كل إنسان، جعلها الله تعالى - حسب الأحاديث الشريفة الآتية - أفضل مقطع من عمر الإنسان لتحصيل العلم والمعارف، وأنسب حصّة من حياته لنيل التهذيب والتثقيف، كما وأعطى الله سبحانه وتعالى - بحسب الروايات المباركة المزبورة نفسها - هذه السنوات السبع أهمية كبرى، ودوراً مصيرياً في حياة الإنسان، حيث أنها تكون قاعدة رصينة لتحليق الإنسان منها إلى سماء الفضيلة والسعادة إن اغتنمت هذه السنوات السبع في التعليم الصحيح والتثقيف المطلوب، وإلا كانت قاعدة صلبة لقذف الإنسان في هاوية الرذيلة والشقاء، وذلك لأن الله سبحانه وتعالى يمنّ على الإنسان في هذه السنوات السبع، وخاصّة في السنة الثانية عشرة إلى الخامسة عشرة من عمر الإنسان بإيقاظ غريزة حبّ التحقيق والتحري، وحبّ الإطلاع على الحقائق ومعرفة الواقعيّات، وحبّ التوصل إلى المعنويّات والروحانيّات، وحبّ الحصول على العقائد والإلهيّات، وحبّ العبادة والتدين، كلّ ذلك استعداداً للسفر إلى السنوات السبع الثالثة من عمر الإنسان، والرّحيل إلى سنّ المراهقة المشحون بالرهق والتعب من حياة الإنسان.

[مبادرة ناشتتنا بالتربية والتعليم]

وقد نبّه على حساسية هذه السنوات السبع من عمر الإنسان، وأهمية دورها في مستقبل حياة الإنسان، نبينا الحبيب ﷺ والأنمة من أهل بيته الطاهرين ﷺ، حيث أوقفونا على أهمية هذه المقطع الحساس من عمر الإنسان، وعلمونا كيف ننتهز هذه الفرصة الذهبية من حياة أجيالنا، المهية لتلقى التربية والتعليم، والمستعدة لمعرفة المذهب والدين، وذلك بتقديم ما يلزم من تعليم وتثقيف، وعرض ما يجب من تهذيب وتركيز، وأمرونا بالاهتمام في ذلك، والإسراع في تعليم أحداثنا وناشتتنا أحاديثهم الشريفة، وكلماتهم الثمينة، بعد تعليمهم القرآن الحكيم وتفقيهم فيه، وحذرونا من التساهل والتسامح في ذلك، لئلا يسبقنا المرجئة (وهم كل أصحاب الباطل، وجميع أنواع المنحرفين) إلى تعليم أحداثنا زخارفهم، وتثقيفهم بأباطيلهم، وقد قال رسول الله ﷺ: «أَيُّمَا نَاشِءٍ نَشَأَ فِي الْعِلْمِ وَالْعِبَادَةِ حَتَّى يَكْبُرَ، أَعْطَاهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَوَابَ اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ صَدِيقًا». وقال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «إِنَّمَا قَلْبُ الْوَلَدِ كَالْأَرْضِ الْخَالِيَةِ، مَا أُلْقِيَ فِيهَا مِنْ شَيْءٍ قَبْلَهُ، فَبَادَرَتْهُ بِالْأَدَبِ قَبْلَ أَنْ يَقْسُوا قَلْبَهُ، وَيَشْتَغِلَ لُبُّهُ».

وعليه: فإن الإنسان إذا لم يتقف بثقافة النبي ﷺ والأنمة من أهل بيته ﷺ، وهي الثقافة الصحيحة المنشودة، من أول شبابه، ولم يهذب بتعاليمهم الإنسانية الراقية في هذه السنوات السبع المهمة من عمره، تلاقفته الثقافات الأخرى، وقسى قلبه عن قبول الحق والإذعان له، واشتغل لبه بما يصرفه عن التوجه للحق والإشتغال بتعلمه وقبوله. وهذا هو ما يعانيه مجتمعنا الإسلامي،

وتنّ منه أُمّتنا الإسلاميّة في هذا اليوم، حيث تلاقت شبابنا الثقافات الأخرى، وخذعتهم تعاليمهم البرّاقة، وجرّتهم إلى الرّذيلة والشقاء، ثمّ قست قلوبهم على الباطل، واشتغلت البايهم عن معرفة الحقّ، إلّا من عصم الله.

[السنوات السبع الثالثة في حياة الإنسان]

فالتعليم والتربية في هذه السنوات السبع - الثانية - إضافة إلى فوائدها الجمّة، هي تحصين للأجيال من الانزلاق في المبادئ الباطلة، كما أنّها هي تحصين لهم أيضاً من الانزلاق في هاوية الجنس والإعتياد وغير ذلك، لأنّ الإنسان عندما يدخل في السنوات السبع الثالثة من عمره، تستيقظ عنده غريزة الجنس وتوابعها، وينمو فيه الجانب الجسدي والمادّي، فإذا كان قد تنقّف بالثقافة الصحيحة، وأشبع روحه وفكره بالتعاليم الإنسانيّة العالية، استطاع أن يواكب النموّ الروحي والمعنوي فيه مع النموّ الجسدي والمادّي، وأن يكون في توازن معقول، وانسجام مقبول، بين الجانب الروحي والجانب الجسمي، وأن يعيش على أثر ذلك التوازن والانسجام في سنّ المراهقة بسلام وأمان.

بينما لو لم يتدارك الإنسان - بواسطة والديه أو المسؤولين - السنوات السبع الثانية من عمره، وأهمّل تثقيفها بالثقافة الصحيحة، وتساهل في إشباعها بتعاليم أهل البيت ﷺ الأخلاقيّة العالية، طغى نموّ الجانب الجسدي والمادّي في الإنسان على حساب هزال الجانب الروحي والمعنوي، وهو أمر خطير جداً، وخاصّة عندما يدخل الإنسان في السنوات السبع الثالثة وهي سنّ المراهقة من عمر الإنسان، فإنّ الجانب الجسمي والمادّي ينمو فيه آنذاك نموّاً كبيراً وسريعاً، ومعه لا بدّ أن يواكبه الجانب الروحي والمعنوي أيضاً، بينما قد بقي الجانب الروحي

والمعنوي فيه هزلاً وضعيفاً، فيفقد التوازن المطلوب والإنسجام اللازم بين الجانب الروحي والجانب الجسمي، فيعيش على أثره سنّ المراهقة بقلق واضطراب، وذلك لأنّ الجسم قد تضخّم وهو يطالبه بإشباع رغباتها من الجنس وما أشبه ولو عن طريق الإعتداء على شرف مجتمعه، وسؤدد أمته، والروح قد بقي هزلاً لا يستطيع من زَمّ الجسم وتأطير رغباته بالمشروع من الجنس وغير ذلك، ومعلوم أنّ تضخّم الجسم ينتصر بتحقيق رغباته ولو بالطرق غير المشروعة على هزال الروح الداعي إلى تأطير تلك الرغبات بالطرق المشروعة، ومعنى انتصار الجسم في تحقيق رغباته بأيّ طريق كان هو: شقاء الإنسان والمجتمع، وسقوطه في هاوية الرذيلة والفساد، وابتلاؤه بالأمراض الروحية من معاناة القلق والأرق، والتوتر والاضطراب، وإلى غير ذلك، إلى جانب الأمراض الجسدية الفتّاكة أيضاً.

[تصحيح المناهج الدراسية]

هذا وقد عرف الإستعمار والمستعمرين وخاصة منهم، الذين يحقدون لأجل مصالحهم الفردية، ومنافعهم الشخصية، على الإسلام الحكيم، والمسلمين الأبرياء، ويتجاهلون نعمة الإسلام ورحمته، وأحكامه وقوانينه، وسماحته وسلمه، وحبّه لكلّ النَّاس وإسعافهم بكلّ خير مهما كانت قومياتهم ولغاتهم، وحرصه على منافع كلّ النَّاس ومصالحهم الخاصة والعامة مهما كانت مواقعهم وطبقاتهم، فإنّ الإستعمار المتجاهل لنعمة الإسلام ورحمته، والمتناسي لخدمة المسلمين وفضلهم، قد خطّط تخطيطاً دقيقاً، ونسّق تنسيقاً مدروساً، ودسّ في مناهجنا الدراسية مناهج فارغة من الدّين، جوفاء من حيث التعاليم الأخلاقية

والإنسانية وخاصة في هذه السنوات السبع من حياة ناشئتنا، وعمر أجيالنا، فأعدموهم على أثر تلك المناهج، النموّ الروحي والمعنوي، وجعلوهم مغلوبين أمام نموّ الجانب الجسدي والمادي، ومقهورين تجاه رغباته ومتطلّباته، فأدخلوهم بذلك في معترك شاقّ بين الرّوح والجسد، وأنزلوهم إلى بُور القلق والإضطراب، ودَرَكَ الرّذيلة والفساد، وسلّموهم إلى هاوية التذمّر والشّقاء، ودوامة الفضيحة والهلاك.

أجل إنّ الإستعمار خطّط ونفّذ فأفرغ مناهجنا الدراسيّة في بلادنا الإسلاميّة عبر أياديّه عن التعاليم الأخلاقيّة العالية، والمفاهيم الدينيّة الراقية، مع غنى الإسلام بكلّ العلوم الراقية، واحتوائه على جميع المفاهيم العالية، والاجتماعيّات المطلوبة، والآداب المحبوبة، بينما هو ملأ مناهجه الدراسيّة في بلاده وجعل - على ما قيل : - ستّين بالمائة منها فيما يسمّونه بالتعاليم الليبراليّة، وسمّوه بذلك، لأنّ دينهم ليس فيه تعاليم اجتماعيّة دينيّة شاملة، وأربعين بالمائة منها في بقيّة العلوم الطبعيّة من رياضيات وغيرها.

بينما مناهجنا الدراسيّة نحن خاوية عبر عواملهم من الموادّ المعنويّة والروحيّة، مصفرة عبر أياديهم من الدروس الأخلاقيّة والدينيّة، حيث النسبة المعنويّة والدينيّة، وكذلك القرآنيّة والحديثيّة فيها لا تصل العشرة بالمائة، إلى جانب تسعين بالمائة من الموادّ الأخرى التي لا تسمن ولا تغني من جوع، ومعلوم : أنّ هذه النسبة الضئيلة لا تشبع حاجات الرّوح، ولا تسدّ جوعته المعنوية، أمام طغيان الجسم، وشدّة رغباته الجنسية، فينشأ جيلنا الإسلامي الناشء خاوياً فارغاً، متواتراً متناقضاً، تتلاعب به وبأفكاره الشياطين ودعاة الثقافات الأخرى، وتتقاذف به وبمقدّراته أصحاب الأطماع والأغراض، وأهل البدع والضلال، وعلينا إذا اردنا انتشال شبابنا من مهاوي السقوط، وتدارك

مستقبلنا ومستقبل ناشئتنا من المخاطر والمهالك، أن نضع مناهجنا الدراسية بأيدينا، وكما أراد الله تعالى ورسوله ﷺ لنا، وأمر أئمتنا الطاهرون ﷺ به، بتغطية كل المواد الدراسية بالمواد القرآنية والحديثية، والدينية والأخلاقية المروية عن الرسول الحبيب ﷺ والأئمة الطاهرين من أهل بيته ﷺ حتى نتدارك ما فاتنا، ونتلافى ما ضيعوه عنا، وأخذوه منا، إنشاء الله تعالى، فإلى هذا الأمل المنشود، والهدف المحمود بإذن الله وتوفيقه.

[العباس ﷺ وتلمذه عند الإمام أمير المؤمنين ﷺ]

وكيف كان: فإن الإمام أمير المؤمنين ﷺ الذي أمرنا بأن نبادر ناشئتنا وشبابنا بالتعليم والتثقيف، وننتهز الفرصة الذهبية من أعمارهم، ولا ندعها تذهب إدراج الرياح سدى، بلا تزود ولا استفادة كاملة منها، والذي قال: «الأدب لقاح العقل، وذكاء القلب، وعنوان الفضل» قد بادر نجله الأغر، قمر بني هاشم، أبي الفضل العباس ﷺ بالتهذيب والتزكية، والتربية والتعليم، ومعلوم أن من يتأدب على يد والد شفيق، وأب عطوف، وأستاذ أديب، ومعلم أريب، كالإمام أمير المؤمنين ﷺ الذي هو أديب رسول الله ﷺ، ورسول الله ﷺ هو أديب الله تعالى، كما قال هو ﷺ: «أدبني ربّي فأحسن تأديبي» كم يكون مهذباً ومؤدباً؟ كيف لا يكون كذلك والحال أن أبا الفضل العباس ﷺ الذي هو أديب أبيه الإمام أمير المؤمنين ﷺ، والإمام أمير المؤمنين ﷺ هو أديب رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ هو أديب الله، فإن أبا الفضل العباس ﷺ يكون حينئذ هو الآخر أديب الله أيضاً، فإن أديب أديب الله، هو: أديب الله أيضاً، فأبو الفضل العباس ﷺ هو أديب الله، وكفاه فخراً.

[ملازمة العباس ﷺ لأخيه الإمام المجتبى ﷺ]

هذا وأبو الفضل العباس ﷺ قد أكمل السنوات السبع الثانية من عمره، وقضى تلك الفترة الذهبية من عمره في التأدب على يدي أبيه الإمام أمير المؤمنين ﷺ الذي هو أديب أديب الله تعالى، أعني أنه ﷺ أديب رسول الله ﷺ حيث قضى الإمام أمير المؤمنين ﷺ شهيداً، ومضى حميداً سعيداً، وذلك عندما أكمل أبو الفضل العباس ﷺ السنة الرابعة عشرة من عمره.

ثم لازم أبو الفضل العباس ﷺ أخاه: الإمام الحسن المجتبى ﷺ في السنوات السبع الثالثة من عمره وهو سنّ المراهقة، التي أمرتنا روايات أهل البيت ﷺ بملازمة الوالد ولده، أو الأخ الأكبر أخاه الأصغر - مثلاً - الذي هو في سنّ المراهقة، وضّمه إلى نفسه، واصطحابه معه، ليكون من جهة رقيباً عليه، وحسيباً لتصرفاته وأعماله، ومن جهة أخرى شريكاً له في أموره، ووزيراً ومشاوراً له في قبضه وبسطه، وحلّه وترحاله، حتّى يلبس ما تعلّمه من نظريات في السنوات السبع الثانية ثوب العمل والتجسيد الخارجي في السنوات السبع الثالثة، ويُقرن النظريات العلمية بالتجارب الخارجيّة.

فإنّ أبا الفضل العباس ﷺ قد لازم في هذه السنوات السبع الثالثة أخاه المجتبى سبط رسول الله ﷺ الأكبر، وريحانته من الدّنيا. والإمام المجتبى ﷺ الذي هو من أهل البيت ﷺ الذين علّمونا أسلوب تربية الناشئة وطريقتها، وأمرونا بملازمة الذين وصلوا سنّ المراهقة واصطحابهم، قد التزم بأبي الفضل العباس ﷺ، وضّمه إليه، واهتمّ به وأشرف عليه، ليكمل دورته العلمية النظرية وينضجها عبر مرورها بمرحلة التطبيق والعمل الخارجي، وليكون مشرفاً على

تصرّفاتة وتقلّباته في الأمور، ومُرشداً له ومسدّداً إيّاه فيها، ومعلوم أنّ من يكون ملتزمه وموجّهه سبط رسول الله ﷺ وريحانته من الدّنيا، وذلك في أهمّ مقطع من عمره، وأعلى فرصة ذهبيّة في حياته، كم يكون موقفاً ومتفوقاً، وحميداً وسعيداً؟ وكم يصبح أديباً أريباً، وعالماً نحريراً، وفاضلاً قديراً؟

[الإمام الحسين عليه السلام والتزامه أخاه العباس عليه السلام]

ثم إنّ أبا الفضل العباس عليه السلام بعد أن قضى من عمره أربعة وعشرين عاماً، والتي كان في الاعوام العشرة الأخيرة منها في ملازمة أخيه: الإمام الحسن المجتبي عليه السلام والتلمذ عليه، والتفقه لديه، فارقه على أثر استشهاده عليه السلام مظلوماً مسموماً، وذلك بالسّم القاتل الذي دسّه إليه معاوية بن أبي سفيان، ثم لازم بعد ذلك أخاه: الإمام الحسين عليه السلام ليواصل تلمّذه عليه، ويستمرّ في تفقّحه لديه، وكان الإمام الحسين عليه السلام هو الآخر بعد أبيه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وأخيه الإمام الحسن المجتبي عليه السلام الذي التزم بأبي الفضل العباس عليه السلام وضّمّه إليه، وأشرف على تكميل رحلته العلميّة والثقافيّة، واعتنى بمواصلة دورته التهديبيّة والأخلاقيّة، حتّى تخرّج أبو الفضل العباس عليه السلام على يدي ثلاثة من الأئمّة المعصومين عليه السلام ومن معهد علوم وثقافة أهل البيت عليهم السلام عالماً فاضلاً، وأديباً بارعاً، وزكياً مهذباً، وإنساناً كاملاً، جامعاً للفضائل والمناقب، والمكارم والمحسن، والأخلاق والآداب، والعلم والحلم، والمعقول والمنقول، والتفسير والتأويل، والفصاحة والبلاغة، وما إلى ذلك من كمال وجمال، فهنيئاً له على توفيقه وسعادته، ومباركاً عليه وسام: «العالم الفاضل، والفقير الكامل» الذي ناله بجدارة، وحصل عليه بكفائة، ووصله بوسام: الشهادة في سبيل الله، واختتم بها حياته العلميّة، وصدّق

بها دورته الثقافية، حيث أمضاها بدمائه الحمراء، ووقع عليها يديه المقطوعتين في سبيل الله، ونصرة دينه، والذب عن إمامه.

[من فصاحة أبي الفضل ﷺ وبلاغته]

عُرف أبو الفضل العباس ﷺ بكبيّة بني هاشم بالفصاحة والبلاغة، والسلاسة وحسن التعبير، حتّى قيل عنه ﷺ : إنّ كان بليغاً في كلامه، وفصيحاً في نطقه وأدائه، وقد ذكر الفاضل الدريندي في أسرارهِ: بأنّ بعض من يدعى الشجاعة والبسالة برز في يوم عاشوراء وأخذ يهدّد أبا الفضل العباس ﷺ وينتدّد به، ويريد منه الإستسلام له، وإلقاء السلاح أمامه، ويحذّره شدة بأسه وطعنه، وقوّة مراسه وضربه.

فسخر منه أبو الفضل العباس ﷺ ومن كلامه، ولم يعبأ به وبشجاعته، ولم يكثر تهديده وتنديده، وإنّما أجابه بكلّ قوّة وصلابة، ورباطة جأش، ومناعة طبع، قائلاً: «إني أرى كلامك يا هذا كالسراب، الذي يلوح، فإذا قصد صار أرضاً بواراً، والذي أملتّه منّي، بأن أستسلم لك، فذلك بعيد الحصول، صعب الوصول، وإني يا عدوّ الله ورسوله! معوّد للقاء الأبطال، والصبر على النّزال، ومكافحة الفرسان، وبالله المستعان.

ثمّ أضاف قائلاً: ومن كملت هذه الصفات فيه، فليس يخاف من برز إليه، ولا يهاب منازلته ومقارعته، ويملك! أليس لي اتّصال برسول الله ﷺ؟ فأنا غصن متّصل بشجرته، وزهرة من نور ثمرته، ومن كان من هذه الشجرة، فلا يدخل تحت الذّمام، ولا يخاف ضرب الحسام، وأنا ابن عليّ بن أبي طالب، لا أعجز عن مبارزة الأقران، ولا أملّ من الضرب والطعان، وما أشركتُ بالله لمحة بصر، ولا

خالفت رسول الله فيما أمر، وأنا منه كالورقة من الشجرة، وعلى الأصول تنبت الفروع، فاصرف عنا ما أملت، واقطع منا ما رجوت، فما أنا ممن يأسى على الحياة، أو يجزع من الوفاة، فخذ في الجد، واصرف عنك الهزل» ثم أنشأ يقول:

صبراً على جور الزمان القاطع ومنية ما إن لها من دافع
لا تجزعن فكل شيء هالك حاشي لمثلي أن يكون بجازع
فلئن رمانا الدهر منه بأسهم وتفرق من بعد شمل جامع
فليكم لنا من وقعة شابت لها قمم الأصاغر من ضراب قاطع؟
ثم تصاولا، واختلفا بضربات، وكان النصر أخيراً لأبي الفضل العباس عليه السلام، والموت والهلاك لذلك المغرور الخاسر.

[هل ضوء الشمس ضحيٌّ يُنكر ؟]

قد تبين مما مضى أن أبا الفضل العباس عليه السلام في الفضل هو ذاك كالشمس في الضحيّ ينير علماً وحلماً ويضيء فقهاً وحكمة، إذ هو من حصل في العلم والفضل على أكبر شهادة علمية يمكن تحصيلها لأحد في أحدث الجامعات العلمية الفائرة والمعاصرة والمستقبلية، كيف لا وهو خريج جامعة رسول الله الحبيب ﷺ، وطالب معهد الأئمة الطاهرين من أهل بيت رسول الله ﷺ ومتلمذ على يدي ثلاثة أئمة من أئمة أهل البيت المعصومين عليه السلام؟ وهذا واضح ولا غبار عليه.

ولكن قد يتفق أن يشك الجاهل بمقامات أبي الفضل العباس عليه السلام العلمية، في مراتب علمية أبي الفضل العباس عليه السلام ويتردد في درجات كماله وفضله، فإن من لا معرفة له بشهادة أبي الفضل العباس عليه السلام العلمية، ومداركه الثقافية العالية، قد يشك في مقاماته تلك، كما يشك في بقية الأشياء التي يجهلها الإنسان ويعدم معرفتها.

كما أنه قد يشكّ في ذلك من اغترّ بعلمه، وأعجب بفضله، وتصور في نفسه اغتراراً وجهلاً بأنه فوق الجميع علماً وفضلاً، فإنّ مثل هذا قد يشكّ أيضاً في مدارج علميّة أبي الفضل العباس ﷺ، ويرتاب في مدارك فضله، ويتردّد في تفوّق مقاماته العلميّة، وكمالاته الروحيّة والجسديّة.

ولذلك ينقل عن بعض العلماء: أنّه شاهد في كربلاء المقدّسة، وحوزتها العلميّة المشرفّة، رجلاً من الأفاضل قد اغترّ بعلمه، وأعجب بفضله، وأبعد في غلوائه ودعواه، شاهده وقد كان في متدّى من أصحابه، وجمعاً من أتراه، حيث جرى بينهم ذكر أبي الفضل العباس ﷺ وما كان يحمله من المعارف الإلهيّة، والثقافة الدينيّة، التي امتاز بها أبو الفضل العباس ﷺ على سائر الشهداء، فأنكر ذلك الرّجل تفوّق أبي الفضل العباس ﷺ في هذا المجال، وصارحهم بأفضليّته هو بالنسبة إليه، وأعلميّة منه.

وما أن صرّح هذا الرّجل المغرور بذلك حتّى قوبل بإنكار من جماعته وأصحابه، واستغراب من جرّأته واغتراره، فأخذوا يصبّون اللوم عليه وعلى ادّعائه، ويحذّرونه من غروره وغلوائه، ولكن بدل أن يستنبّه الرّجل المغرور، ويرجع عن غلوائه ودعواه، قام يبرهن على ادّعائه ذلك، بتعداد مآثره ومناقبه، وذكر علومه وفضائله، وتفصيل تهجّده وتنفّله، وتشريح عبادته وزهادته، قائلاً: إن كان أبو الفضل العباس ﷺ يُفضّل عليه بمثل هذه الأمور، فإنّ عنده مثلها، وإن كان يُفضّل بالشهادة قال: فإنّ الشهادة لا تعادل ما يحمله هو - ذلك المغرور - من العلوم الدينيّة، والأصول الإسلاميّة وعقائدها.

وهنا انفضّ المجلس، وقام الجماعة من عنده منكرين عليه، ومعرّضين به، بينما هو بقي متغطّراً في كبريائه، ومصرّاً على غروره وغلوائه، غير نادم على ما صدر منه، ولا متهيّب ممّا قاله.

[مع الرجل المغرور]

تفرّق الجميع وذهب كلّ واحد من الجماعة والمغرور إلى منزله ومأمنه، وفي الصّباح المبكر أسرع كلّ واحد من الجماعة، الذي أسهر ليلتهم همّ هذا الرّجل المغرور، وأقلق فكرهم كبير ما ادّعاه ذلك الرّجل المعجب بنفسه، والمنبر بعلمه وفضله، إلى داره، وقصدوا منزله، ليروا هل هداه الله تعالى ورجع من غيّه، لأنّهم قد دعوا الله تعالى ليلتهم وسألوه هدايته، أم لم تشمله عناية الله وبقي على غيّه؟ فلما طرّقا عليه الباب قيل لهم: إنّ الرّجل بكرّ في زيارة أبي الفضل العباس عليه السلام وهو الآن في روضته المباركة، فأقبلوا مسرعين إلى روضة أبي الفضل العباس عليه السلام ليعرفوا خبره.

فلما دخلوا الروضة المباركة إذا بالرّجل قد ربط نفسه بالضريح المقدّس عبر حبلٍ شدّ طرفاً منه بعنقه والطرف الآخر بالضريح وهو تائب من تكبّره وغلوائه، ونادم على ما سلف منه، وفرّط فيه، فأحاطوا به عند ذلك وسألوه عن أمره؟

فأجاب قائلاً: لما تركتكم بالأمس وذهبت إلى منزلي، أخذت مضجعي في فراشي ونمت وأنا على ما فارقتكم عليه، فرأيت في المنام كأنني في مجلس حافل، قد ضمّ جمعاً من أهل العلم والفضل بين جوانحه، وبينما أنا كذلك إذ دخل علينا رجل وقال: تهَيَّؤا واستعدّوا لاستقبال أبي الفضل العباس عليه السلام، فها هو قادم إليكم، ووافد عليكم، فأخذ ذكره من القلوب مأخذاً عظيماً، حتّى دخل عليه والنور الإلهي يسطع من وجهه، والجمال العلوي يزهر في محيّا، فاستقبلناه بحفاوة حتّى جلس عليه على كرسيّ كان قد أعدّ له في صدر المجلس، عندها جلس

الحاضرون وكأنهم على رؤسهم الطير، إجلالاً له، وهيبة منه، وقد أخذني من بين الجميع قزق كبير، ورهب شديد، لما سلف مني في حقّه ﷺ.

[إرشاد وتنبيه]

ثم إن أبا الفضل العباس ﷺ بدأ يُحيي أهل المجلس واحداً واحداً، حتى إذا وصل إليّ قال لي: ماذا تقول أنت يا فلان؟

فكاد أن يرتجّ عليّ القول عندما واجهني بسؤاله هذا لولا أن تداركني رحمة ربّي، فعزمت على أن أبوح بكلّ ما قلته في حقّه بلا زيادة ولا نقص، وأن أصارحه بما تصوّرتّه وتخيّلته بالنسبة إليّ وإليه، فقصصت عليه ما جرى بيني وبينكم من حوار في حقّه، وذكرت له من الحديث والاستدلال حسب ما مضى معكم، وأنا في كلّ ذلك مستحي منه، طالب عفوه وإعذاره.

عندها التفت ﷺ إليّ متبسّماً وقال معذراً: لا بأس عليك، إن ندمت وتبت تاب الله عليك، ولكن كن على علم بأنّي لستُ كما تصوّرتّه وتخيّلته أنت، وذلك لأنّي قد تلقّيت العلم من معينه ونميره، وأخذت الفضل من أصله ومعدنه، فقد تلمّذت على نفس رسول الله ﷺ وأديبه، أعني: أبي والدي الإمام أمير المؤمنين ﷺ، وتفقّحت لديه، ثمّ تلمّذت من بعده وتفقّحت على يدي أخوي الإمامين الهمامين، سيّدي شباب أهل الجنّة، وريحانتي رسول الله ﷺ: الحسن والحسين ﷺ، وأنا على أثر ما تلقّيته من أئمّتي وسادتي ﷺ من المعارف الإلهيّة، والتعاليم الإسلاميّة، كنت على يقين من ديني، وبصيرة من أمري.

بينما أنت بعكس ذلك كلّّه، فقد أخذت أنت ممّن لا يقين له، وصرت أنت الآخر على أثره أيضاً لا يقين لك، تعوّل على الأصول والقواعد المعدّة للجاهل

بالأحكام، وتعمل بها عندما يُعوزك الوصول إلى الواقع، وأنا في غنى من ذلك كله، لمعرفتي بواقع الأحكام من مصدر الوحي، ومعدن النبوة والإمامة.

أضف إلى ذلك أنني تأدبت وتهذبت على يدي أدباء الله، ومن زكّاهم الله وهذبهم، وطهرهم من الرّجس تطهيراً، فصرت منهم مهذباً مؤدّباً، أحمل بين جوانبي من المحاسن والمكارم ما لو قسّمته على جميعكم ما أمكنكم حمل شيء منها، ولا القيام بعبتها. بينما أنت بعكس ذلك كله إذ أنك تحمل بين جوانبك من الصفات الرذيلة ما يبغضك الله تعالى عليها، من غرور ورياء، وجدال ومراء، وغير ذلك، ثم ضرب عليه السلام بيده الشريفة على فم الرّجل وقال مؤكّداً: قم وتب إلى الله تعالى وحاول أن تطهر نفسك ممّا يبغضه الله تعالى، ويمقتك عليها.

قال الرّجل: فانتبهت عندها من نومي فزعاً مرعوباً، نادماً تائباً، معترفاً مذعناً، وأسرعت إلى روضة أبي الفضل العباس عليه السلام ولذت بضريحه، متوسلاً به إلى الله تعالى ليغفر لي، ومشفعاً إلى الله تعالى فيّ ليعفو عني ويرضى عليّ، فإنّي لما قلت من النادمين، وعلى ما صدر منّي من التائبين المنيبين.

[أيهما أكثر علماً وفضلاً؟]

وهنا قصّة ثانية تشبه القصّة الآتية وتضاهيها، وهي: أنّه دار في مجلس فيه جماعة من أهل الفضل والعلم بحث حول أنّه أيهما أكثر فضلاً وعلماً؟ هل هو أبو الفضل العباس عليه السلام أو سلمان الفارسي الذي قال فيه رسول الله ﷺ: «سلمان ممّا أهل البيت»؟

فأجاب أحدهم: الظاهر أنّ أكثرهما علماً وفضلاً، هو سلمان الفارسي، ثم قال: وذلك لأنّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لما قيل له: حدّثنا سلمان الفارسي،

أجابهم قائلاً: «أدرك سلمان العلم الأول والآخر، وهو بحر لا ينزح، وهو من أهل البيت».

لكن سرعان ما رجع هذا القائل عن رأيه، حيث إنه لم تمض عليه إلا مدة قليلة حتى عدل من كلامه وقوله ذلك.

فلما سأله عن سبب عدوله ورجوعه قال: بعد ما أبديت رأيي في أفضلية سلمان الفارسي وأعلميته، رأيت في منامي في تلك الليلة بأنني أحضر مجلساً ضخماً، حافلاً بأهله، وغاصاً برؤاده، فنظرت وإذا بي أرى أبا الفضل العباس ﷺ في غاية الجلال والبهاء، جالساً في صدر المجلس، ورأيت سلمان الفارسي قائماً بين يديه يخدمه، ويأتمر بأوامره، فلما وقع نظري عليه تذكرت ما جرى من الحديث حوله في اليقظة، وما أبديته من رأيي فيه.

وبينا أنا أفكر في ذلك إذ بدرني سلمان الفارسي وهو يشير بيديه إليّ ويقول: يا هذا! لقد اشتبه الأمر عليك، إني بحر لا ينزح، بالنسبة إلى أترابي وأقراني، مثل أبي ذر، وحذيفة، وعمار، وابن مسعود، وأما بالنسبة إلى شبل الإمام أمير المؤمنين ﷺ فمر بني هاشم أبي الفضل العباس ﷺ فأني أفتخر بأن أكون خادماً له، وتلميذاً صغيراً عنده، لكي ارتشف من علمه، وأتزود من فضله وكماله.

الخصيصة التاسعة والثلاثون :

« في أنه ﷺ كان عاملاً بعلمه »

إنّ العلم الذي عُدَّ في الروايات المروية عن رسول الله ﷺ وعن أهل بيته الطاهرين ﷺ أنه فريضة على كلّ مسلم ومسلمة .

وأنّه يجب على كلّ فرد فرد من المسلمين بنحو الواجب العيني كالصلاة والصيام أن يتفرّغ لطلبه، ويتصدّى لتحصيله .

وأنّه من أهمل معرفة هذا العلم كان كمن ترك الصلاة والصيام .

هو على ما يستفاد من الروايات الشريفة، والأحاديث الكريمة مثل قول رسول الله ﷺ «إنّما العلم ثلاثة : آية محكمة، أو فريضة عادلة، أو سنّة قائمة، وما خلاهنّ فهو فضل» ومثل قول الإمام أمير المؤمنين ﷺ «ثلاث بهنّ يكمل المسلم : التفقه في الدين، والتقدير في المعيشة، والصبر على النوائب» ومثل قول الإمام الصادق ﷺ : «وجدت علوم الناس كلّها في أربع : أوّلها : أن تعرف ربّك، والثانية : أن تعرف ما صنع بك، والثالثة : أن تعرف ما أراد منك، والرابعة : أن تعرف ما يخرجك من دينك» ومثل قوله ﷺ أيضاً : «العلم أصل كلّ حال سنيّ، ومنتهى كلّ منزلة رفيعة، لذلك قال النبيّ ﷺ : طلب العلم فريضة على كلّ مسلم ومسلمة، أي : علم التقوى، واليقين» هو العلم بثلاثة أشياء :

[الأول مما يجب العلم به]

١ - العلم بأصول الدين ، فإنه يجب على كل مسلم ومسلمة الاعتقاد بأصول الدين الخمسة عن دليل وبرهان ، وذلك بأن يعلم أن الله واحد لا شريك له ، وأنه عالم قادر ، مريد مدرك ، حي قيوم ، غني متكلم ، صادق سرمد ، لا تأخذه سنة ولا نوم ، وأنه عادل لا يظلم أحداً مثقال ذرة ، وأنه أرسل الرسل لهداية البشر ، وأنزل معهم الكتاب لإرشاد الناس إلى الحق أولهم آدم ﷺ وآخرهم النبي الخاتم ﷺ ، وأنه تعالى جعل لهم أوصياء معصومين ، وأن أوصياء نبينا اثنا عشر وصياً ، أولهم الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ ، وآخرهم المهدي المنتظر الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد أن ملئت ظلماً وجوراً ، وأنهم جميعاً مع السيدة فاطمة الزهراء ﷺ معصومون ، قد أنزل الله تعالى فيهم : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ فيكون عدد المعصومين في أمتنا المرحومة أربعة عشر معصوماً ، وأن الله أعدّ للحساب ومجازاة الناس يوم القيامة في الآخرة ، ليجزي المحسنين بالجنة ، والمسيئين بالنار ، وذلك كما قال تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنْ الْفَارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمْتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ .

هذا ولا يخفى أن هذه الأصول الخمسة : من التوحيد ، والعدل ، والنسبة ، والإمامة ، والمعاد في يوم القيامة ، من الأصول الاعتقادية التي لا تقبل التقليد ، بل يجب فيها الاجتهاد ، وتحصيلها عن دليل وبرهان ، وعلم ويقين .

[الثاني ممّا يجب به العلم]

٢ - العلم بفروع الدين ، فإنّه يجب على كلّ مسلم ومسلمة العلم بأحكام فروع الدين العشرة : من الصلاة ، والصيام ، والخمس ، والزكاة ، والحج ، والجهاد ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والتولّي لأولياء الله ، والتبرّي من أعداء الله ، بل معرفة أحكام الدين في كلّ ما يحتاجه الإنسان في حياته من صغيرة وكبيرة ، وكلّية وجزئية - ما عدا أصول الدين الخمسة - فإنّ كلّ ما عدا الأصول الخمسة تعدّ فروعاً للدين ، وعلى كلّ مسلم ومسلمة معرفة ما يتعلّق بها من مسائل شرعية ، ويحتاج إليها من أحكام دينية بالنسبة إلى الفروع .

هذا ولا يخفى بأنّ في الفروع يجوز التقليد فيها ، أي : يجوز الرجوع فيها إلى مرجع جامع للشرائط ، وأخذ المسائل والأحكام منه ، ولا يجب الإجتهد فيها وتحصيلها عن دليل وبرهان ، وعلم يقين ، كما كان يجب ذلك في أصول الدين ، وهذا هو نوع تسامح من الله تبارك وتعالى للإنسان ، لأنّ فروع الدين كثيرة وتحصيلها عن اجتهد يستغرق كلّ وقت الإنسان ، ولذلك أجاز فيه التقليد من مرجع جامع للشرائط .

[الثالث ممّا يجب العلم به]

٣ - العلم بالأخلاق والآداب الفردية والاجتماعية ، فإنّه يجب على كلّ مسلم ومسلمة العلم بالأمور التالية :

أولاً : العلم بكيفية تنسيق رابطته مع الله تعالى ، وكتابه ، ودينه ، ورساله ، وأوليائه .

ثانياً: العلم بكيفية تنسيق رابطة مع نفسه وروحه، وفكره وعقله، وعواطفه وغرائزه، وجوارحه وأعضائه، وسائر شؤنه الفردية.

ثالثاً: العلم بكيفية معاشرته مع والديه وذويه، وإخوته وأخواته، وزوجته وأولاده، وأصدقائه وشركائه، وأقربائه وأرحامه، ومعلمه وأستاذه، وحاكمه وسلطان، وسائر أفراد المجتمع، سواء المجتمع الصغير وهو محيط الأسرة والعائلة، أم المجتمع الكبير وهو محيط المحلة والبلدة، والدولة والعالم.

رابعاً: العلم بكيفية تعامله مع الآخرين في بيعه وشرائه، وحرفته ومهنته، وقبضه وبسطه، وحله وترحاله، وسفره وحضره، وإلى غير ذلك من الأمور التي يجمعها رابط العلاقات والروابط الفردية والاجتماعية، ويعمها عامل العشرة والمعاشرات الخصوصية والعمومية.

هذا ولا يخفى أن هناك في مجال الأخلاق والآداب الفردية والاجتماعية، روايات وأحاديث كثيرة، تدلنا على مكارم الأخلاق، ومحاسن الآداب، ما فيها لنا غنى عن غيرها، ولعل من أجمعها وأشملها هي «رسالة الحقوق» المروية عن الإمام زين العابدين ﷺ، فإنه يجب على كل مسلم، بل على كل إنسان حرّ مطالعة هذه الرسالة بدقة، ومدارستها بهمة وعلقة، ثم تطبيق ما جاء فيها تطبيقاً حرفياً في كل شؤنه الفردية والاجتماعية، وروابطه ومعاشراته الخصوصية والعمومية، علماً بأن تطبيقها ضامن لسعادة الفرد والمجتمع، ومتكفل للتقدم في الحياة الخاصة والعامة، وعلينا أن نؤسس دورات تعليمية، وحلقات تمرينية، نعلم فيها ناشئتنا وشبابنا كيف يمارسون تعاليم هذه الرسالة المباركة «رسالة الحقوق»، ونُدربهم فيها على أنه كيف يطبقونها في حياتهم العملية تطبيقاً حرفياً؟ وذلك إن أردنا أن نستعيد عزنا وسعادتنا، ونسترجع كياناتنا وسوددنا، إنشاء الله تعالى.

[أبو الفضل عليه السلام وهذه العلوم الثلاثة]

سبق أن قلنا: إنَّ أبا الفضل العباس عليه السلام قد تخرَّج وهو مستقن لهذه العلوم الثلاثة: أصول الدين، وفروع الدين، والأخلاق والآداب، وغيرها من العلوم الإسلامية والإنسانية الأخرى من معهد رسول الله ﷺ، وجامعة الأئمة من أهل بيته الطاهرين عليه السلام، وعلى يدي أبيه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وأخويه الإمامين الهمامين الحسن والحسين عليه السلام، فهو إذن عالم كامل، وفقه فاضل، وأستاذ بارع، وعارف متضلّع، بأمّهات العلوم الإسلامية وأصولها، وجذور الأخلاق الإنسانية وفروعها.

هذا من جهة العلم والفضل، وأمّا من جهة العمل والتطبيق الخارجي، فقد كان أبو الفضل العباس عليه السلام من خصوصياته وامتيازاته أنّه كان يعمل بما يعلمه ويفقهه، ويطبّق في حياته الفرديّة والاجتماعيّة معارفه وثقافته تطبيقاً حريفاً ودقيقاً بلا زيادة ولا نقصان.

[العلم مقرون بالعمل]

وإنّما كان أبو الفضل العباس عليه السلام عاملاً بعلمه، مطبقاً لمعارفه في الخارج، لأنّه كان قد تعلّم أيضاً من أساتذته الميامين وأئمّته المعصومين عليه السلام: أنّ «العلم مقرون إلى العمل، من علم عمل، ومن عمل علم، والعلم يهتف بالعمل، فإنّ أجابه وإلاّ ارتحل عنه».

وتعلّم أيضاً: أنّ «العالم بلا عمل كالشجر بلا ثمر».

وتعلّم أيضاً: «إنّ العلم يهتف بالعمل فإنّ أجابه، وإلاّ ارتحل عنه».

وتعلّم أيضاً: أنّه «مكتوب في الإنجيل: لا تطلبوا علم ما لا تعلمون ولما تعملوا بما علمتم، فإنّ العلم إذا لم يعمل به، لم يزد صاحبهِ إلّا كُفراً، ولم يزد من الله إلّا بُعْداً».

وتعلّم أيضاً: أنّ «العلماء رجلان: رجل عالم آخذ بعلمه فهذا ناج، وعالم تارك لعلمه فهذا هالك، وإنّ أهل النّار ليتأذّون من ريح العالم التارك لعلمه، وإنّ أشدّ أهل النّار ندامة وحسرة: رجل دعا عبداً إلى الله، فاستجاب له، وقبل منه، فأطاع الله، فأدخله الله الجنّة، وأدخل الداعي النّار بتركه علمه، وإتباعه الهوى، وطول الأمل، أمّا اتّباع الهوى فيصدّ عن الحقّ، وطول الأمل ينسي الآخرة».

وسمع أيضاً أباه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وهو يخطب في الناس على منبر الكوفة ويقول: «أيّها الناس! إذا علمتم، فاعملوا بما علمتم، لعلّكم تهتدون، وإنّ العالم بغيره، كالجاهل الحائر الذي لا يستفيق عن جهله، بل قد رأيت أنّ الحجّة عليه أعظم، والحسرة أدوم، على هذا المنسلخ من علمه، منها على هذا الجاهل المتحيّر في جهله، وكلاهما حائر بائر، لا ترتابوا فتشكّوا، ولا تشكّوا فتكفّروا، ولا ترخّصوا لأنفسكم فتدهنوا، ولا تدهنوا في الحقّ فتخسروا، وإنّ من الحقّ أن تفقّهوا، ومن الفقه أن لا تغتروا، وإنّ أنصحكم لنفسه أطوعكم لرّبّه، وأغشكم لنفسه أعصاكم لرّبّه، ومن يطع الله يأمن ويستبشر، ومن يعص الله يخب ويندم».

وعرف أيضاً: أنّه «لا يقبل الله عملاً إلّا بمعرفة، ولا معرفة إلّا بعمل، فمن عرف دلّته المعرفة على العمل، ومن لم يعمل فلا معرفة له، ألا إنّ الإيمان بعضه من بعض».

وعرف أيضاً: أنّه «من عمل بما علم، كفي ما لم يعلم».

وعرف أيضاً ما أخبر بن عيسى عليه السلام حيث قال: «رأيت حجراً مكتوباً عليه: قلبني، فقلّبتّه، فإذا على باطنه: من لا يعمل بما يعلم، مشوم عليه طلب ما لا يعلم،

ومردود عليه ما علم».

وعرف أيضاً ما قاله ﷺ: «من علم وعمل فذاك يدعى عظيماً في ملكوت السماء».

وعلم ما أوحى الله تبارك وتعالى إلى داود ﷺ حيث قال له: «إِنَّ أَهْوَنَ مَا أَنَا صَانِعٌ بِعَالَمٍ غَيْرِ عَامِلٍ بِعِلْمِهِ، أَشَدَّ مِنْ سَبْعِينَ عَقُوبَةً، أَنْ أَخْرَجَ مِنْ قَلْبِهِ حِلَاوَةً ذَكَرِي ... وَالْعَالَمُ حَقًّا هُوَ الَّذِي يَنْطِقُ عَنْهُ أَعْمَالُهُ الصَّالِحَةُ، وَأُورَادُهُ الزَّاكِيَةُ، وَصَدَقَهُ وَتَقَوَاهُ، لَا لِسَانَهُ وَتَصَاوُلَهُ وَدَعَوَاهُ ...».

وعلم أيضاً أن: «العلم ودیعة الله في أرضه، والعلماء أمانة عليه، فمن عمل بعلمه أدَّى أمانته، ومن لم يعمل بعلمه كتب في ديوان الخائنين».

وتعلم أيضاً ما أوصى به أبوه الإمام أمير المؤمنين ﷺ من قوله: «لا تجعلوا علمكم جهلاً، وبقينكم شكاً، إذا علمتم فاعملوا، وإذا تيقنتم فأقدموا».

وعلم أيضاً بأن: «أشدُّ النَّاسِ عَذَاباً، عَالِمٌ لَا يَنْتَفِعُ مِنْ عِلْمِهِ بِشَيْءٍ». وعلم أيضاً: بأنَّ «العلم الَّذي لَا يُعْمَلُ بِهِ، كَالْكَنْزِ الَّذي لَا يَنْفَقُ مِنْهُ، أَتَعَبُ صَاحِبِهِ نَفْسَهُ فِي جَمْعِهِ، وَلَمْ يَصِلْ إِلَى نَفْعِهِ».

وعلم أيضاً: بأنَّ «مثل الَّذي يعلم الخير ولا يعمل به، مثل السراج يضيء للنَّاسِ، ويُحْرِقُ نَفْسَهُ».

وعرف أيضاً: أنَّه «ما ازداد عبد علماً، فازداد في الدُّنْيَا رَغْبَةً، إِلَّا ازداد من الله بُعْدًا».

وعرف أيضاً: أنَّ «كُلَّ عِلْمٍ وَبَالَ عَلَى صَاحِبِهِ إِلَّا مَنْ عَمِلَ بِهِ» وعرف أيضاً: إنَّ «أَشَقَى النَّاسِ مَنْ هُوَ مَعْرُوفٌ عِنْدَ النَّاسِ بِعِلْمِهِ، مَجْهُولٌ بِعَمَلِهِ».

[العباس عليه السلام السباق في ميدان العمل والتطبيق]

وعليه : فأبو الفضل العباس عليه السلام كان من حسن تعلّمه ، وجميل تفقّهه ، وفضل تأدّبه ، ومن إمامه بالروايات الكريمة ، ومعرفته بالأحاديث الشريفة ، هو : السباق في ميدان العمل بما تعلّمه ، والمقدام في ساحة التطبيق الخارجي لما تفقّه فيه ، وأدلّ دليل على ذلك : كونه عليه السلام مع الصادقين الذين أمر الله تعالى بالكون معهم ، فكان عليه السلام كما عرفت مع أبيه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، ثمّ مع أخيه الإمام الحسن المجتبي عليه السلام ، ثمّ مع أخيه الإمام الحسين عليه السلام وبقاؤه معه حتّى آخر لحظة من حياته - متحدّياً كلّ الوعود والمغريات ، من عرض الأمان ، وتقديم الإمارات والمناصب ، وغير ذلك - والوقوف إلى جانبه حتّى آخر قطرة من دمه ، معلناً عن نصرته له ، والحماية عنه ، حتّى أريق دمه في سبيل الله ونصرة دينه وكتابه ، وحماية رسوله ﷺ وإمامه عليه السلام وسقط شهيداً مظلوماً بين يدي أخيه وإمامه : الإمام الحسين عليه السلام ، ونال بذلك شرف الدّنيا ، وفاز بسعادة الآخرة والجنّة .

هذا مع أنّ أبا الفضل العباس عليه السلام كان يحمل بين جوانبه كلّ مؤهّلات الرئاسة ، وكان يضمّ بين جوانحه جميع معدّات الزعامة والقيادة من : جمال وكمال ، وعلم وحلم ، وحسب ونسب ، وعزّ وشرف ، وفصاحة وبلاغة ، وجود وكرم ، وشجاعة وشهامة ، وبالتالي كان فيه كلّ مستلزمات القائد الحكيم ، والزعيم المجربّ ، والرئيس المحبوب المقدم ، فكان باستطاعته أن يطرح نفسه رأساً ، ويدعو الناس إلى ذلك ، ويكون رئيساً وزعيماً في قومه ، كما فعل من هو أقلّ منه بكثير ، بل من هو بالنسبة إليه كالقطرة مقابل البحر ، والرشقة أمام اليم ، والذرة لدى المجرة ، والهباء عند الكون العظيم ، أعني به : عبدالله بن الزبير ، الذي نصب نفسه معلماً ودعى الناس إلى نفسه ، وكان من أمره ما كان .

[نموذج من التطبيق العملي لأبي الفضل عليه السلام]

نعم كان باستطاعة أبي الفضل العباس عليه السلام - لولا التزامه بأن يعمل بما علمه، ويطبق ما عرفه تطبيقاً حرفياً دقيقاً - أن يطرح نفسه رأساً، ويدعو الناس إلى نفسه، كما فعل ابن الزبير، وكان حينئذ نسبة موفقيته في ذلك بالنسبة إلى موفقيته ابن الزبير أكثر بكثير، وهو واضح لا غبار عليه.

ولكنه عليه السلام لم يفعل ذلك، ولم ينصب نفسه علماً للناس، ولم يدع الناس إلى نفسه.

كما أنه لم يتخذ موقف الحياد من إمامه الإمام الحسين عليه السلام، ولم ينعزل عن الساحة وعن مجتمعه، ولم يترك الأمر على عواهنه دون أن يقوم بما يجب عليه تجاه ربه ودينه، وقبل كتاب الله ورسوله ﷺ، وإزاء أخيه وإمامه الإمام الحسين عليه السلام.

بل إنه عليه السلام حدّد موقفه في الحياة - حسب ما أملاه عليه دينه وعقيدته، وما أوجبه عليه علمه ومعرفته - وقام بما يجب عليه بكل إخلاص وتسليم، وأدّى ما فرض عليه بأمانة ونصيحة، فعاضد أخاه الإمام الحسين عليه السلام في كل موقف ومشهد، ودافع عنه بكل قوة وقدرة، وكان معه ناصراً ومعيناً، وله ولياً وحميماً، وعليه حديباً وحانياً، وبه شقيقاً ورفيقاً، حتّى نال وسام الشهادة بين يديه عليه السلام وفاز بسعادة الدنيا وشرف الآخرة.

وبذلك علّمنا عليه السلام كيف نكون مع الصادقين، وكيف نضمّ أصواتنا إلى أصواتهم، وهمنا إلى همهم، حتّى ينتصر الحق، ويندحر الباطل، ويعلو الإسلام والمذهب الحقّ مذهب أهل البيت عليه السلام على ما سواه، ويغطّي ربوع الأرض

بظلاله، ويسعد الناس بأحكامه وتعاليمه، علماً بأن الصادقين - على ما في مجمع البيان، عن جابر الأنصاري عن أبي جعفر ﷺ - هم آل محمد صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين، قال محمد ﷺ والذين عيّنهم آل محمد في حياتهم ومن بعدهم، مرجعاً يرجع الناس إليهم في دينهم ودنياهم، وهم اليوم الفقهاء المراجع، هم الذين أمرنا الله تعالى بأن نكون معهم، ولا نتفرّق عنهم، حقّ يتحقّق: الإسلام يعلو ولا يُعلَى عليه، وذلك لأنّ يد الله مع الجماعة، وأنّ نصر الله معقود على نواصي الذين اخلصوا لله، واتّحدوا في الله، ونصّحوا لِعِباد الله، لا على نواصي الذين تفرّقوا وتشتّتوا، وتخذّلوا وتحادّوا، ونصّبوا أنفسهم علماً ورأساً، ودعوا الناس إلى أنفسهم، وصاروا بذلك رؤساء كمزرعة البصل كلّها رؤس يقتلعها الزّراع في الدّنيا بسهولة، ويدّخرها الملائكة في الآخرة لشجرة الزّقوم التي طلعها كأنّه رؤس الشياطين بمرونة، فإنّهم بذلك لم ينالوا ما أمّلوا، ولم يبلغوا ما راموا، وسوف يحاسبهم التاريخ في المستقبل حساباً عسيراً مخزياً، ويعاقبهم الله في القيامة عقاباً شديداً مُهيئاً.

[أوسمة أبي الفضل ﷺ على عمله بعلمه]

أجل لقد امتاز أبو الفضل العباس ﷺ من بين أقرانه وأصحابه، في مجال العمل بعلمه، وميدان التطبيق الجرفي لمعارفه، بالسبق عليهم جميعاً، والتقدم من بينهم قاطبة، حتّى فاز عند الله بأعلى الدرجات، وحصل من رسول الله ﷺ وابنته فاطمه الزّهراء ﷺ والأئمّة من أهل بيته ﷺ على أرفع الأوسمة، وأعظم النياشين.

ونحن نشير إلى ما تيسّر لنا منها باختصار إنشاء الله تعالى، حتّى يكون

نبراساً لنا نستضيء بنوره، وقدوة لنا نتعلم من هديه، كيف نكون مثله ﷺ عاملين بعلمنا، مطبقين لمعتقداتنا، محققين في الخارج لمعارفنا وثقافتنا.

علماً بأنَّ أبا الفضل العباس ﷺ لم يكن نبياً ولا وصياً، ومع ذلك نراه قد جاز على أرقى مدارج العلم المقرون بالعمل، عملاً عينياً خارجياً لما علمه، وفاز على أعلى مراقي المعرفة المحفوفة بالتطبيق العملي، تطبيقاً حرفياً دقيقاً لما اعتقده وعرفه، ونال بسبب ذلك، المقام الرفيع عند الله تبارك وتعالى، والمنزلة السامية لدى رسول الله ﷺ وابنته الصديقة فاطمة الزهراء ﷺ، والأئمة من أهل بيته الطاهرين ﷺ.

وعليه: فيكون أبو الفضل العباس ﷺ بذلك حجة بالغة علينا، لا نستطيع أن نقول بعدها: كيف لنا الحصول على المقام الرفيع، والمنزلة السامية عند الله ورسوله ﷺ مع أننا لسنا بأنبياء، ولا بأوصياء أنبياء؟ فإنَّ أبا الفضل العباس ﷺ مع أنه لم يكن نبياً ولا بوصي نبي، قد نال ما ناله من العظمة والزلفى عند الله ورسوله وعند أهل بيت رسوله ﷺ بسبب عمله بعلمه عملاً دقيقاً من غير زيادة ولا نقصان، ولا اجتهدا منه مقابل النص، ولا تحوير أو تحريف للواقعات العقائدية، أو تمويه أو تشويه للحقائق العلمية، كما فعل ذلك عمر بن سعد وأمثاله حيث حرّف كل الحقائق وشكك فيها للوصول إلى ولاية الري ولم يصل إليها، ولم يتهنأ بها.

بل عمل بها أبو الفضل العباس ﷺ بكلِّ أمانة وصدقة، وإذعان وتسليم.

وإليك بعض تلك الأوسمة والنياشين، والمقامات الرفيعة، والمنازل السامية له ﷺ عند الله ورسوله وأهل بيته ﷺ في الخصيصة الأخيرة من هذا الكتاب، وهي الخصيصة الأربعون من خصائص أبي الفضل العباس ﷺ إنشاء الله تعالى.

الخصيصة الأربعون :

« في أنه ﷺ الوحيه عند الله ورسوله والأئمة الطاهرين »

لقد استطاع أبو الفضل العباس ﷺ عبر إيمانه الراسخ، وعقيدته الصلبة، ونفسيته الطيبة، وأخلاقه الكريمة، وبتطبيق معارفه الربانية في الخارج تطبيقاً حَرَفِيّاً دقيقاً، وتحقيق ثقافته الإسلامية في حياته العملية تحقيقاً وافياً واضحاً، أن يحلّق في مقام القرب والوجاهة إلى الله تعالى، ويعلو في درجات الفضل والجلال عند رسول الله ﷺ، وابنته فاطمة الزهراء ﷺ، والأئمة الطاهرين من أهل بيت رسول الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وذلك بما لم يستطع أحد ليس هو بنبيّ، ولا بوصيّ نبي، أن يصل إلى ما وصل إليه أبو الفضل العباس ﷺ من الوجاهة عند الله تبارك وتعالى وعند رسوله الحبيب، وابنته الوفيّة، وأهل بيته الطاهرين، ونحن نذكر شيئاً منها، ونستعرض نماذج عليها، بعون الله تعالى وقوّته، وحوله وطوله :

[العباس ﷺ ومنزلته عند الله]

قال الله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعْظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا وَإِذَا أَلَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا وَلَهْدَيْنَاهُمْ صَرَاطًا مُسْتَقِيمًا وَمَنْ يَطْعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ

فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً، ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليماً ﴿١﴾ .

ومن أجلى مصاديق هذه الآيات الكريمة هو: سبط رسول الله ﷺ الشهيد بكر بلاء: الإمام الحسين عليه السلام وأخوه أبو الفضل العباس عليه السلام، فلقد كتب الله تعالى على سبط رسوله الحبيب، ووصي وصيه الكريم: الإمام الحسين عليه السلام الهجرة والقتال، والخروج على يزيد عدو الله وعدو رسوله، وأبلغ ما كتبه عليه عبر أمين وحيه جبرائيل، وبواسطة حبيبه الرسول المصطفى ﷺ إليه، فامتثل الإمام الحسين عليه السلام أمر ربه وخرج، فلم يخرج معه ولم يقاتل بين يديه عليه السلام إلا القليل، وكان في مقدمة هذا القليل أبو الفضل العباس عليه السلام وحيث أنه عليه السلام فعل ما وعظ به، وعمل بما علم، كان خيراً له وأشدّ تثبيتاً، ونال من الله أجراً عظيماً، وهدي صراطاً مستقيماً، وحشر - كما في زيارته عليه السلام أيضاً، الماثورة عن الإمام الصادق عليه السلام على أثر طاعته لله ولرسوله ولإمامه - مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً، فصدق في حقّه عليه السلام وتحقق عليه قوله تعالى: ﴿ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليماً﴾ فطوبى لأبي الفضل العباس عليه السلام مقامه الرفيع عند الله تبارك وتعالى، وهنيئاً له على منزلته السامية لديه.

[مشاهد العباس عليه السلام الأربعة]

كان هذا شيئاً قليلاً من جزاء الله عز وجل لأبي الفضل العباس عليه السلام، ونزراً يسيراً من ثواب الله تبارك وتعالى له في الآخرة، وأما جزاؤه تعالى له وأجره إياه في الدنيا، فحدث ولا حرج، فتلک روضته المباركة، وقبته السامية، ملاذاً للآئدين، وأماناً للآجئین، ومقصداً للزائرین، ومحطاً للوافدين، وتلك كراماته الباهرة، وعناياته الخاصة، ظاهرة منها للناس أجمعين.

أضف إلى ذلك مزاراته الثلاثة ومشاهده المباركة الأخرى، فإنها أيضاً كروضة المباركة مقصداً ومزاراً للناس، وملاذاً ومعاداً لهم، علماً بأن تلك المزارات الثلاثة، والمشاهد المباركة الأخرى هي عبارة عما يلي :

[المشهد الأول]

١ - مشهد الرأس الشريف : جاء في كتب المقاتل : إنَّ عمر بن سعد أمر جيشه بعد أن قتلوا ابن بنت رسولهم ﷺ ومن كان معه من أهل بيته وأصحابه ﷺ بأن يحتزوا رؤوسهم ويحملوها مع السبايا إلى ابن زياد، ومنها إلى يزيد بن معاوية . وكذلك فعلوا، فكانت للرؤوس الطاهرة في كلِّ مكان وخاصة في الشام معجزات باهرات، وكرامات ظاهرات، افترض على أثرها الأمويون، وخزي من جرَّائها يزيد وابن زياد، ممَّا أدَّى بيزيد أن يُسلمَ الرؤوس الشريفة كلّها إلى الإمام زين العابدين ﷺ حتَّى يلحقها بالأبدان الطاهرة ويدفنها معها، وهذا هو المعروف والمشهور، فإنَّ الإمام السجَّاد ﷺ ردَّ الرؤوس الكريمة كلّها إلى كربلاء وألحقها بالأبدان الطاهرة ودفنها معها .

غير أنَّ هناك بدمشق الشام وفي المقبرة المعروفة باسم : «مقبرة باب الصغير» مشهدٌ كان قد وضع على بابه وذلك أوائل القرن الرابع عشر الهجري صخرة منحوت عليها : «هذا مدفن رأس العباس ابن علي ﷺ ...» وفي أواسط القرن الرابع عشر الهجري، انهدم هذا المشهد، فأعيد بناؤه، وازيلت تلك الصخرة من على بابه، وبُني ضريح داخل المشهد، ونقش عليه أسماء كثيرة لشهداء كربلاء . هذا ما جاء في التاريخ، وتعرّض له كتاب أعيان الشيعة، إلَّا أنَّ الظاهر القوي، والقريب غير البعيد، هو : أنَّ هذا المشهد محلَّ صلب تلك الرؤوس الكريمة، لا محلَّ دفنها .

[المشهد الثاني]

٢ - مشهد الكفّ اليمنى: لقد قطعت يدا أبي الفضل العباس عليه السلام في كربلاء غدرًا وغيلة، فإنّ العدوّ الجبان لما لم يتجرأ على مواجهة أبي الفضل العباس عليه السلام يوم عاشوراء ومقاتلته وجهاً لوجه، كمن له وراء نخلة، وضربه على يده اليمنى فبترها من الزند، فاتّخذ محلّ سقوطها بعد ذلك مشهداً ومزاراً، ويقع مقام هذا المشهد «مشهد الكفّ اليمنى» في جهة الشمال الشرقي من الروضة المباركة، وذلك على حدّ محلّة باب بغداد، ومحلّة باب الخان، قريباً من باب الصحن الشريف الواقع في الجهة الشرقية، وعلى جدار المقام شباك صغير نُقش في أعلاه بيتان من الرثاء باللغة الفارسية.

[المشهد الثالث]

٣ - مشهد الكفّ اليسرى: وهي أيضاً اليد الأخرى التي قطعت في كربلاء، غدرًا وغيلة، وذلك في كمين آخر، كمن له شقيّ ثانٍ من وراء نخلة، وضربه على يده اليسرى فقطعها من الزند أيضاً، فاتّخذ ذلك الموضع بعدها مشهداً ومزاراً أيضاً، ويقع هذا المشهد «مشهد الكفّ اليسرى» في جهة الجنوب الشرقي من الروضة المباركة، وذلك في السوق الصغير المعروف بسوق باب العباس الصغير قريباً من باب العباس الصغير من الصحن الشريف الواقع في الجنوب الشرقي، وعلى جدار المقام شباك صغير كتب في أعلاه بالقاشاني الرثاء التالي:

سل إذا ما شئت واسمع واعلم ثم خذ مني جواب المصهم
إنّ في هذا المقام انقطعت يسرة العباس بحر المكرم

هاهنا يا صاح طاحت بعدما طاحت اليمنى بجانب الملقمي
أجر دمع العين وابكيه أسأ حُقْ أن يبكي بدمع من دم
هذه المشاهد الثلاثة - إضافة إلى مشهد روضته المباركة، ومحلّ مرقد
الشریف، أربعة مشاهد ومزارات يؤمّها الناس في حوائجهم ومهمّاتهم - هي من
إمّتیازات أبي الفضل العباس عليه السلام، ومن خصائصه التي خصّه الله بها، إكراماً له على
عمله بعلمه ومعرفته، وتقديراً له على تطبيقه لمعتقداته وثقافته في الخارج تطبيقاً
حرفياً دقيقاً، فهنيئاً لأبي الفضل العباس عليه السلام ما ناله من عزّة وكرامة، ومباركاً عليه
ما منحه الله تعالى من مقام ومنزلة، ومن جاه عريض، وشرف رفیع، وعزّ منیع،
وشفاعة مقبولة، ووساطة مرضیة محمودة.

[منزلة العباس عليه السلام عند رسول الله ﷺ]

لاشكّ في أنّ جبرائیل عليه السلام لما أخبر رسول الله ﷺ عن الله تبارك وتعالى
بشهادة سبطه الأصغر، وريحانته في الدّنيا: الإمام الحسين عليه السلام، وما يجري عليه،
أخبره أيضاً عن شهادة من يستشهد معه، وخاصّة عن شهادة أخيه وصنوه،
وحاميه والمدافع عنه، والذي أبلّى في نصرته بلاءاً حسناً، وفداه بروحه ودمه،
أبي الفضل العباس عليه السلام.

ولاشكّ في أنّ اطلاع رسول الله ﷺ عن مواساة أبي الفضل العباس عليه السلام
أخاه وإمامه الإمام الحسين عليه السلام، وتعرّفه على إثاره له، علماً بأن هذه المواساة،
وهذا الايثار منه عليه السلام هو نتيجة عمله بعلمه، وتطبيقه لمعرفته ومعتقداته بإمامته عليه السلام،
فإن ذلك جعل لأبي الفضل العباس عليه السلام عند جدّه رسول الله ﷺ مكانة مرموقة،
ومنزلة محمودة، ممّا دعى رسول الله ﷺ إلى التّصريح بفضل أبي الفضل

العباس عليه السلام وكرامته، والتلويح بمقامه ومنزلته عند الله وعند رسوله ﷺ كما صرح بذلك في حق سبطه وريحانته الإمام الحسين عليه السلام، ومن قبله في حق سبطه الأكبر، وريحانته المجتبى الإمام الحسن عليه السلام، ولكن لم يصلنا شيء من تصريحاته عليه السلام في حق أبي الفضل العباس عليه السلام وللأسف، كما وصلنا والحمد لله بعض تصريحاته عليه السلام في حق الإمامين الهاميين: الحسن والحسين عليه السلام.

ويدلّ على ذلك ما جاء في كتاب الخصال للشيخ الصدوق، باب الإثنين، الحديث الواحد بعد المائة، فإنه عليه السلام بعد أن يروي فيه عن الإمام زين العابدين عليه السلام في حق عمّه العباس بن علي عليه السلام الرواية المعروفة، ويذكر فيها: إنّ الله أبدله مكان يديه المقطوعتين جناحين يطير بهما مع الملائكة في الجنة كما جعل لجعفر بن أبيطالب عليه السلام، يقول ما نصّه: والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة، ثم يضيف: وقد أخرجه بتمامه مع ما رويته في فضائل العباس بن علي عليه السلام في كتاب: «مقتل الحسين بن علي عليه السلام» انتهى كلامه، رفع الله مقامه، فإنه كما لم يصلنا كتاب مقتل الشيخ الصدوق، فكذلك لم يصلنا ما جاء فيه، وما جاء في غيره من الكتب الأخرى، من فضائل أبي الفضل العباس عليه السلام التي ربّما نقلت في حقّه عن الرسول الكريم ﷺ.

[العباس عليه السلام في طليعة العلماء العاملين]

هذا ولكن يمكن أن يدعى أنّ رسول الله ﷺ كان قد عنى أبا الفضل العباس عليه السلام أيضاً في رواياته المروية عنه في مدح العلماء الأبرار، العاملين بعلمهم، والمطبقين لما عرفوه واعتقدوه من الحق في الخارج تطبيقاً عملياً دقيقاً، وذلك لأنّ أبا الفضل العباس عليه السلام هو في طليعة العلماء العاملين، فيشمّله مثل

الخصيصة الأربعون : في أنه ﷺ الوحيه عندالله ورسوله والأئمة الطاهرين ٣٢١

قوله ﷺ : « فقيه واحد أشدّ على إبليس من ألف عابد ». ومثل قوله ﷺ : « المتّقون سادة ، والفقهاء قادة ، والجلوس إليهم عبادة ». ومثل قوله ﷺ : « من يرد الله به خيراً يفقهه في الدّين ». ومثل قوله ﷺ : « نعم الرّجل الفقيه في الدّين ، إن أحتج إليه نفع ، وإن لم يحتج إليه نفع نفسه ». ومثل قوله ﷺ : « الفقهاء أمناء الرسل ». ومثل قوله ﷺ : « إنّ علماء شيعةنا يُحشرون فيُخلع عليهم من خلع الكرامات على قدر ١ - كثرة علومهم ، ٢ - جدّهم في إرشاد عباد الله ، حتّى يخلع على الواحد منهم ألف ألف حلّة من نور... ». ومثل قوله ﷺ : « علماء أمّتي كأنبياء بني إسرائيل ». وفي رواية أخرى : « أفضل من أنبياء بني إسرائيل ». ومثل قوله ﷺ : « إنّ مثل العلماء في الأرض كمثل النجوم في السّماء ، يهتدى بها في ظلمات البرّ والبحر ». ومثل قوله ﷺ : « ... وإنّ خير الخير خيار العلماء ». ومثل قوله ﷺ : « إنّ فضل العالم على العابد كفضل الشمس على الكواكب ». ومثل قوله ﷺ : « ألا أحدثكم عن أقوام ليسوا بأنبياء ولا شهداء ، يغبّتهم يوم القيامة الأنبياء والشهداء بمنازلتهم من الله على منابر من نور ، فقليل : من هم يا رسول الله ؟ قال : هم الذين يُحبّون عباد الله إلى الله ، ويُحبّون عباد الله إليّ ، قال : يأمرونهم بما يحبّ الله ، وينهونهم عمّا يكره الله ، فإذا أطاعوهم أحبّهم الله ».

فكيف بأبي الفضل العباس عليه السلام فإنّه إضافة إلى كونه من طلايع هؤلاء العلماء العاملين ، هو في مقدّمة الشهداء السّعداء أيضاً ؟

[اشفع لمن شئت]

وهنا يمكن الإستدلال أيضاً على علوّ مقام أبي الفضل العباس عليه السلام عند رسول الله ﷺ ورفيع منزلته لديه ، ما جاء في كتاب معالي السبطين من قول

رسول الله ﷺ له: «ارجع، أقرّ الله عينك، فأنت باب الحوائج، واشفع لمن شئت»، وهذا الكلام من رسول الله ﷺ لأبي الفضل العباس عليه السلام على ما في الكتاب المذكور يكون كما يلي:

قال صاحب معالي السبطين: سمعت بعض من يعتمد عليه من الأساتيد يقول: كان رجل من أهل الخير والصلاح يسكن كربلاء المقدسة، ويقطن في أرضها المباركة، وكان له ولد صالح قد مرض، فجاء به - بعد أن أعين الأطباء علاجه ويشسوا منه - إلى روضة أبي الفضل العباس عليه السلام وتوسّل به إلى الله تعالى، وشفعه في طلب شفاء ابنه من الله عزّ وجلّ، بات ليلته عند مرقده الشريف، لا نذاً بضريحه المنيف وعائداً به، وفي الصباح أقبل إليه أحد أخلّائه وأصدقائه ليقول له: إنني رأيت البارحة رؤيا أريد أن أقصّها عليك، وهي: إنني رأيت في المنام كأنّ أبا الفضل العباس عليه السلام قد تشفّع إلى الله في ولدك وطلب منه شفاء ابنك، وسأل له العافية. عندها أقبل إليه ملك من الملائكة رسولاً من عند رسول الله ﷺ ليقول له: يا أبا الفضل! إن رسول الله ﷺ يخصّك بالسلام ويقول لك: لا تشفع في شفاء هذا الشاب، فإنّه قد بلغ الكتاب أجله، وقد انقطعت مدّته، وتصرّمت أيامه.

فقال أبو الفضل العباس عليه السلام لذلك الملك: أبلغ رسول الله ﷺ عني السلام وقل له: إنني أستشفع بك إلى الله، وأطلب منه بحقّك شفاءه.

فمضى ذلك الملك ثم عاد إليه وقال له مثل كلامه الأوّل، فأجابه أبو الفضل العباس عليه السلام أيضاً بمثل جوابه الأوّل.

تكرّرت هذه العمليّة ثلاث مرّات، وفي المرّة الرابعة لما جاء الملك وأعاد الكلام، قام أبو الفضل العباس عليه السلام من مجلسه، وقصد رسول الله ﷺ بنفسه، حتّى إذا دخل على رسول الله ﷺ وذلك بعد أن استأذنه في الدخول عليه، أقبل عليه وقال له بعد التحيّة والسلام: يا رسول الله! صلّى عليك ملك الأرض والسّماء،

الخصيصة الأربعون : في أنه ﷺ الوجه عند الله ورسوله والأئمة الطاهرين ٣٢٣

أوليس من الصحيح بأن الله تعالى قد منحني وسام باب الحوائج وستاني به،
والناس قد علموا بذلك، فقصدوني وأثوني. وهم يستشفعون ويتوسلون بي إلى الله
عز وجل، فإن لم يكن كذلك، فليسلب الله سبحانه وتعالى هذا الاسم مني،
وليسحب هذا الوسام عني؟

وهنا التفت إليه رسول الله ﷺ مُصَدِّقاً له والإبتسامة على شفتيه، رضاء به،
وقبولاً منه، وقال له: «ارجع، أقر الله عينك، فأنت باب الحوائج، واشفع لمن
سئت، وهذا الشاب المريض قد شفاه الله ببركتك».

وكان كما قصَّ الرجل رؤياه، حيث أنَّ ذلك الشاب المريض، قام من
مرضه، وشوفي من علته، وعاش ما عاش بعدها بصحة وسلامة، وعافية وكرامة،
كل ذلك ببركة شفاعة أبي الفضل العباس ﷺ، وساطته عند الله عز وجل.

ومن ذلك ظهر: أنَّ الرؤيا كانت من المنامات الصادقة والأحلام الطيبة التي
أخبرت الروايات الكريمة عنها قائلة: «بأنَّ رؤيا المؤمن جزءاً من سبعين جزءاً من
النُّبوة» كناية عن صدقها، وتحقيقها في الخارج.

[الإمام أمير المؤمنين ﷺ ومنزلة العباس ﷺ عنده]

جاء في كتاب «قمر بني هاشم»: أنَّ أُمَّ البنين ﷺ رأت أمير المؤمنين ﷺ في
بعض الأيام قد أجلس ولده أبا الفضل العباس ﷺ وهو صغير في حضنه، وشمر عن
ساعديه وكفَّيه الصغيرتين، وأخذ يقبلهما ويبكي، فأدهشها الحال، وتعجبت من
هذا الأمر، فأقبلت على الإمام أمير المؤمنين ﷺ تسأله مندهشة وتقول: لا أبكي
الله عينيك يا أمير المؤمنين؟ وهل في ساعدي ولدي وكفَّيه ما يستدعي التأثر
والبكاء؟

فأوقفها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على ما لهذا الطفل من شأن كبير عند الله ، ومنزلة رفيعة لديه ، على ما سيقوم به من نصرة أخيه وإمامه : الإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء والذب عنه ، حتّى تقطع كلتا يديه في نصرته . فلم تتمالك الأمّ الحنون نفسها من وقع هذا الخبر ، حتّى بكت وأعولت ، وشاركها من كان في الدّار الزفرة والحسرة ، والبكاء والعيول ، فهذا هم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وأسكتهم ، ثمّ بشر أمّ البنين عليه السلام بمكانة ولدها العزيز عند الله جلّ شأنه ، وأخبرنا بأنه سوف يعوّضه الله عن يديه المقطوعتين بجناحين يطير بهما مع الملائكة في الجنّة ، كما جعل مثل ذلك لجعفر بن أبي طالب عليه السلام أيضاً .

ومعلوم : إنّ تقبيل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام كفى ولده أبي الفضل العباس عليه السلام وساعديه ، ليس هو من باب الشفقة والمحبة فقط ، بل هو من باب المقام والمنزلة أيضاً .

[ستقرّ عيني بك]

وجاء في كتاب معالي السبطين وغيره أيضاً : إنّّه لما كانت ليلة إحدى وعشرين من شهر رمضان عام أربعين للهجرة ، أي : في ليلة استشهاد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وهي الليلة الأخيرة من عمر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، حيث أخذ الإمام يودّع فيها أهل بيته وخاصّته ، ويوصيهم بوصاياهم ومواعظه ، وفيها التفت إلى ولده أبي الفضل العباس عليه السلام وضمّه إلى صدره وقال له : « ولدي عباس ! وستقرّ عيني بك في يوم القيامة ، ولدي أبا الفضل ! إذا كان يوم عاشوراء ، ودخلت الماء ، وملكت المشرعة ، فأياك أن تشرب الماء ، وأن تذوق منه قطرة ، وأخوك الحسين عليه السلام عطشان » .

الخصيصة الأربعون: في أنه ﷺ الوجيه عند الله ورسوله والأئمة الطاهرين ٣٢٥

والشاهد من هذا الخبر هو قول الإمام أمير المؤمنين ﷺ لولده أبي الفضل العباس ﷺ: «وستقرّ عيني بك في يوم القيامة» فإنّ قرّة عين الإمام أمير المؤمنين ﷺ لا يكون إلّا بما يراه الإمام من علوّ مقام ولده أبي الفضل العباس ﷺ عند الله تبارك وتعالى ورفيع منزلته لديه.

[منزلة العباس ﷺ عند فاطمة الزهراء ﷺ]

جاء في كتاب «اسرار الشهادة» نقلاً عن بعض كتب المقاتل: إنّّه إذا كان يوم القيامة، واشتدّ الأمر على الناس، بعث رسول الله ﷺ بإذن من الله تعالى الإمام أمير المؤمنين ﷺ إلى ابنته الصديقة الكبرى، فاطمة الزهراء ﷺ لتحضر مقام الشفاعة، فيقبل الإمام أمير المؤمنين ﷺ إليها ويخبرها بما قاله أبوها رسول الله ﷺ ويطلب منها حضور مقام الشفاعة، ثمّ يسألها قائلاً: يا فاطمة! ما عندك من أسباب الشفاعة؟ وما الذي أدخرتبه لأجل هذا اليوم الذي فيه الفرع الأكبر؟ فتجيبه فاطمة ﷺ بقولها له: يا أمير المؤمنين! كفانا لأجل هذا المقام اليدان المقطوعتان من ابني العباس:

وفي هذا الخبر دلالة كافية على قبول الله تعالى اليدين المقطوعتين لأبي الفضل العباس ﷺ التي قطعتا في سبيله، وفي نصرة دينه ووليّه، وهو يدلّ أيضاً على علوّ مقام صاحب اليدين عند الله تبارك وتعالى، وسموّ منزلته لديه، إضافة إلى علوّ مقامه عند فاطمة الزهراء ﷺ حيث أنّها دعت ابنها لها عند قولها: كفانا لأجل هذا المقام اليدان المقطوعتان من ابني العباس بعد جعلها يديه القطيعتين وسيلة للشفاعة في ذلك اليوم العظيم والموقف الرهيب.

[العباس عليه السلام ومنزلته عند الإمام المجتبى عليه السلام]

لقد خاطب الإمام الصادق عليه السلام عمّه العباس عليه السلام في الزيارة المعروفة، التي علّم شيعته زيارة أبي الفضل العباس عليه السلام بها وقال: «السلام عليك أيّها العبد الصالح، المطيع لله، ولرسوله، ولأمير المؤمنين، والحسن، والحسين، صلّى الله عليه وسلّم» فإنّ طاعة أبي الفضل العباس عليه السلام لأخيه الإمام المجتبى الحسن الزكي عليه السلام تكشف عن مقامه عنده، ومنزلته لديه، وليس مقاماً متواضعاً ومنزلة عادية، بل مقاماً رفيعاً ومنزلة سامية، وذلك لأنّه عليه السلام كان يطيعه عن علم تام، ومعرفة كاملة، ويقين راسخ، لأنّه عليه السلام كان يرى في إطاعته له إطاعة لأمر أبيه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام حيث أوصى بنيه وجميع أهل بيته، وشيعته ومحبيه بالسمع والطاعة للإمام المجتبى الحسن الزكي عليه السلام ثمّ بعده لأخيه الإمام الحسين عليه السلام.

ومما يدل أيضاً على عظيم منزلة أبي الفضل العباس عليه السلام عند أخيه الإمام المجتبى عليه السلام ورفيع مقامه لديه: إن شركه الإمام الحسين عليه السلام في تجهيز الإمام المجتبى عليه السلام وتغسيله له، وتكفينه إياه، مع أنّه لا يلي تجهيز المعصوم إلا المعصوم، أو من أوصى المعصوم، أو رآه المعصوم صالحاً لأن يشارك المعصوم في تجهيزه. والظاهر: أنّ أبا الفضل العباس عليه السلام هو من قد أوصى الإمام المجتبى أخاه الإمام الحسين عليه السلام بمشاركته له في تجهيزه، ورآه الإمام الحسين عليه السلام أيضاً صالحاً لذلك، فشاركه معه في تجهيزه، كما شارك الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ابن عمّه الفضل بن العباس بن عبد المطلب في تجهيز رسول الله ﷺ لكن مع إلزامه بتعصيب عينية، خشية العمى إن وقع نظره على ذلك الجسد الطاهر، فإنّ غير المعصوم كما

الخصيصة الأربعون : في أنه عليه السلام الوجيه عند الله ورسوله والأئمة الطاهرين ٣٢٧

لا يحقّ له تجهيز المعصوم لعدم المجانسة في العصمة والطهارة معه، فكذلك لا يحقّ له النظر إلى جسد المعصوم عند تجهيزه، وإلاّ عمي بصره، بينما أبو الفضل العباس عليه السلام قد شارك أخاه الإمام الحسين عليه السلام في تجهيز الإمام المجتبي ولم يذكر في التاريخ أنّه عصّب عينيه، أو غصّ طرفه عند مشاركته له، وهذا يدلّ على عظمة شأن أبي الفضل العباس عليه السلام وجلالة قدره.

[منزلة العباس عليه السلام عند الإمام الحسين عليه السلام]

وأما منزلة أبي الفضل العباس عليه السلام عند أخيه الإمام الحسين عليه السلام فحدّث ولا حرج، فكم من موقف للإمام الحسين عليه السلام مع أخيه أبي الفضل العباس عليه السلام كشف فيه عن علوّ مقامه عنده، وسموّ منزلته لديه.

فقد خاطبه عليه السلام يوم التاسع من محرّم عندما زحف الجيش الأموي على مخيم الإمام الحسين عليه السلام بقوله: «اركب بنفسي أنت يا أخي! حتّى تلقاهم وتسألهم عمّا جاءهم، وما الذي يريدون؟» وهذه كلمة لها أهميّتها وقدرها، فإنّها تنبئ عن مكانة أبي الفضل العباس عليه السلام عند أخيه الإمام الحسين عليه السلام، وتخبر عن خطر منزلته لديه.

وقد خاطبه عليه السلام يوم عاشوراء أيضاً، وذلك لما استأذنه للبراز إلى الأعداء، والقتال بين يديه بقوله: «أنت صاحب لوائي، وإذا مضيت تفرّق عسكري» وفي رواية أخرى قال له وهو يريد استبقاءه: «أنت العلامة من عسكري، وأنت مجمع عددنا، فإذا مضيت يؤلّ جمعنا إلى الشتات، وعمارتنا تنبعث إلى الخراب».

وخاطبه في يوم عاشوراء أيضاً وذلك لما وقف على مصرعه، وأراد حمله إلى المخيم فأقسم عليه العباس عليه السلام بحق جدّه رسول الله ﷺ أن يتركه مكانه لئلاّ

يتجرأ الأعداء عليه بقوله: «جزيت عن أخيك خيراً، فلقد نصرته حياً وميتاً». وخاطبه أيضاً لما قام من مصرعه وهو يبكي ويكفكف دموعه بيديه بقوله: «الآن انكسر ظهري، وقلت حيلتي، وشتت بي عدوي» وغيرها من المخاطبات الدالة على عظيم مقام العباس عليه السلام عند أخيه الإمام الحسين عليه السلام وسمو منزلته لديه.

[الإمام زين العابدين عليه السلام ومنزلة العباس عليه السلام عنده]

جاء في كتاب معالي السبطين: إن الإمام الحسين عليه السلام لما تفقد ولده الإمام زين العابدين عليه السلام وعاده ليودعه، سألته عن عمه العباس عليه السلام، فاختنقت عمته زينب عليها السلام التي كانت تمرّضه بعبرتها، وجعلت تنظر إلى أخيها كيف يجيبه، لأنه لم يكن يخبره لحدّ الآن بشهادة عمه العباس عليه السلام خوفاً من أن يشتدّ مرضه؟ فقال عليه السلام له وهو يرى أنه لا بدّ من اخباره ولا طريق لحجب هذا الخبر المفجع عنه: يا بني! إن عمك قد قُتل، وقطعوا يديه على شاطئ الفرات، فبكى عليّ بن الحسين عليه السلام بكاء شديداً حتّى غشي عليه.

ومعلوم: أن سؤال الإمام زين العابدين عليه السلام أولاً وقبل كلّ أحد عن عمه العباس عليه السلام، وكذلك بكاءه لما سمع باستشهاده حتّى الإغماء، دليل عظمة مقام العباس عليه السلام عند الإمام زين العابدين عليه السلام ورفيع منزلته لديه.

[على الدنيا بعد العباس عليه السلام العفا]

وجاء في كتب مقاتل: إن الإمام زين العابدين عليه السلام لما جاء لمواراة الأجساد الطاهرة، والأبدان الزاكية، ووارى بنفسه جثمان والده سيّد الشهداء: الإمام الحسين عليه السلام، واستعان ببني أسد في مواراة بقيّة الشهداء السعداء وفرغ منها،

التفت إلى بني أسد وقال لهم: انظروا هل بقي من أحد؟ قالوا: نعم، بقي بطل مطروح حول المستاة، وإنا كلما حملنا منه جانباً، سقط منه الجانب الآخر، لكثرة ما به من ضرب السيوف، وطعن الرماح، فبكى عليه من قولهم ذلك وقال: امضوا بنا إليه، فلما رآه ألقى بنفسه عليه يلثم نحره الطاهر، ويقبل يديه المقطوعتين، وهو يقول: «على الدنيا بعدك العفا يا قمر بني هاشم! وعليك مني السلام من شهيد محتسب ورحمة الله وبركاته» ثم قام عليه السلام وتولى أمره بنفسه، فشقق له ضريحاً، وأنزله في مثواه وحده، ولم يشرك أحداً من بني أسد في ذلك، كما فعل بأبيه سيد الشهداء عليه السلام ولما أراد بنو أسد إعانتة عليه قال لهم: يا بني أسد! إن معي من يعينني.

وهذا إن دلّ على شيء، فإنه يدلّ على ما لأبي الفضل العباس عليه السلام من مقام كبير وشأن عظيم عند الإمام زين العابدين عليه السلام، بل عند الله تبارك وتعالى، وعند رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وعند الأئمة من أهل بيته عليه السلام.

[رحم الله عمي العباس عليه السلام]

وجاء في كتاب أمالي الصدوق: إن الإمام زين العابدين عليه السلام وقع نظره يوماً على عبيد الله بن العباس بن علي عليه السلام، فتذكر به عمّه أبا الفضل العباس عليه السلام فاستعبر ثم قال: «ما من يوم أشدّ على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من يوم قُتل فيه عمّه حمزة بن عبدالمطلب عليه السلام أسد الله وأسد رسوله، وبعده يوم مؤتة، قُتل فيه ابن عمّه جعفر بن أبيطالب عليه السلام، ثم أضاف: ولا يوم كيوم الحسين عليه السلام، ازدلف إليه فيه ثلاثون ألف رجل، يزعمون أنهم من هذه الأمة، كلّ يتقرّب بدمه إلى الله، وهو يذكرهم بالله، فلا يتعظون، حتّى قتلوه بغياً، وظلماً وعدواناً، ثم قال: رحم الله عمي العباس،

فلقد آثر، وأبلى، وفدى أخاه بنفسه، حتى قطعت يده، فأبدله الله بهما جناحين يطير بهما مع الملائكة في الجنة، كما جعل لجعفر بن أبي طالب عليه السلام، وإن للعباس عند الله منزلة يغبط بها جميع الشهداء يوم القيامة».

[بعد فاجعة الطف]

وجاء في بعض الكتب أيضاً: إن الإمام زين العابدين عليه السلام لما رجع إلى المدينة بعد فاجعة الطف، لازم الحزن والبكاء على أبيه الإمام الحسين عليه السلام، وعلى عمه أبي الفضل العباس عليه السلام وعلى سائر شهداء كربلاء، وكان لا يجلس بعد ذلك في الأعياد للناس، بل كان يوم العيد يوم حزنه وبكائه، ويوم تجدد المصاب عليه، فأراد منه شيعته ذات مرة وبإصرار أن يجلس لهم في عيد مقبل عليهم، كما وأرسلوا نساءهم إلى مخدّرات الرسالة ليسألن منه ذلك، فأجابهم عليه السلام إلى ذلك على شرط أن لا يأتوه مهتئين ولا مباركين له بالعيد، فلما كان يوم العيد جلس عليه السلام لهم، فلما رأى عبيد الله بن العباس بن علي عليه السلام وكان صغيراً أن ابن عمه الإمام زين العابدين عليه السلام قد جلس للناس في هذا العيد، ظن أن حزن الإمام وبكائه قد انقضى، فأقبل إلى جدّته أم البنين وأراد منها أن تلبسه ثياب العيد حتى يزور بها الإمام زين العابدين عليه السلام الذي جلس للناس في هذا العيد، فقالت له أم البنين: نعم يا بني! وكانت أم البنين قد ادّخرت ثياباً للعباس عليه السلام من أيام الصغر، فأخرجتها وألبسته، فجاء عبيد الله بن العباس عليه السلام فيها ودخل على الإمام زين العابدين عليه السلام فلما رآه مقبلاً وقد لبس ثياب أبيه العباس عليه السلام قام عليه السلام من مجلسه وقد تحادرت دموعه على خديه ليستقبل ابن عمه الصغير باكياً، فقليل له: لا أبكي الله عينيك يا ابن رسول الله! ممّ بكاءك؟ فقال عليه السلام: لما وقع نظري على ابن عمي هذا عبيد الله بن

الخصيصة الأربعون : في أنه عليه السلام الوجيه عند الله ورسوله والأنمة الطاهرين ٣٣١

العباس عليه السلام المقبل عليّ وقد لبس ثياب أبيه، تذكّرت عمّي العباس وتصورت أنّه هو الذي يدخل عليّ، فتذكّرت بذلك موقفه يوم الطف فبكيت، ثمّ فتح الإمام عليه السلام باعه وضمّ ابن عمّه عبيد الله بن العباس عليه السلام إلى صدره وقبّله، ثمّ أجلسه في حجره والتفت إليه وهو يمسح على رأسه بيده الكريمة ويقول له: أظننت يا ابن العمّ إنّ حزننا على عمّك الإمام الحسين عليه السلام، وعلى أبيك العباس عليه السلام وسائر بني هاشم والشهداء قد انقضى؟ هيهات يا ابن العمّ إنّ حزننا عليهم لا ينقضي إلى يوم القيامة، ثمّ أنشأ عليه السلام يقول:

نحن بنو المصطفى ذوو غصص يجرعها في الأنام كاظمنا
عظيمة في الأنام محتتنا أولنا مبتلى وآخرنا
يفرح هذا التوري بعيدهم ونحن أعيادنا مآتمنا
والناس في الأمن والسرور وما يأمن طول الزمان خائفنا
وما خصنا به من الشرف الطائل بين الأنام آفتنا
يحكم فينا والحكم فيه لنا جاحدنا حقنا وغاصبنا
ثمّ بكى عليه السلام وبكى من كان حاضراً معه.

[منزلة العباس عليه السلام عند الإمام الباقر عليه السلام]

جاء في كتب المقاتل: إنّ الإمام محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام المكّنّي بأبي جعفر، والملقب من قبل جدّه رسول الله ﷺ عن الله تبارك وتعالى بلقب: الباقر عليه السلام، كان مع أبيه الإمام السجاد عليه السلام وجدّه الإمام الحسين عليه السلام قد حضر كربلاء، ومرّ عليه يوم عاشوراء وهو ابن خمس سنين، فكان يدرك كلّ الوقائع المؤلمة التي وقعت فيه، ويتحسّس جميع الأحداث المفجعة التي

اتَّفقت لهم عنده، فكان المصاب الأليم يعصر قلبه، والرزايا العظيمة تستدرّ دمه، وخاصةً عندما سمع بمقتل عمّ أبيه: أبي الفضل العباس عليه السلام ذلك البطل الضرغام، الذي كان معسكر الإمام الحسين عليه السلام وخاصةً مخيم النساء آمنًا في ظلاله، ومطمئنًا إلى حمايته ودفاعه، والذي بشهادته عليه السلام أمن العدوّ جانب الإمام الحسين عليه السلام وأيقن بالسيطرة عليه، وسهرت عيون الهاشميات وباتت خائفة من الأسر، مرعوبة من السبي وتسلّط الأعداء الجفاة عليهم.

ولذلك يمكن لنا القول: بأنّ الإمام الباقر عليه السلام تقديرًا لمواقف عمّه أبي الفضل العباس عليه السلام المشرفة، وشكرًا لمساعيه الطيبة، وإعلاناً عن مقام عمّه أبي الفضل العباس عليه السلام عنده، ومنزلته لديه، قد لثم يدي عمّه المقطوعتين، وقبلهما بحرقه ولوعة، اقتداءً بأبيه الإمام السجّاد عليه السلام وجده الإمام الحسين عليه السلام، وذلك حين مرّوا به وبعمّاته والهاشميات على مصارع القتلى، وأطافوا بهم حول أجسادهم المودّرة، وأعضائهم المقطّعة.

وبذلك يكون قد قبّل يدي أبي الفضل العباس عليه السلام ولثمها خمسة من الأئمة المعصومين عليهم السلام، وهم: الإمام أمير المؤمنين عليه السلام والإمام الحسن المجتبي عليه السلام فإنّهما قبّلا يديه عليه السلام في حال صغره، وحين كانتا مثبتتين في جسمه، والإمام الحسين عليه السلام، فإنّه قبلهما في صغره مثبتتين، وفي كبره مقطوعتين، والإمام السجّاد عليه السلام والإمام الباقر عليه السلام فإنّهما قبّلا يديه وهما مقطوعتان عن جسمه، مرميتان على رمضاء كربلاء.

[الإمام الصادق عليه السلام ومنزلة العباس عليه السلام عنده]

لقد روي عن الإمام أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام الشيء الكثير والجم الغفير في حق عمّه أبي الفضل العباس عليه السلام، وكلّ واحد منها ينبيء عن علوّ مقامه عنده، وسموّ منزلته لديه، بل كلّ واحد منها صريح في بيان ما لأبي الفضل العباس عليه السلام من الجاه والجلال عند الله، وعند رسول الله ﷺ، وعند فاطمة الزهراء عليها السلام، وعند الأئمة من أهل بيت رسول الله ﷺ.

وقد اشتهر منها قوله عليه السلام في حقّه: «كان عمّا العباس بن علي عليه السلام نافذ البصيرة، صلب الإيمان، جاهد مع أبي عبد الله عليه السلام، وأبلى بلاءً حسناً، ومضى شهيداً».

ويكفي أبا الفضل العباس عليه السلام هذا الوسام الكريم من الإمام الصادق عليه السلام الذي هو وسام من الله تعالى، لأنّه عليه السلام يتكلّم عن آبائه عن رسول الله ﷺ عن جبرئيل عن الله، وقد أبان فيه عن مدى شخصيّة أبي الفضل العباس عليه السلام الكبيرة، وكشف عبره عن مغزى نفسيّة العباس عليه السلام الرحبة، وأفصح في طيّاته عن معنويّاته الواسعة والصلبة.

وقد اشتهر منها أيضاً قوله عليه السلام فيما علّمه شيعته وأصحابه إذا حضروا عند مرقد أبي الفضل العباس عليه السلام أن يخاطبوه به من لفظ الزيارة المرويّة بسند صحيح متفق عليه، والتي تبتديء بتقديم التحيّة وإهداء السّلام من الله، وملائكته، وأنبيائه، ورسله، وعباده الصالحين، وجميع الشهداء والصديقين، زاكية طيّبة، في كلّ صباح ومساء، على العباس بن أمير المؤمنين عليه السلام، وتنتهي بالدعاء والثناء، وطلب المغفرة والرضوان، ونيل الفلاح والنجاح للزائرين والوافدين، وتضمّ فيما

بين البدء والختم معانٍ شامخة، ومقامات سامية، تضاهاى ما جاء من المعاني الشامخة في زيارات المعصومين عليهم السلام وتوازي ما روي من المقامات السامية لهم سلام الله عليهم أجمعين، فالزيارة هذه إذن صريحة في عظمة أبي الفضل العباس عليه السلام وجلالة قدره.

[منزلة العباس عليه السلام عند باقي الأئمة عليهم السلام]

ثم إن باقي الأئمة المعصومين عليهم السلام من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله بعد الإمام الصادق عليه السلام وحتى الإمام المهدي عليه السلام وإن لم يصلنا منهم تصريح في حقّ عثم أبي الفضل العباس عليه السلام سوى ما وصلنا من الإمام الهادي عليه السلام وذلك على ما في الإقبال من زيارة الناحية المقدسة الصادرة عنها سنة مائتين واثنتين وخمسين هجرية، المتعرضة لأسماء الشهداء، والتي يقول فيها الإمام عليه السلام مخاطباً عمّه العباس عليه السلام: «السلام على أبي الفضل العباس بن أمير المؤمنين، المواسي أخاه بنفسه، الآخذ لغده من أمسه، الفادي له، الواقى، الساعي إليه بمائه، المقطوعة يده..» وسوى ما بلغنا من الزيارة الصادرة من الناحية المقدسة لصاحب العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف والتي يقول فيها الإمام عليه السلام: «السلام على الأعضاء المقطعات» إلا أنهم عليهم السلام أقرّوا ما روي صحيحاً عن الإمام الصادق عليه السلام من لفظ زيارة عثم أبي الفضل العباس عليه السلام، وأمروا شيعتهم أن يزوروا عثم العباس عليه السلام بتلك الزيارة المأثورة، فيكونون بذلك قد قبلوا ما تضمنته الزيارة من مقام رفيع لأبي الفضل العباس عليه السلام، وما صرّحت به من مرتبته السامية، فيصحّ لنا حينئذ أن نقول: إن مقام أبا الفضل العباس عليه السلام عند من لم يصلنا منه تصريح في حقّه من الأئمة المعصومين عليهم السلام هو نفس مقام أبي الفضل العباس عليه السلام عند من وصلنا من الأئمة الطاهرين عليهم السلام تصريح منه في حقّه عليه السلام.

[أم البنين عليها السلام ومنزلة العباس عليه السلام عندها]

إنَّ الأمَّ وإنْ عُرِفَ بأنَّه يشدُّها إلى ابنتها محبة الأمومة، وعلاقة الحمل والرضاع، والتربية والحضانة، إلَّا أنَّ أمَّ البنين عليها السلام قد فاقت في محبتها لولدها العباس عليه السلام على محبة الأمومة، وسمت في علاقتها به علاقة القرابة القريبة، وذلك لمعرفتها بما يحمله أبو الفضل العباس عليه السلام بين جوانبه من إيمان راسخ، وولاء كبير، لأخيه وإمامه الإمام الحسين عليه السلام، وما يضمُّه بين أضلاعه من إخلاص لله تعالى ولرسوله، ولدينه وإمامه، وما ينطوي عليهم من صفات خيرة، وخلق كريم، حيث اجتمع كلُّ ذلك في أبي الفضل العباس عليه السلام والذي بشرته به إرهابات ولادته عليه السلام بل وقبل ولادته وحمله، جعلت له مكانة عظيمة لدى أمِّه أمَّ البنين عليها السلام وأحرزت له منزلة رفيعة لديها، ولذلك نراها عليه السلام تعوِّذه من صغره بقولها :

أعيذه بالواحد	من عين كلِّ حاسد
قائمهم والقاعد	مسلمهم والجاحد
صادرهم والوارد	مولودهم والوالد

وترثيه بعد شهادته بقولها :

يا من رأى العباس	كرَّ على جماهير النقاد
ووراه من أبناء حيدر	كل ليث ذي لب
نُبِّئتُ أن ابني	أصيب برأسه مقطوع يد
ويلى على شبلي	أمال برأسه ضرب العمدة
لو كان سيفك في يدك	لما دنا منه أحد

وقولها الآخر:

لا تدعوئي ويك أم البنين تذكريني بليوث العرين
كانت بنون لي أدعى بهم واليوم أصبحت ولا من بنين
أربعة مثل نسور الربى قد واصلوا الموت بقطع الوتين
تنازع الخرصان أشلاءهم فكلمهم أمسى صريعاً طعين
ياليث شعري أكما أخبروا بأن عباساً قطيع اليمين

نعم، إن أم البنين كانت هي أول من رثى العباس - علي ما في مقاتل الطالبين - فإنها كانت تخرج إلى البقيع تندب أولادها الأربعة: العباس وإخوته: عبدالله، وجعفر، وعثمان، أشجى ندبة وأحرقها، فيجتمع الناس لسماع ندبتها والبكاء معها مساعدة لها، حتى أن مروان هذا العدو للدود لبني هاشم، كان إذا مرّ بالبقيع وسمع ندبة أم البنين أقبل وجلس يبكي مع الناس لبكائها.

[منزلة العباس عند السيدة زينب]

وأما منزلة العباس عند أخته عقيلة بني هاشم السيدة زينب فقد ظهر منذ ولادته، فكانت بعد أمّه أم البنين هي كالأمّ الحنون له، تناغيه في المهد، وترّيه في أحضانها، وتغذّيه بعلمها ومعرفتها، وهي التي أتت به عند ولادته إلى أبيها الإمام أمير المؤمنين ليقيم عليه سنن الولادة: من الأذان والإقامة في أذنيه: اليمنى واليسرى، ومن التسمية، وجعل الكنية واللقب له، ثم سألت أباهما عن اسمه؟ فقال لها: إنه عباس، وعن كنيته؟ فقال: إنه أبو الفضل، وعن لقبه؟ فقال: إنه قمر بني هاشم، وقمر العشيرة، والسقاء، فقالت: متفائلة: أما اسمه: «عباس» فهو علامة الشجاعة والبسالة، وأما كنيته: «أبو الفضل» فهو آية

الخصيصة الأربعون : في أنه عليه السلام الوجه عند الله ورسوله والأئمة الطاهرين ٣٣٧

الفضل والكرامة، وأما لقبه: «قمر بني هاشم، وقمر العشيرة» فهو وسام الجمال والكمال، والصباحة والوجاهة، ولكن يا أبة! ما معنى أنه السقاء؟ فقال لها أبوها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وقد استعبر: إنه ساقى عطاشا كربلاء، وقصّ عليها شيئاً من حوادث عاشوراء، فأجهشت السيّدة زينب عليها السلام بالبكاء لما سمعت ذلك، فهدّأها أبوها بقوله: بنيت زينب! تجلّدي واصبري، وخذي أخاك إلى أمّه، واعلمي أن له معك لموقف مشرّف، وشأن عظيم.

وهذا ممّا زاد في مقام أبي الفضل العباس عليه السلام عند أخته السيّدة زينب عليها السلام وأضاف في منزلته لديها، حتّى أنّها عليها السلام طلبت من أبيها عند ارتحاله - على ما في بعض الكتب - بأن يتكفلها أخوها أبو الفضل العباس عليه السلام ويلتزم بحمايتها وحراستها، وخاصة في كربلاء وعند السفر إليها. فدعى عليه السلام ولده أبا الفضل العباس عليه السلام وأخذ بيد ابنته الكبرى السيّدة زينب عليها السلام ووضعها في يده عليه السلام وقال له: بني عباس! هذه وديعة منّي إليك، فلا تقصّر في حفظها وصيانتها، فقال العباس عليه السلام لأبيه ودموعه تجري على خديّه: لأنعمتْك يا أبتاه عيناً.

وكان أبو الفضل العباس عليه السلام بعد ذلك يهتمّ بأخته الكبرى السيّدة زينب عليها السلام أكثر من ذي قبل، ويرعاها أشدّ رعاية من الماضي، وخاصة في أسفارها التي اتّفقت لها عليها السلام بعد ذلك، فإنّ أول سفرها عليها السلام كان في أيّام خلافة والدها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الظاهريّة حيث هاجر عليها السلام من المدينة إلى الكوفة، وجعلها مقراً لخلافته، فهاجرت هي عليها السلام إليها أيضاً. وأما أسفارها الباقية وهي عبارة عن سفرها مع أخيها: الإمام المجتبيّ الحسن الزكي عليه السلام إلى المدينة المنورة والرجوع إلى مدينة جدّها عليه السلام، وكذلك سفرها مع أخيها الإمام الحسين عليه السلام حين خروجه على يزيد بن معاوية عدوّ الله وعدوّ رسوله من المدينة إلى مكة ومنها إلى كربلاء، فكان أبو الفضل العباس عليه السلام هو الذي تكفّل ركوها ونزولها، وتعهّد حراستها

ورعايتها، في طول الطريق، وخاصة عند نزولها في كربلاء، وعلى الأخص في الأيام الصعبة، والظروف العصيبة، التي أحاطت بهم في كربلاء من كل جانب، وإلى يوم عاشوراء، ولذلك لما أراد الأعداء السفر بها وبقية السبايا إلى الكوفة ومنها إلى الشام، وأحضروا النياق الهزل، الخالية عن الوطاء، والعارية عن المحامل، ليركبوهم عليها، ويعرجوا بهم من ربوع كربلاء، التفتت السيدة زينب عليها السلام نحو العلقمي، وصاحت برفيع صوتها، والأسى يقطع نبراتهما: أخي عباس! أنت الذي من المدينة أركبتي، وها هنا أنزلتني، قم الآن فركبني، فها هي نياق الرحيل، تجاذبنا بالمسير.

عباس يا حامي الظعينة والحرم بحماك قد نامت سكينة في الحرم
صرخت ونادت يوم إذ سقط العلم اليوم نامت أعين بك لم تنم
وتشهدت أخرى فعز منامها
عباس تسمع ما تقول سكينة عماه يوم الأسر من يحميني

[العباس عليه السلام ومقامه عند محبيه وشيعته]

لقد رفع الله مقام أبي الفضل العباس عليه السلام وأعلى منزلته في الدنيا والآخرة، ولدى محبيه وشيعته، بل ولدى الناس أجمعين، حتى أن العلامة الدربندي في أسرار الشهادة - كما عن معالي السبطين - قال وهو يصف بعض ما لأبي الفضل العباس عليه السلام من الجاه والمقام عند الناس: «ثم انظر إلى اسمه الشريف عند المخالف والمؤلف، فإنه قد جعل قريباً من أسماء الأئمة والحجج، ولا تمضي ساعة إلا وقد وقع الحلف باسمه الشريف، بل الرعب منه أكثر من غيره، بحيث لا يحلفون باسمه كذباً، خوفاً من الابتلاء والافتضاح، وقد شاهدوا ذلك بأمر أعينهم، وقصة التوسل

الخصيصة الأربعون : في أنه ﷺ الوجيه عند الله ورسوله والأنمة الطاهرين ٣٣٩

به في قضاء الحوائج معروفة، بحيث أنه لا يمضي أسبوع واحد إلا وقد علا أحدهم المنارة العباسية المباركة، وأخذ ينادي بأعلى الصوت: رفع الله راية العباس، ويبيض الله وجهه، فإنه قد قُضيت حوائجنا بتوسلنا به إلى الله تعالى، ونزلنا بفنائهم، ولجؤنا باباه، ثم قال: وكيفيّة الذورات له وكثرتها معلوم وواضح».

ويشهد لهذا التصريح المذكور في معالي السبطين، والمحكي عن أسرار الشهادة، التاريخ الغابر والمعاصر، وكلّ من توقّق لأن يقصد أبا الفضل العباس ﷺ ويتشرّف بالحضور في روضته المباركة، ويزوره في كربلاء المقدسة عن كسب، حيث أنه يشاهد كلّ هذه الأمور، قائمة في روضته المباركة على قدم وساق، ولا عجب من ذلك، إذ هو الذي منحه الله تعالى وسام: «باب الحوائج». وآلى على نفسه أن لا يردّ صاحب حاجة من بابهِ ﷺ خائباً، ولا مؤملاً به محروماً، بل يردّهم بحوائجهم مفلحين منجحين، وسالمين غانمين.

[العلماء إذا زاروا مرقد العباس ﷺ]

هذا وقد جاء في المأثور من زيارة أبي الفضل العباس، ﷺ المروية في المزار الكبير لابن المشهدي بسند صحيح عن الإمام الصادق ﷺ: إنّ من آدابها هو: أن ينكبّ الزائر على مرقد أبي الفضل العباس ﷺ ويقبّله ويقول كذا وكذا. وجاء في مزار الشيخ المفيد، ومزار السيّد بن طاووس: إنّه عند ما يستأذن الزائر في الدخول إلى روضة أبي الفضل العباس ﷺ المباركة، يدخل وينكبّ على القبر الشريف ويقول وهو مستقبل القبلة: «السلام عليك أيّها العبد الصالح...». وفي زيارة أخرى له ﷺ: «ثمّ تنكبّ على القبر وتقبّله وتقول: «بأبي وأمي يا ناصر دين الله...».

ومن أجل ذلك، كان العلماء الأعلام، والمراجع العظام، إذا قصدوا أبا الفضل العباس عليه السلام وتشرفوا بزيارته في روضته المباركة، قبلوا عتبة الشريفة ولثموها عند دخولهم إليه، كما يلثمون عتبة الإمام الحسين عليه السلام ويقبلونها عند الدخول إليه والتشرف بزيارته عليه السلام.

وينقل عن صاحب أسرار الشهادة العلامة الدربندي: أنه قال يوماً للشيخ الأنصاري وذلك في أيام مرجعية الشيخ: إن الشيعة يرجعون إليكم، ويقتدون بكم، ويقتفون آثاركم، فلو كنتم عند تشرفكم إلى زيارة الإمام الحسين عليه السلام تقبلون عتبة المقدسة حين دخولكم في روضته المباركة، اقتدى الشيعة بكم في ذلك، وفعلوا كما تفعلون، فتشتركون في ثوابهم، وتؤجرون بأجرهم.

فأجابه الشيخ الأنصاري قائلاً: إني أقبل عتبة أبي الفضل العباس عليه السلام المقدسة وألثمها، ناهيك عن أعتاب الأئمة الطاهرين من أئمة أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله كالإمام الحسين عليه السلام، ثم أضاف قائلاً: إني إنما أقبل عتبة أبي الفضل العباس عليه السلام وألثمها، لأنها موطىء أقدام زوّاره الكرام، ناهيك عن أنها عتبة باب الحوائج، وباب الإمام الحسين عليه السلام، أبي الفضل العباس ابن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

هذا بعض ما لأبي الفضل العباس عليه السلام من الجاه العظيم، والمقام الرفيع عند الله ورسوله صلى الله عليه وآله، وعند ابنته فاطمة الزهراء عليها السلام، وعند الأئمة الطاهرين عليهم السلام من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله، وعند أمّه أم البنين عليها السلام، وعند أخته السيّدة زينب عليها السلام، وعند شيعته ومحبيه، وأمّا حقيقة مقام أبي الفضل العباس عليه السلام وواقع منزلته، فمما لا يعلمها إلا الله تبارك وتعالى، رزقنا الله زيارته وحشرنا الله معه في الدنيا والآخرة، آمين ربّ العالمين.

الخاتمة :

« في خصائص حواريّ الإمام الحسين عليه السلام »

وليس لديه ناصر غير نيفٍ وسبعين ليثاً ما هناك مزيد
سَطَّتْ وأنابيب الرّماح كأنّها آجام وهم تحت الرّماح أسود
ترى لهم عند القراع تباشراً كأنّ لهم يوم الكريهة عيد
وما برحوا عن نصرّة الدّين والهدى إلى أن تفانى جمعهم وأبيدوا
ولنذكر بتوفيق من الله تعالى في خاتمة كتابنا هذا - الخصائص العباسية -

بعض خصائص حواريّ الإمام الحسين عليه السلام من أصحابه وأهل بيته الذين
استشهدوا معه في كربلاء، وشيئاً ممّا امتازوا به على سائر حواريّ الأنبياء
وأوصيائهم، من موسى وعيسى، وهارون ويوشع، إلى نبيّنا الحبيب، خاتم
الأنبياء والمرسلين وأشرف خلق الله أجمعين محمّد بن عبد الله ﷺ، ووصيّته
الكريم سيّد الأوصياء وإمام المتّقين الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

هذا ولا يخفى أنّ أبا الفضل العباس عليه السلام - على ما سبق - هو إمام حواريّ
أخيه الإمام الحسين عليه السلام وسيّدهم، وأفضلهم وأشرفهم، وإذا كان كذلك، فإنّه إذا
تكلمنا عن خصائص حواريّ الإمام الحسين عليه السلام وامتيازاتهم، فقد تكلمنا في
الواقع عن خصائص أبي الفضل العباس عليه السلام وامتيازاته أيضاً، علماً بأنّ أبا الفضل
العباس عليه السلام ليس هو إمام حواريّ أخيه الإمام الحسين عليه السلام فحسب، بل هو إمام كلّ

الحواريين، وذلك لأنّه عليه السلام هو إمام حوارِيّ أخيه الإمام الحسين عليه السلام، وحواريّو الإمام الحسين عليه السلام هم أفضل كلّ الحواريين من الأوّلين والآخرين، فيكون أبو الفضل العباس عليه السلام إذن هو إمام كلّ الحواريين وأفضلهم من الأوّلين والآخرين، ويكون الحديث عنهم هو حديث عنه أيضاً، وحيث اتّضح ذلك فلنبداً الآن بما تيسّر لنا ذكره من تلك الخصائص والإمتميازات الواردة في حقّهم بإذن الله تعالى وتأَييده:

[الإمتمياز الأوّل]

١- إنّه كانوا بعد المعصومين الأربعة عشر عليه السلام في مقدّمة الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه، وذلك على ما جاء في ثواب الأعمال عن الإمام الصادق عليه السلام: من أنّه أوصى بقراءة سورة «الفجر» في الصلوات الفريضة والنافلة، وقال: إنّها سورة الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام من قرأها كان مع الإمام الحسين عليه السلام يوم القيامة في درجته من الجنّة. وفي شرح الآيات الباهرة مسنداً عن الإمام الصادق عليه السلام في حديث جاء فيه: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ...﴾ إنّما يعني بها: الحسين بن علي عليه السلام فهو ذوالنفس المطمئنّة، الراضية المرضيّة، وأصحابه من آل محمّد عليه السلام الراضون عن الله يوم القيامة وهو راض عنهم، وهذه السورة نزلت في الحسين بن علي عليه السلام وشيعته وشيعة آل محمّد خاصة...».

[الإمتمياز الثاني]

٢- إنّه كانوا أبرّ وأوفى جميع من صحب الأنبياء والأوصياء قاطبة، وذلك لأنّ الإمام الحسين عليه السلام برواية الإرشاد للمفيد مسنداً عن الإمام زين العابدين عليه السلام

جمعهم غروب يوم التاسع من المحرم، أي: في أوّل الليل من ليلة عاشوراء، ورفع عنهم بيعته، وأذن لهم بالإنصراف، فلم يرضوا إلّا ببذل أرواحهم دونه، وكان أوّل من بدأهم هو أبو الفضل العباس عليه السلام، عندها قال لهم الإمام الحسين عليه السلام: «أما بعد! فإنّي لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي، ولا أهل بيت أبرّ ولا أوصل من أهل بيتي، فجزاكم الله خيراً».

[الإمتياز الثالث]

٣- إنهم كانوا خير من نصر الله، ونصر دين الله، ونصر أنبياءه وأوصيائه من الأوّلين والآخرين، وذلك كما في الزيارة الصادرة عن الناحية المقدسة حيث جاء فيها: «السلام عليكم يا خير أنصار، السلام عليكم بما صبرتم، فنعم عقبى الدار».

ولعل تفوّق هؤلاء على الجميع يكون لأجل شدة إيمانهم وإخلاصهم لإمامهم الإمام الحسين عليه السلام، ولأجل أن نسبتهم إلى نسبة العدو كانت - حسب بعض الروايات التاريخية - نسبة الواحد إلى الألف بل أكثر، ومعه قد حصل لهم العلم بأنهم سوف يُقتلون عن آخرهم ويُقتل معهم الإمام الحسين عليه السلام أيضاً، وعلموا أيضاً أنّه لا ظفر ظاهري لهم على العدو، كما أنّهم أيقنوا بأنهم لو تركوا نصرة إمامهم، وانسحبوا عن ساحة القتال وغادروا كربلاء لم يُقتلوا، ومع ذلك نصرّوه وأرخصوا دماءهم وبذلوا أرواحهم في نصرته، بينما لم تجتمع هذه الأمور في غيرهم، لا من حيث شدة الإخلاص، ولا من حيث قلة العدد وكثرة العدو، ولا من حيث اليقين بالقتل، فإنّ غيرهم كانوا على الأقل يأملون بقاء من ينصرونه.

[الإمتياز الرابع]

٤- إنَّهم كانوا قد أثبتوا بأسمائهم وأشخاصهم، وعددهم وعدَّتهم، في اللوح المحفوظ بحيث أنَّه لم ينقصوا ولم يزدادوا، ولم يتغيروا ولم يتبدَّلوا، ولذلك لمَّا عَنَّ ابن عباس على عدم نصره الإمام الحسين عليه السلام أجاب - كما عن مناقب ابن شهر آشوب -: «إنَّ أصحاب الإمام الحسين عليه السلام لم ينقصوا رجلاً ولم يزدوا رجلاً، نعرفهم بأسمائهم من قبل شهودهم».

وقال المحدث القمي في مقتله المعروف بنفس المهموم نقلاً عن محمد بن الحنفية: أنَّه قال: «وإنَّ أصحابه عندنا لمكتوبون بأسمائهم وأسماء آبائهم».

[الإمتياز الخامس]

٥- إنَّهم كانوا هم السَّباقون إلى الخير والجنة، بحيث إنَّه لم يستطع أحد من الأوَّلين والآخرين اللُّحوق بهم وبدرجاتهم، فكيف بالسبق عليهم؟ وذلك لأنَّ في تهذيب الشيخ رواية عن الإمام الصادق عليه السلام يقول فيها: مرَّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في طريقه بكرلاء فاستعبر عندها وقال ما مضمونه: ها هنا مناخ ركا بهم، ومصارع رجالهم، شهداء لا يسبقهم من كان قبلهم، ولا يلحقهم من كان بعدهم.

وروى في البحار عن خرائج الراوندي عن الإمام الباقر عليه السلام أنَّه قال ما معناه: ها هنا مناخ ركا بهم، ومصارع عشاقهم، شهداء لا يسبقهم من كان قبلهم، ولا يلحقهم من كان بعدهم.

ولا يخفى: إنَّ التعبير بكلمة: العشق لم يأت في الروايات المعتبرة سوى في هذه الرواية، وفي رواية أو روايتين فقط غير هذه الرواية.

[الإمتياز السادس]

٦- إنهم كانوا أرفع الشهداء درجة عند الله تعالى، وذلك على ما جاء في البحار عن الأمالي عن جبلة المكية أنها قالت: قال لي ميثم التمار: يا جبلة! أعلمني أن الحسين بن علي عليه السلام سيّد الشهداء يوم القيامة، ولأصحابه على سائر الشهداء درجة.

ومعناه: أن حواريّ الإمام الحسين عليه السلام في أسمى درجة من الدرجات التي أعدّها الله تعالى للشهداء في الجنة لانهم يفوقونهم جميعاً بدرجة.

[الإمتياز السابع]

٧- إنهم كانوا أعبد أهل زمانهم، فقد روى السيّد ابن طاوس في لهوفه وهو يصف حال أصحاب الإمام الجسين عليه السلام ليلة عاشوراء قائلاً: وبات الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه تلك الليلة ولهم دويّ كدويّ النحل، مابين راعع وقائم، وقاعد وساجد، فعبر عليهم في تلك الليلة من عسكر عمر بن سعد اثنان وثلاثون رجلاً.

وكذا كانت سجيّة الإمام الحسين عليه السلام حتّى قال في العقد الفريد: قيل لعليّ بن الحسين عليه السلام: ما أقلّ ولد أليك؟ فقال عليه السلام: العجب كيف ولدت له، فإنّه عليه السلام كان يصلّي في اليوم والليلة ألف ركعة، فمتى كان يتفرّغ للنساء؟

وقال المفيد في إرشاده وهو يذكر حوادث ليلة عاشوراء: فقام الإمام الحسين عليه السلام الليل كلّهُ يصلّي ويستغفر، ويدعو ويتضرّع، وقام أصحابه كذلك يصلّون ويدعون، ويستغفرون ويتضرّعون.

[الإمتياز الثامن]

٨- إنَّهم كانوا أتقى الناس، وأقوى شاهد على تقواهم هو: استئذانهم من الإمام الحسين عليه السلام في القتال بين يديه، مع أنَّ أنفسهم كانت تاتقة للشهادة بين يديه، والعقل يحكم بوجوب نصره من أوجب الله على الإنسان نصرته، حيث جعله أولى بالإنسان من نفسه، ولكن مع ذلك لم يبرزوا إلا بإذن منه سلام الله عليه، فكان إذا أذن عليه السلام لهم تقدّموا للشهادة.

[الإمتياز التاسع]

إنَّهم كانوا القمّة في قوّة القلب، ورباطة الجأش، بحيث أنّهم في ليلة عاشوراء مع أنّهم كانوا قد أيقنوا بأنّها هي الليلة الأخيرة من أعمارهم، وأنَّهم سوف يقتلون غدّاً بأجمعهم، لم يقلقوا ولم يضطربوا، بل كانوا قد اشتغلوا بفارغ البال، وسلامة الفكر، واطمئنان القلب، بالصلاة لرَبِّهم، والعبادة لخالقهم، وتلاوة القرآن، وترديد الأذكار، والتضرّع والإستغفار، وبالمزاح بعضهم مع بعض أحياناً. ولنعم ما قيل في حقّهم:

أُسود الوغى غاباتهم أجم القنا	لهم في متون الصافنات مقييل
ليوث لهم بيض الصفاح مخالب	غیوث لهم صبّ الدماء مسيل

[الإمتياز العاشر]

١٠- إنَّهم كانوا بعد المعصومين عليهم السلام أعلى النَّاس همّة، فقد عمدوا في ليلة عاشوراء وهم يعلمون أنّها آخر ليلة من حياتهم بعد أن تفرّغوا فيها للعبادة

والصلاة، والقرآن والدعاء، إلى القيام بحفر شبه خندق حول معسكرهم ومخيم النساء بتعليم من الإمام الحسين عليه السلام وملأوه بالحطب والقصب، حتَّى يشعلوه بالنار في الصّباح، لئلاّ يستطيع العدوّ من محاصرتهم، وإحاطتهم من كلّ الأطراف، بل يكون القتال من جهة واحدة فقط، وكذلك كان، فإنّ العدوّ لمّا بدأ القتال دار من خلف المعسكر ليحاصره ويأتي على آخرهم في أوّل جولة من الحرب، ولكنّه فوجيء بالخندق المملوء بالنّار، فراجع خائباً خاسراً.

[الإمتياز الحادي عشر]

١١- إنهم كانوا طلائع الذين نصر الله دينه بهم، لأنهم كانوا تُخبّتهم وزبّدتهم جميعاً، ففي مروج الذهب: إنّ الله تعالى نصر دينه بألف رجل، ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً منهم أصحاب طالوت، وثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً منهم أصحاب رسول الله ﷺ في حرب بدر الكبرى، وثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً منهم أصحاب المهدي عجل الله تعالى فرجه، والباقي وهم أحد وستون رجلاً أصحاب الإمام الحسين عليه السلام الذين قتلوا معه في كربلاء، وقد عرفت أنّهم في مقدّمة الكل، وطلايع الجميع، وأمّا عدّتهم فقد قال ثقة الإسلام النوري: إنّ ما ذكره مروج الذهب من عددهم هو خلاف المشهور بين أصحاب السير والتواريخ، فإنّ المشهور بينهم إثنان وسبعون، وليس أقل، إلّا أن يقال: إنّ مراد مروج الذهب: الأصحاب من غير بني هاشم.

[الإمتياز الثاني عشر]

١٢- إنهم كانوا أخلص الناس في حبّهم وولائهم لله ورسوله وأهل بيته

وخاصة الإمام الحسين عليه السلام، حتى عذّبهم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام هم المحبّين الواقعيين، والموالين الحقيقيين، وذلك في كلام له عند مروره بكربلاء، ففي التهذيب عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: مرّ عليّ عليه السلام بكربلاء في اثنين من أصحابه، فقال وقد اغرورقت عيناه بالدموع وهو يشير إلى الإمام الحسين عليه السلام وحواريّه: «.. ها هنا مهراق دمائهم» ثمّ خاطب أرض كربلاء بقوله: «طوبى لك من تربة يراق فيها دماء الأحبّة».

فاظقتهم جنود كالجراد المنتشر

مع شمر وابن سعد كلّ كذاب أشمر

فاصطلى الجمعان نار الحرب في يوم عسر

واستدارت في رحي الهيجاء أنصار الحين

[الإمّياز الثالث عشر]

١٣- إنّه كانوا هم الصفوة الذين اختار الله لهم أرض كربلاء المقدسة مثوى ومضجعاً وذلك إكراماً منه لأرض كربلاء المشرفة بسبب تواضعها لله تعالى، ففي كامل الزيارات عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: لمّا تفاخرت قطع الأرض بعضها على بعض، قالت أرض كربلاء بتواضع: أبنا أرض الله المقدسة المباركة، الشفاء في تربتي ومائي، ولا فخر، بل أنا خاضعة وذليلة لمن فعل بي ذلك، ولا فخر على من دوني، بل شكراً لله، فأكرمها الله، وزادها بتواضعها شكراً لله، بالحسين عليه السلام وأصحابه، ولنعم ما قيل في حقّها:

هي الطفوف فطف سبعا بمفناها فما لمكة مغنى مثل مفناها

أرض ولكنما السبع الشداد لها دانت وطأنا أعـلاها

وكيف لا وهي أرض ضمنت جنة ما كان ذلك لا والله لولاها
فيها الحسين وفتيان له بذلوا في الله أي نفوس كان ذكاه

[الإمتياز الرابع عشر]

١٤- إنهم هم الذين دعاهم سلمان الفارسي بكونهم إخوانه، ففي كتاب «نفس الرحمان» عن رجال الكشي عن المسيّب بن نجية الفزاري روى قائلاً: إنه لما أتانا سلمان الفارسي قادماً، تلقيناه فيمن تلقاه، فسار بنا إلى كربلاء، فلما وصلناها قال: هذه مصارع إخواني، هذا موضع رحالهم، وهذا مناخ ركابهم، وهذا مهراق دمائهم، يُقتل بها ابن خير النبيين، ويقتل بها خير الآخرين.

[الإمتياز الخامس عشر]

١٥- إنهم هم سادة الشهداء يوم القيامة، كما أن الإمام الحسين عليه السلام هو سيّد الشهداء من الأوّلين والآخرين، وذلك على ما جاء في نفس المهموم عن الشيخ ابن نما عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «وذكرت ما يصنع بولدي الحسين عليه السلام، كأنّي به وقد استجار بحرمي وقبري فلا يجار، ويرتحل إلى أرض مقتله ومصرعه أرض كرب وبلاء، فتصره عصابة من المسلمين، أولئك سادات شهداء أمتي يوم القيامة».

[الإمتياز السادس عشر]

١٦- إنهم السادات والسابقون، والأنصار والمهاجرون، وذلك على ما جاء في تحفة الزائر في فقرات زيارة الشهداء الماثورة من قوله عليه السلام: «أنتم سادات

الشهداء في الدنيا والآخرة، وأنتم السابقون والمهاجرون والأنصار». نعم إنهم سادات الشهداء بعد المعصومين الأربعة عشر عليهم السلام، فلا أحد من الشهداء في درجتهم لا من الأولين ولا من الآخرين، كما أنهم بعد المعصومين الأربعة عشر عليهم السلام، هم أول السابقون إلى رضوان الله، وأول الفائزين بأرفع الدرجات التي أعدها الله تعالى للمهاجرين في سبيل الله والأنصار لدين الله من الأولين والآخرين، كيف لا: وقد سبقوا الناس أجمعين إلى إجابة إمامهم الإمام الحسن عليه السلام، وهجروا أوطانهم ودنياهم، ونصروا ابن بنت نبيهم صلوات الله وسلامه عليه.

[الإمّياز السابع عشر]

١٧- إنهم كانوا قد ضاهوا في شهادتهم شهادة النبيين وآل النبيين، فكانوا أشبه الناس بهم في الشهادة، وذلك لما جاء في «غية النعماني»: من أن الإمام الحسين عليه السلام كان يحمل قتله إلى المخيم حيث فسطاط الشهداء، فكان يضع بعضهم مع بعض وهو يقول: «قَتَلَهُ مِثْلَ قَتْلَةِ النَّبِيِّينَ وَآلِ النَّبِيِّينَ».

[الإمّياز الثامن عشر]

١٨- إنهم كانوا قد ساووا من استشهد مع الأنبياء، ومن قُتل بين أيديهم وفي نصرتهم، ففي الخبر: إن الله تبارك وتعالى هو أول من لعن قاتل الإمام الحسين عليه السلام، ثم لعنته الملائكة، ثم الأنبياء واحداً بعد واحد، وكانوا يوصون به أولادهم وذويهم، ويأخذون منهم الميثاق والعهد عليه، ثم لعنه داود وأمر بني إسرائيل بذلك، ثم لعنه عيسى وأكثر، فقال: يا بني إسرائيل! العنوا قاتله، وإن

أدركتم أيّامه فلا تجلسوا عن نصرته، فإنّ الشهيد معه كالشهيد مع الأنبياء، مقبل غير مدبر.

[الإمتياز التاسع عشر]

١٩- إنهم يرجعون مع الإمام الحسين عليه السلام في زمان الرجعة ويؤدّون عنه ويعرّفونه للناس، وذلك على ما ورد في نفثة المصدور عند قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾ من خروج الإمام الحسين عليه السلام في سبعين من أصحابه، عليهم البيض المذهبة، لكلّ بيضة وجهان، المؤدّون إلى الناس: إنّ هذا الإمام الحسين عليه السلام قد خرج، حتّى لا يشكّ المؤمنون فيه.

[الإمتياز العشرون]

٢٠- إنهم الموصوفون بالأولياء والأصفياء، والأودّاء والأحباء، وإنّهم الطيّبون الفائزون، كما جاء في تحفة الزائر عن الإمام الصادق عليه السلام في رواية أنّه قال لصفوان الجمّال وهو يعلمه كيف يزور الشهداء السعداء: ثمّ توجّه إلى الشهداء وقل: «السلام عليكم يا أولياء الله وأحباءه، السلام عليكم يا أصفياء الله وأودّاءه، السلام عليكم يا أنصار دين الله... بأبي أنتم وأمّي طبتم وطابت الأرض التي فيها دفنتم، وفزتم والله فوزاً عظيماً، فياليتني كنت معكم فأفوز معكم».

[الإمتياز الواحد والعشرون]

٢١- إنهم المعروفون بشيعة الله ورسوله والأئمة الطاهرين، وإنّهم المهدّيّون الطاهرون، والأبرار المتّقون، وذلك على ما جاء في زيارة الأربعين المرويّة عن

جابر بن عبد الله الأنصاري، حيث أنه توجه نحو الشهداء وقال في زيارتهم: «السلام على الأرواح المنيخة بقبر أبي عبد الله، السلام عليكم يا شيعة الله، وشيعة رسوله، وشيعة أمير المؤمنين والحسن والحسين، السلام عليكم يا طاهرون، السلام عليكم يا مهديون، السلام عليكم يا أبرار...».

[الإمتياز الثاني والعشرون]

٢٢- إنهم هم الذين من شدة نورهم وتلاّثهم شبّهم رسول الله ﷺ بنجوم السماء، ففي البحار نقلاً عن تفسير فرات عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «كان الحسين عليه السلام مع أمّه تحمله، فأخذه النبي ﷺ وضّعة إلى صدره وقال: لعن الله قاتلك، ولعن الله سالكك، ولعن الله المتوازيين عليك، وحكم الله بيني وبين من أعان عليك. فقالت فاطمة الزهراء عليها السلام مستفسرة: يا أبتاه يا رسول الله! ما الخبر؟ فقال ﷺ في جوابها: يا بنتاه يا فاطمة! لقد رأيت ابني هذا فذكرت ما يصيبه بعدي وبعذك من الأذى والظلم، والغدر والبغي، وهو يومئذ في عصبة كأنهم نجوم السماء، فيتهادون إلى القتل، وإني أنظر إلى معسكرهم، وإلى مواضع رحالهم وتربتهم، ولنعم ما قيل:

قومٌ إذا اقتحم العجاج رأيتهم شمساً وختل وجوههم أقمارا
وإذا الصريخ دعاهم لملمة بذلوا النفوس وفارقوا الأعمارا

[الإمتياز الثالث والعشرون]

٢٣- إنهم هم المقرّبون إلى رسول الله ﷺ وأنه لو أدركهم لأكرمهم، فقد جاء في البحار نقلاً عن تفسير الثعلبي: إنّ الرّبيع ابن خيثم قال لما وصله خبر

شهادة الإمام الحسين عليه السلام ومن معه من أهل بيته وأصحابه : جئتم بها؟ فوالله لقد قتلتم صفوة لو أدركهم رسول الله ﷺ لأعزهم وأكرمهم، ولأشفق عليهم وتلطف بهم.

[الإمتياز الرابع والعشرون]

٢٤- إنهم كانوا لشدة اشتياقهم للشهادة، لا يجدون ألم مس السلاح والحرب، وذلك لما قد روي في خرائج الراوندي عن الإمام الباقر عليه السلام عن الإمام الحسين عليه السلام أنه قال لأصحابه: إن رسول الله ﷺ قال لي: يا بني! إنك ستساق إلى العراق، وهي أرض قد التقى بها النبیون وأوصياء النبیین، وهي أرض تدعى عمورا، وإنك ستشهد بها ويستشهد معك جماعة من أصحابك، لا يجدون ألم مس الحديد، ثم قرأ: ﴿قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم﴾ ثم أضاف: يكون الحرب برداً وسلاماً عليك وعليهم.

[الإمتياز الخامس والعشرون]

٢٥- إنهم كانوا الشجعان في دينهم فلا تستهويهم المغريات، والأبطال في دنياهم فلا يهابون الموت، ففي رجال الكشي روى في وصف حبيب بن مظاهر قائلاً: كان حبيب من الرجال الذين نصرُوا الإمام الحسين عليه السلام، وتلقوا جبال الحديد، واستقبلوا الرماح بصدورهم، والسيوف بوجوههم، وهم يعرض عليهم الأمان والأموال، فيأبون ويقولون: لا عذر لنا عند رسول الله ﷺ إن قتل الإمام الحسين عليه السلام وفينا عين تطرف، حتى قُتلوا حوله، واستشهدوا بين يديه.

كأني به في ثلة من رجاله	كما خُف بالليث الأسود اللوابد
يخوض بهم بحر الوغى فكأنه	لواردهم عذب المجاجة بارد

[الإمتياز السادس والعشرون]

٢٦- إنهم هم الأباة الحماة الذين فضّلوا الموت تحت ظلال السيوف على الحياة بذلة، فقد جاء في شرح النهج لابن أبي الحديد: إنّ سيّد أهل الإباء، الذي علّم الناس الحميّة، والموت تحت ظلال السيوف اختياراً على الدنيّة، هو: أبو عبدالله الحسين عليه السلام، عرض عليه الأمان أو يستسلم؟ فأنف من الذلّ وذلك كما قال:

الموت خير من ركوب العار والعار أولى من دخول النار

وحواريّو سيّد أهل الإباء تعلّموا منه الإباء والحميّة، واختاروا الموت تحت ظلال السيوف على الذلّة والدنيّة، ولنعم ما قيل فيهم:

بنفسي وآبائي نفوساً أبيّة يجرّعها كأس المنيّة مترف
وهم خير من تحت السماء بأسرهم وأكرم من فوق السماء وأشرف
أي: أكرم على الله من الملائكة المقرّبين عنده، وأشرف منهم لديه.

[الإمتياز السابع والعشرون]

٢٧- إنهم هم المخصوصون بعد شهادتهم بتجهيز السماء لهم، والصلاة عليهم، وذلك لما روي في البحار عن كامل الزيارات مسنداً عن الإمام زين العابدين عليه السلام عن عمّته الكبرى السيّدة زينب عليها السلام عن أم أيمن، عن النبي صلى الله عليه وآله عن جبرئيل أنّه قال: فإذا برزت تلك العصابة إلى مضاجعها، تولّى الله عزّ وجلّ قبض أرواحها بيده، وأهبط إلى الأرض ملائكة من السماء السابعة، معهم آنية من الياقوت والزمرّد، مملوءة من ماء الحياة، وحلّل من الجنّة، وطيب من طيب الجنّة، ففسلوا جثثهم بذلك الماء، وألبسوها الحلل، وحنّطوها بذلك الطيب، وصلّى الملائكة صفّاً صفّاً عليهم.

[الإمّياز الثامن والعشرون]

٢٨- إنهم المتأهلون لأن يتولّى مواراتهم ودفنهم رسول الله ﷺ، وذلك على ما جاء في البحار نقلاً عن أمالي الشيخ الطوسي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: أصبحت أمّ سلمة يوماً باكية حزينة، فسألوها عن سبب حزنها وبكائها، فقالت: لقد قُتل ولدي الحسين عليه السلام وذلك أنّي رأيت رسول الله ﷺ في المنام الليلة الماضية مع أنّي لم أراه في منامي منذ ارتحاله من الدنيا، فرأيت البارحة وهو أشعث مغبر، وعلى رأسه التراب فقلت له: يا رسول الله! مالي أراك أشعث مغبراً؟ فقال بحزن وكآبة: قُتل ولدي الحسين عليه السلام وما زلت أحفر القبور له ولأصحابه.

وقد جاء في المناقب لابن شهر آشوب عن ابن عباس أنّه قال: كنت نائماً في منزلي وإذا بي أسمع صرخة عظيمة، وضجة عالية من بيت أمّ سلمة، فاصغيت لها، فإذا هي تنادي وتقول: يا بنات عبدالمطلب أعنّني على التّياحة، وساعدنني على البكاء، فإنّ سيّدكم ومولاكم، الإمام الحسين عليه السلام قد قُتل.

فقيل لها: من أين علمت ذلك؟

فقالت: رأيت الساعة رسول الله ﷺ في المنام وهو أشعث أغبر، فقلت له: يا رسول الله! مالي أراك أشعث أغبر؟

فقال بحرقة وكوعة: قُتل ولدي الحسين عليه السلام وما زلت أحفر القبور له ولأصحابه.

ثمّ قالت: فانتبهت فزعة، ونظرت إلى القارورة التي فيها تراب كربلاء، وكان قد دفعه النبي ﷺ إليها، وأمرها أن تحتفظ به قائلاً: إذا انقلب دماً فقد قتل ولدي الحسين عليه السلام، فرأيت قد انقلب دماً.

[الامتياز التاسع والعشرون]

٢٩- إنهم كانوا قد رأوا منازلهم في الجنة بأمر أعينهم وهم في هذه الدنيا أحياء، وذلك قبل قتلهم وشهادتهم، فقد جاء في علل الشرايع مسنداً عن الإمام الصادق عليه السلام: إن واحداً من أصحابه قال له متسائلاً: أخبرني يا ابن رسول الله! عن تسابق أصحاب الإمام الحسين إلى القتل والشهادة؟ فقال عليه السلام: إنهم قد كشف لهم الغطاء حتى رأوا منازلهم من الجنة، فكان الرجل منهم يقدم على القتل ليبادر إلى الحوراء فيعانقها، وإلى مكانه من الجنة فينعم به.

لهفي لركب صرّعوا في كربلا كانت بها آجالهم متدانية
نصروا ابن بنت نبيهم طوبى لهم نالوا بنصرتهم مراتب سامية

[الامتياز الثلاثون]

٣٠- إنهم كانوا قد تأهلوا لأن يخبرهم المعصوم بنهاية أمرهم، وخاتمة عمرهم، ولأن يريهم منزلتهم عند الله، ودرجتهم لديه، وذلك على ما جاء في كتاب «النفس المهموم» نقلاً عن القطب الراوندي، عن أبي حمزة الثمالي، عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنه قال: جمع أبي عليه السلام أصحابه مساء يوم تاسوعاء وقام فيهم خطيباً وقال: هذا الليل فاتخذوه جملاً، فإن القوم إنما يريدونني، ولو قتلوني لم يلتفتوا إليكم، وأنتم في حل وسعة، فقالوا: والله لا يكون هذا أبداً، فقال: إنكم تقتلون غداً كلكم، ولا يبقى منكم رجل، فقالوا: الحمد لله الذي شرفنا بالقتل معك، ثم رفع يديه بالدعاء وقال لهم: ارفعوا رؤوسكم وانظروا، فجعلوا ينظرون إلى مواضعهم ومنازلهم من الجنة.

وجاء في زيارة الناحية المقدّسة: «وكشف الله لهم الغطاء» ولنعم ما قيل:
 قوم إذا نودوا بدفع مِلْمَةٍ والخيل بين مدْعَس ومكرِديس
 لبسوا القلوب على الدروع وأقبلوا يستهافتون إلى ذهاب الأنفس

[الإمتياز الواحد والثلاثون]

٣١- إنهم قُور استشهداهم دخلوا الجنّة وعانقوا الحور العين، فقد جاء في كتاب الأمالي عن سالم: إنّه روى قائلًا: سمعت كعب الأبحار يقول: إنّ في كتابنا أنّ رجلاً من ولد محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله يقتل، ولا يجفّ عرق دوابّ أصحابه، حتّى يدخلون الجنّة، فيعانقون الحور العين، قال: فمرّ بنا الإمام الحسين عليه السلام فقلنا له وقد أشرنا إليه: هو هذا؟ فقال: نعم.

[الإمتياز الثاني والثلاثون]

٣٢- إنهم يوم القيامة في طليعة من يدخل الجنّة بغير حساب، فقد روى في الأمالي عن هرثمة بن أبي مسلم: أنّه قال: غزونا مع الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام صفّين، فلما انصرفنا نزل بكرلاء وصلّى بها الغداة، ثمّ رفع إليه شيئاً من تربتها وشمّها ثمّ قال: واهّا لك أيتها التربة، ليحشرنّ منك أقوام يدخلون الجنّة بغير حساب.

ومن المعلوم: إنّ حوارَي الإمام الحسين عليه السلام مع إمامهم الإمام الحسين عليه السلام هم في مقدّمة أولئك الذين يحشرون من أرض كربلاء إلى المحشر ويدخلون الجنّة من غير وقوف ولا حساب.

هي كربلاء فقف على عرصاتِها ودع الجفون تسحّ في عبراتها

سلها بأي قرى تعاجلت الأولى نزلوا ضيوفاً عند قفر فلاتها
ما بالها لم تروهم من مائها حتى تروّت من دما رقباتها

[الإمتياز الثالث والثلاثون]

٣٣ - إنهم قد ارتووا من الماء على يدي رسول الله ﷺ ووصية الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في يوم عاشوراء حين الشهادة، وذلك على ما جاء في كتاب دارالسلام نقلاً عن أمالي الشيخ الطوسي عن السدي أنه روى قائلاً: قلت لرجل يُشم منه رائحة القطران: هل أنت تبيع القطران؟ فقال: لا والله، إني لا أعرف القطران ولا أراه، غير أنني دهّان وكنت أبيع الدهن في كربلاء لجيش ابن سعد ومعسكره، وبعد واقعة كربلاء رأيت في المنام رسول الله والإمام أمير المؤمنين وهما يسقيان الشهداء السعداء ماءً، فأقبلت من شدة العطش إلى الإمام أمير المؤمنين وطلبت منه أن يسقيني، فلم يسقني، فتوجّهت إلى رسول الله وأردت منه أن يسقيني، فالتفت إلي وقال لي: ألسنت أنت الذي أعنت في كربلاء الأعداء على ولدي؟ ثم أمر بأن يسقوني شربة من قطران، فسقوني، فإذا بي انتبه من نومي وأنا أختنق من ريح القطران، وإلى اليوم ريح القطران تؤذيني، ولم تفارقني بعد.

[الإمتياز الرابع والثلاثون]

٣٤ - إنهم تأهلوا بسبب نصرتهم لابن بنت نبيهم، أن يهتم بهم رسول الله ﷺ ويجمع دمائهم في قارورة، ليشتكي مظلوميّهم إلى الله تعالى. ففي الكامل لابن الأثير، والتذكرة لابن الجوزي، عن ابن عباس أنه قال: رأيت رسول

الله ﷺ في المنام مساء اليوم الذي استشهد فيه الإمام الحسين عليه السلام كتيباً حزيناً وفي يده قارورة مملوءة بالدم، فقلت: يا رسول الله! ما هذه الكآبة والحزن؟ وما هذه القارورة والدم؟ فأجابني قائلاً: يا ابن عباس! هذا دم ولدي الحسين عليه السلام وأصحابه لم أزل ألتقطه منذ اليوم، ليكون سنداً لشكواي مظلوميّتهم إلى الله تعالى. فلما أصبح ابن عباس، أخبر الناس بما رآه، فأرّخوا ذلك اليوم وكان يوم عاشوراء، فلما جاء الخبر بقتل الإمام الحسين عليه السلام ومُن معه رأوه مطابقاً لما أرّخوه.

[الإمتياز الخامس والثلاثون]

٣٥- إنهم كانوا متأهلين لأن يبشّره الإمام الحسين عليه السلام بالجنان الواسعة، والنعيم الدائم، شكراً منه على موقفهم، وتقديراً لهم على وفائهم. فقد روي في البحار عن معاني الأخبار عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنه قال ما معناه: إنه لما اشتد الأمر بالإمام الحسين عليه السلام وأصحابه في يوم عاشوراء، وأحدثت المنايا بهم، نظر الإمام الحسين عليه السلام إلى أصحابه نظر إشفاق ورحمة، وقال لهم مبشراً ومشجعاً: صبراً يا بني الكرام، فما الموت إلا قنطرة يعبر بكم عن البؤس والضراء، إلى الجنان الواسعة، والنعيم الدائم، فأيتكم يكره أن ينتقل من سجن إلى قصر؟ وما هو لأعدائكم إلا كمن ينتقل به من قصر إلى سجن وعذاب.

ثم قال عليه السلام: إن أبي حدّثني عن رسول الله ﷺ: إن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر، والموت جسر هولاء إلى جنانهم، وجسر هولاء إلى جحيهم، ما كذبت ولا كذبت.

[الإمتياز السادس والثلاثون]

٣٦- إنهم كانوا في قمة الفضائل والمكارم بحيث قد أذعن العدو لهم بذلك ولم يستطع إنكاره، والفضل ما شهدت به الأعداء، فإنه جاء في شرح الشافية لأبي فراس: إنه قيل لرجل كان قد شهد يوم الطف مع عمر بن سعد: ويحك! أقتلت ذرية رسول الله ﷺ؟

فأجاب قائلاً: عضضت بالجدل، إنك لو كنت قد شهدت ما شهدنا، لفعلت ما فعلنا، فلقد ثارت علينا عصابة أيديها في مقابض سيوفها، كالأسود الضارية، تحطم الفرسان يميناً وشمالاً، وتلقي بأنفسها على الموت، لا تقبل الأمان، ولا ترغب في المال، ولا يحول حائل بينها وبين الورود على حياض المنية، أو الاستيلاء على الملك، فلو كفنا عنهم رويداً لأنت على نفوس العسكر بحذافيره، فماذا كنّا فاعلين لا أمّ لكم؟

[الإمتياز السابع والثلاثون]

٣٧- إنهم كانوا الأحرار حقاً، لأنهم قد تحرّروا من هوى النفس، وعن مغريات الحياة، ومن تسويلات الشيطان، وقد قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾.

ونقل أن ملكاً قال لواحد من رعيته وكان فاضلاً: لو ما تأتينا فتناً من معروفنا فإنك رعيّتنا؟ فقال له الفاضل: كيف ذاك وأنت رعيّة لرعيّتي؟ فقال له الملك بتعجب مشوب بغضب: كيف أكون أنا رعيّة رعيّتك؟ فأجابه الفاضل قائلاً: إنك أنت رعيّة الهوى، مع أن الهوى رعيّتي، فإنّي سيّد هواي والهوى سيّدك ومولاك، فتكون أنت رعيّة للهوى الذي هو رعيّة لي.

[الإمتياز الثامن والثلاثون]

٣٨- إنهم أدركوا بتسليمهم لله ولرسوله ولأوصيائه، مقام العبوديّة الحقيقيّة لله تعالى، وهو مقام عظيم. فقد قال الله تعالى وهو يثني على عباده المخلصين: ﴿.. عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون﴾. وقال تعالى وهو يصف سيّد رسله، وأشرف برّيته في معراجهِ إلى سماواته: ﴿سبحان الَّذي أسرى بعبدِهِ﴾.

وقدّم في تشهّد الصلاة الشهادة بعبوديّة النبي ﷺ على الشهادة برسالته، وأمرنا أن نقول بعد الشهادة لله تعالى بالوحدانيّة: ﴿وأشهد أن محمداً عبده ورسوله﴾.

فالعبودية الحقيقيّة لله تعالى هي: مقام عظيم، ولا يناله إلا ذو حظّ عظيم، فإنّ كنهها الحرّيّة والسيادة، وثمرتها العزّ والشرف، وعائدها الفوز والسعادة في الدّنيا والآخرة، وقد نالها حواريو الإمام الحسين عليه السلام بكلّ كفاية وجدارة.

[الإمتياز التاسع والثلاثون]

٣٩- إنهم كانوا قد نالوا بوفائهم لإمامهم الإمام الحسين عليه السلام الفتوة، وهو وسام شريف، فإنّ الله تبارك وتعالى لما أراد أن يعرفنا عن أصحاب الكهف، وعن موقفهم المشرف، وصفهم بالفتوة فقال عزّ من قائل: ﴿إنهم فتية﴾ ثمّ قال تعالى في إدامة وصفهم: ﴿آمنوا بربّهم وزدناهم هدى﴾.

وفي روضة الكافي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال لرجل: «ما الفتى عندكم؟

فقال له : هو الشاب .

فقال عليه السلام : لا ، الفتى : المؤمن ، إن أصحاب الكهف كانوا شيوخاً ، فسماهم الله - عز وجل - فتية بإيمانهم .

وعليه : فحواريو الإمام الحسين عليه السلام وإن كان فيهم شيوخ معمرّون ، مثل حبيب بن مظاهر ، ومسلم بن عوسجة ، وبرير بن خضير ، يكونون فتية ، بل سادة الفتيان بعد المعصومين الأربعة عشر عليه السلام ، وذلك لما سبق ممّا هو واضح أيضاً ، ولنعم ما قيل فيهم :

وللمذب عنه عانقوا البيض والسمرا	ولم أنس فتية تبايعوا لنصره
فمظمه شأناً وشرفه قدرا	حماة حموا خدراً أبى الله هتكه
ومنه بنات المصطفى أبرزت حسرى	فأصبح نهباً للمغاوير بعدهم
يؤنبها زجر ويوسمها زجرا	يقنّعها بالسوط شمر وإن شكت

[الإمتياز الأربعون]

٤٠ - إنهم بشهادتهم الخالصة لله ، أحرزوا حياة الأبد ، والرزق الدائم عند ربهم ، وذلك لقول الله تعالى في محكم كتابه ، ومبرم خطابه ، وهو يصف فضل الشهداء : ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً ، بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾ فرحين بما آتاهم الله من فضله ، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ يستبشرون بنعمة من الله وفضل ، وإن الله لا يضيع أجر المؤمنين ﴿ وحواريو الإمام الحسين عليه السلام على ما عرفت هم سادة الشهداء السعداء بعد الإمام الحسين عليه السلام ، وأبو الفضل العباس عليه السلام هو سيدهم وسندهم ، وفي مقدمتهم وطليعتهم .

وعليه : فأبو الفضل العباس عليه السلام فيما ذكرناه من الخصائص لحواري الإمام الحسين عليه السلام ، وعدّناه من امتيازاتهم ، كان هو الفائز الأوّل من بينهم عليها ، بل هو الحائز على أرفع درجاتها ، وأسمى مراقيها ، وذلك بكلّ كفاءة وجدارة ، مضافاً إلى ما ذكرناه له عليه السلام بخصوصه من خصائص وامتيازات .

فهنيئاً لأبي الفضل العباس عليه السلام مقامه الرفيع ، وشأنه العظيم ، ومنزلته السامية عند الله تبارك وتعالى ، وعند رسول الله ﷺ ، وعند الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء عليها السلام ، وعند الأئمة الطاهرين من أهل بيت رسول الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، حتّى عدّ زيارته عليه السلام وخاصة الزيارة المأثورة عن الإمام الصادق عليه السلام بسند صحيح ومتفق عليه ، من أفضل القربات إلى الله ، ومن أنجح الوسائل إليه تعالى ، لقضاء الحوائج ، وتيسير الأمور ، وتفريج الكرب ، وكشف الغوم ، نسأل الله تعالى التوفيق لزيارته في الدنيا ، والحصول على شفاعته في الآخرة ، والفوز بمراقفته في الجنان ، في مقعد صدق عند مليك مقتدر ، آمين ربّ العالمين .

[تنصّل واعتذار]

لقد تمّ الفراغ بحمد الله تعالى ومَنّه ، من ذكر ما تيسّر لنا في ترجمة : «الخصائص العباسية» من فضائل باب الحوائج وقمر بني هاشم أبي الفضل العباس عليه السلام ومناقبه ، علماً بأنّ هذه الترجمة قد ضمت بين دفتيها كلّ ما جاء في الأصل : «الخصائص العباسية» تقريباً ، مع إضافة بعض ما لم يكن في الأصل ، ممّا رأيناه منسجماً مع الأصل ، وإضافة بعض الخصائص الأخرى إليها ، لإكمال عدّة الخصائص إلى أربعين خصيصة ، فكمّلت والحمد لله تعالى .

وقد قمنا بذلك من باب القاعدة المعروفة التي تقول: ما لا يدرك كله لا يترك كله، وذلك أداءاً لبعض الواجب الذي هو علينا تجاه مقام أبي الفضل العباس عليه السلام ومنزلته عند الله، وحقه الكبير علينا، فإنه عليه السلام على ما عرفت هو الشخصية الثانية من الرجال بعد شخصية الإمام الحسين عليه السلام التي دارت على أكتافهم قضية كربلاء، وواقعة عاشوراء، والتي لولاها لما بقي من الدين اسم، ولا من القرآن رسم، ولا للإنسانية والعاطفة، والأخلاق والآداب، والكرامة والشهادة، والرحمة والرفق، والحضارة والمدنية، والشورى والتعددية، والقانون والحرية، عين ولا أثر، فبقاء شيء منها إلى يومنا هذا إنما هو مدين للإمام الحسين عليه السلام وأخيه أبي الفضل العباس عليه السلام وسائر الشهداء السعداء في يوم عاشوراء وعلى أرض كربلاء.

وعليه: فيكون هذا الشيء القليل، والنزر اليسير منّا لأبي الفضل العباس عليه السلام العظيم، ليس إلا بضاعة مزجاة، راجين من الله تعالى المغفرة والرضوان، ومن أبي الفضل العباس عليه السلام العذر والقبول، ومن القراء الكرام العفو والإغماض عما فيه من قصور أو تقصير، والإكمال والإتمام لما فيه من خطأ أو نقصان، وسهو أو نسيان، إنشاء الله تعالى.

المترجم - ربيع الميلاد عام / ١٤٢٠ هـ

المحتويات

الإهداء.....	٣
[اجازة حديث ، وشهادة اجتهاد].....	٥
[المدخل].....	٩
[الخصائص العباسية لماذا ؟].....	٩
المقدمة : [حبّ أهل البيت ومودّتهم].....	١١
[حديث الحبّ والبغض].....	١٢
[الذرية الطاهرة].....	١٢
[خلاصة الكلام].....	١٣
الخصيصة الأولى : « النسب الناصع ».....	١٦
الخصيصة الثانية : « الرّحم الطاهر ».....	٢٢
الخصيصة الثالثة : « الأسرة المباركة ».....	٥٧
الخصيصة الرابعة : « مميّزات ولادته ﷺ ».....	٦١

الخصيصة الخامسة : « في تسميته ﷺ » ٦٧

الخصيصة السادسة : « في بعض خصائص اسمه ﷺ » ٧٤

الخصيصة السابعة : « في نشأته ﷺ » ٧٩

الخصيصة الثامنة : « في كُنى العباس ﷺ » ٨٢

الخصيصة التاسعة : « في ألقاب العباس ﷺ » ٨٨

الخصيصة العاشرة : « في أنه ﷺ باب الحسين ﷺ » ٩١

الخصيصة الحادية عشرة : « في أنه ﷺ باب الحوائج » ٩٩

الخصيصة الثانية عشرة : « في أنه ﷺ السقاء » ١٠٦

الخصيصة الثالثة عشرة : « في أنه ﷺ ساقى عطاشا كربلاء » ١١٣

الخصيصة الرابعة عشرة : « في أنه ﷺ ساقى كل عطشان » ١٢٢

الخصيصة الخامسة عشرة : « في أنه ﷺ قمر بني هاشم » ١٢٧

الخصيصة السادسة عشرة : « في أنه ﷺ قمر العشيرة » ١٣٢

الخصيصة السابعة عشرة : « في أنه ﷺ حامل اللواء » ١٣٥

الخصيصة الثامنة عشرة : « في أنه ﷺ بطل العلقمي » ١٤١

الخصيصة التاسعة عشرة : « في أنه ﷺ كبش الكتبية » ١٤٦

الخصيصة العشرون : « في أنه ﷺ حامي الطعينة » ١٥٠

الخصيصة الواحدة والعشرون: « في أنه ﷺ المعروف بسَبْعِ القنطرة » ١٥٦

الخصيصة الثانية والعشرون: « في أنه ﷺ المعروف بالضعيف » ١٥٩

الخصيصة الثالثة والعشرون: « في أنه ﷺ المعروف بالعبد الصالح » ١٦٢

الخصيصة الرابعة والعشرون: « في أنه ﷺ المعروف بالعابد » ١٦٩

الخصيصة الخامسة والعشرون: « في أنه ﷺ المعروف بالطيار » ١٧٥

الخصيصة السادسة والعشرون: « في أنه ﷺ المعروف بالشهيد » ١٩١

الخصيصة السابعة والعشرون: « في أنه ﷺ الصديق » ١٩٧

الخصيصة الثامنة والعشرون: « في أنه ﷺ الفادي » ٢٠١

الخصيصة التاسعة والعشرون: « في أنه ﷺ المؤثر » ٢٠٨

الخصيصة الثلاثون: « في أنه ﷺ المواسي » ٢٢٠

الخصيصة الواحدة والثلاثون: « في أنه ﷺ الحامي والمحامي » ٢٣١

الخصيصة الثانية والثلاثون: « في أنه ﷺ ظهر الولاية » ٢٤٠

الخصيصة الثالثة والثلاثون: « في أنه ﷺ قائد الجيش » ٢٥٢

الخصيصة الرابعة والثلاثون: « في أنه ﷺ المستجار » ٢٥٧

الخصيصة الخامسة والثلاثون: « في أنه ﷺ الواقى » ٢٦٢

الخصيصة السادسة والثلاثون: « في أنه ﷺ سفير أخيه الإمام الحسين ﷺ » ٢٦٩

الخصائص العباسية ٣٦٨

الخصيصة السابعة والثلاثون : « في أنه ﷺ صاحب العصمة الصغرى » ٢٨١

الخصيصة الثامنة والثلاثون : « في أنه ﷺ كان عالماً فاضلاً، و... » ٢٨٨

الخصيصة التاسعة والثلاثون : « في أنه ﷺ كان عاملاً بعلمه » ٣٠٤

الخصيصة الأربعون : « في أنه ﷺ الوجه عند الله ورسوله و... » ٣١٥

الخاتمة : « في خصائص حوار الإمام الحسين ﷺ » ٣٤١